

جهود الألووسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد

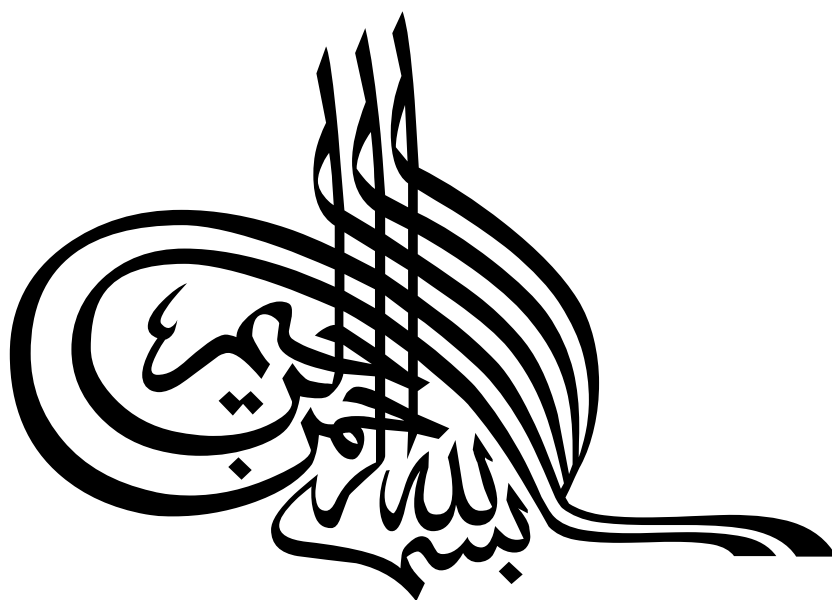
إعداد الطالب

صالح إبراهيم مضوي محمد

إشراف

الدكتور: محمد الحسن علي الأمين

٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م.



قرآن کریم

﴿قُلْ لِّیْنَ اَجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰی اَنْ یَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْءَانِ لَا یَأْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیْرًا﴾ [الإسراء: ۸۸].



حديث شريف

قال ﷺ: (إن من البيان لسحراً)^١



^١ صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (حديث رقم ٥٤٣٤).



إهداء

إلى روح فقيده العلم والأدب الأستاذ الدكتور بابر البدوي دشين
- أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان - الذي بفقده فقدت بنت
عدنان أحد أساطينها... فقد كان - رحمه الله - مثلاً حسناً للأخلاق
الفاضلة، ونموذجاً حياً للإخلاص، والتواضع، وبشاشة الوجه.

الباحث.



كلمة شكر

الشكر أولاً وأخيراً لله، مستحق الشكر وأهله، المنعم على خلقه بسابغ نعمه وفضله، الذي يسر لي هذا العمل، ووفّقني إلى الوصول إلى الغاية المرجوة منه.

إلى كلّ من بذل جهداً حتى رأى هذا العمل النور، أهديه قول أبي عينة:

لو كنت أعرف فوق الشُّكر منزلةً أوفى من الشكر عند الله في الثَّمنِ
أخلصْتُها لك من قلبي مهذبَةً حَذُواً على مثلما أوليتَ من حسن

إلى الدكتور محمد الحسن علي الأمين الذي أفادني كثيراً بتوجيهاته المفيدة، وتعليقاته القيّمة، وآرائه السديدة..

إلى جامعة أم درمان الإسلامية العريقة، وكلية اللغة العربية التي طابت لي فتفيات بظلالها حتى أكملت فيها كل المراحل (البكالوريوس، الماجستير، والدكتوراه).

إلى كل من نصحني فأحسن النصيحة، وكان عوناً لي على إخراج هذا البحث .

إلى والديّ اللذين أعطياي عن رضا تام، ولم يأخذا شيئاً، وأُثْمَن عطاياهما لي تلك الدعوات الصالحات التي كانا يدعوان لي بها سائلين الله لي التوفيق في هذا العمل.

إلى الأستاذ مرتضى إبراهيم الذي ما بخل بطباعة هذا البحث، وتنسيقه، ووضع اللمسات الفنيّة على صفحاته.

إلى زوجتي الفاضلة، وبنّي العزيزين (منيب، ومآب) الذين صبروا معي طيلة سنيّ هذا العمل، فقد كنتُ في كثير من الأوقات آخذ من وقتهم لأضع مسألة هنا أو هناك تهم البحث.

الباحث.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الربّ الكريم الأكرم، الذي أعطى وتكرّم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عمل فأتقن، وقال فأبلغ، وظلّ على ذلك حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وبارك وسلّم . وبعد:

فإنّ البحث في الدراسات البلاغية يعدّ من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنّه جهدٌ يصُبّ أولاً في خدمة كتاب الله العزيز، والمساهمة في إظهار جوانب الإعجاز فيه، والإشارة إلى الصور البديعة التي يشتمل عليها القرآن الكريم، وتوضيحها وتبيينها في ثوب قشيب، وفي صورة ميسّرة تعين على فهم المراد من الصور البلاغية التي يزخر بها القرآن الكريم.

وقد اخترتُ (جهود الألوّسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني) موضوعاً لأطروحتي هذه؛ محاولاً أن أساهم في إثراء ساحة علم البلاغة التي تحتاج إلى المزيد من مثل هذه المواضيع التي تتناول الحديث عن بلاغة القرآن الكريم، والكشف عن أسرار ومزايا هذه البلاغة.

جدير بالذكر أنني لم أقف على دراسة بلاغية شاملة تناولت جهود الألوّسي البلاغية، رغم أن كل من أراد بحثاً أو دراسةً أيّ موضوعٍ من مواضيع اللغة العربية - والبلاغة على وجه الخصوص - غالباً ما يكون تفسير روح المعاني من ضمن المصادر الرئيسة لدراسته؛ وذلك للمادة النفيسة التي يضمّها هذا الكتاب بين دفتيه؛ وللأسلوب الذي عُرِف به الألوّسي في تفسيره، حيث يفصّل ويدقّق كثيراً في المسائل البلاغية في مواطن كثيرة من كتابه (روح المعاني). لذا توجّهت بالعزم إلى البحث في هذا الموضوع - بعد التوكّل على الله تعالى -.

تأثر الألوسي بمن سبقه:

إنَّ تأثر الألوسي بمن سبقه واضح كلِّ الوضوح، لكنَّ الإضافات التي أضافها الألوسي، والأسلوب العميق المفصَّل الذي يتناول به الألوسي عرض الصورة الفنيَّة القرآنية، واستخراج النواحي اللغوية والبلاغية منها- جعله أكثر وضوحًا من سابقه.. فممن تأثر بهم الألوسي، الزمخشري، فنجد رأيي الألوسي في كثير من الأحيان يوافق رأيي الزمخشري، وتارة يعضد الألوسي رأيه بقول الزمخشري، وتارة يرجِّح الألوسي قوله مستدلًّا بما ذهب إليه الزمخشري..

ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "والنقضُ فسخ التركيب، وأصله يكون في الحبل، ونقيضه الإبرام، وفي الحائط ونحوه، ونقيضه البناء، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد -كما قال الزمخشري- من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها، أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يُرمز بذكر شيء من رواده، فينبهوا بتلك الرزمة على مكانه، نحو قولك: عالم يغترف منه الناس، وشجاع يفترس أقرانه. والحاصل أنَّ في الآية استعارة بالكناية، والنقض استعارة تحقيقية تصريحية، حيث شبَّه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبَّه به على المشبَّه، لكنها إنما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالحبل، فهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الحبل للعهد"^(٢).

وأيضًا وافق الألوسي الزمخشري ورجَّح رأيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنْ

(١) البقرة (٢٧).

(٢) روح المعاني (٢١٠/١).

الْأَحْزَابِ فَالْنَّارُ مَوْعِدُهُ ۖ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

حيث قال: "والهمزة في أفمن قيل : للتقرير، و مَنْ مبتدأ، والخبر محذوف، أي أفمن كان كذا كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها، وحذف معادل الهمزة.. والذي يقتضيه كلام الزمخشري -ولعله الأولى- خلافه، حيث قال : المعنى أَمَّن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة، أي لا يعقبونهم ولا يقاربونهم في المنزلة إلى آخر ما قال.."(٢)

كما وافق الألوسي ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۖ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۗ﴾ (٣).

فقال الألوسي: "قل لأولئك الضلال المتعجب منهم: تمتعوا بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها تبديل نعمة الله تعالى كفرًا، واستتباع الناس في الضلال.. وجعل ذلك متمتعًا به تشبيهًا له بالمشتبهات المعروفة؛ لتلذذهم به كتلذذهم بها، وفي التعبير بالأمر -كما قال الزمخشري- إيدان بأنهم -لانغماسهم بالتمتع بما هم عليه، وأنهم لا يعرفون غيره، ولا يريدونه- مأمورون به، قد أمرهم أمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه، ولا يملكون لأنفسهم أمرًا دونه، وهو أمر الشهوة.."(٤)

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ۗ﴾ (٥).

(١) هود (١٧).

(٢) روح المعاني ٢٩/١٢

(٣) إبراهيم (٢٨ - ٣٠).

(٤) روح المعاني (٢١٩/١٣).

(٥) الإسراء (١١١).

يقول الألوسي -وقد التفت لرأي الزمخشري- : "فهو تعالى الجواد المعطي لكل قابل ما يستحق، وهو تعالى المستحق للحمد دون غيره عز و جل، وهذا الذي عناه الزمخشري بقوله : لك أن تتخذ نفي هذه الصفات وهي ذرائع منع المعروف، أما الولد فلائنه مبخلة، وأما الشريك فلائنه مانع من التصرف كيف يشاء، وأما الاحتياج إلى من يعتز به، أو يذب عنه، فأظهر رديفًا لإثبات أضدادها على سبيل الكناية، وهو وجه حسن، ولو حُمل الكلام على ظاهره أيضًا لكان له وجه؛ وذلك لأن قول القائل: الحمد لله فيه ما ينبئ أن الإلهية تقتضي الحمد، فإذا قلت: الحمد لله المنزه عن النقائص -مثلاً- يكون قد قوّيت معنى الإلهية المفهومة من اللفظ، فيكون وصفًا لائقًا مؤيدًا لاستحقاقه تعالى الحمد من غير نظر إلى مدخلية الوصف في الحمد بالاستقلال، وهذا بين مكشوف، إلا أن الزمخشري حاول أن ينبئه على مكان الفائدة الزائدة.." (١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٢).

فقد عضد الألوسي قوله بما سبقه عليه الزمخشري، حيث قال الألوسي : "وهن العظم مني، أي ضعف، وإسناد ذلك إلى العظم لما أنه عماد البدن، ودعام الجسد، فإذا أصابه الضعف والرخاوة تداعى ما وراءه، وتساقطت قوّته، ففي الكلام كناية مبنية على تشبيه مضمّر في النفس، أو لأنه أشد أجزاءه صلابة وقوامًا، وأقلّها تأثرًا من العلل، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ففي الكلام كناية بلا تشبيه، وأُفرد (العظم) -على ما قاله العلامة الزمخشري، وارتضاه كثير من المحققين-؛ لأنّ المفرد هو الدال على معنى الجنسيّة، والقصد إلى أن هذا الجنس -الذي هو العمود والقوام، وأشد ما ترّكّب منه الجسد- قد أصابه الوهن، ولو جُمع لكان القصد إلى معنى آخر، وهو

(١) روح المعاني (١٥/١٩٥).

(٢) مرثم (٤).

أنّه لم يهن منه بعض عظامه، ولكن كلّها، حتى كأنّه وقع من سامع شكّ في الشمول والإحاطة..^(١).

ولقد احتوت خطّة البحث على مقدّمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ثمّ الفهارس العامة.

خطّة البحث ومنهجه :

أما المقدّمة، فذكرت فيها أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياري له، كما أشرت فيها إلى خلو ساحة البحث من دراسة مستقلة تبين دور الألوسي في وضع أسس ساهمت في إثراء ساحة البلاغة العربية. كما تطرّقت بالحديث إلى من تأثر بهم الألوسي من سابقه، فاخترت -على سبيل المثال لا الحصر- الزمخشري، فقد تأثر به الألوسي تأثراً واضحاً في كثير من آرائه البلاغية عند تفسيره للآيات..

وسيكون الحديث في التمهيد منصباً حول الإعجاز القرآني، والبلاغة القرآنية، وخصائصها، وأسرارها، ثمّ منهج القرآن في التعبير.

وأما فصول الدراسة فهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: التعريف بالألوسي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته، وفيه ستة مطالب.

المطلب الأول: نسب الألوسي.

المطلب الثاني: المولد والنشأة.

المطلب الثالث: بعض شيوخه.

المطلب الرابع: بعض تلامذته.

المطلب الخامس: آثاره العلمية.

المطلب السادس: مكانته العلمية.

(١) روح المعاني (٦٠/١٦).

المبحث الثاني: لمحة عن عصر الألويسي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية والدينية.

المبحث الثالث: عقيدة الألويسي ومذهبه ووفاته، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: عقيدته.

المطلب الثاني: مذهبه.

المطلب الثالث: وفاته.

الفصل الثاني: صور المعاني، وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: الخبر والإنشاء، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الخبر: أنواعه، وأغراضه البلاغية.

المطلب الثاني: الإنشاء: أنواعه، وأغراضه البلاغية.

أولاً: الإنشاء الطلبي، ويشمل: (الأمر - النهي - الاستفهام - التمني - النداء).

ثانياً: الإنشاء غير الطلبي، ويشمل (صيغ التعجب - القسم - المدح والذم).

المبحث الثاني: صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وتناولت

فيه عدّة صور، وهي (الالتفات - التعبير بالماضي عن

المضارع، والتعبير بالمضارع عن الماضي - التغليب -

الأسلوب الحكيم).

المبحث الثالث: القصر.

المبحث الرابع: الفصل والوصل.

المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: الإيجاز.

المطلب الثاني: الإطناب.

الفصل الثالث: صور البيان في روح المعاني، وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول:	التشبيه.
المبحث الثاني:	المجاز، وفيه مطلبان.
المطلب الأول:	المجاز العقلي.
المطلب الثاني:	المجاز اللغوي، ويشمل المجاز المرسل والاستعارة.
أولاً:	المجاز المرسل.
ثانياً:	الاستعارة.
المبحث الثالث:	الكناية.

الفصل الرابع: صور البديع في روح المعاني، وفيه مبحثان:

المبحث الأول:	المحسنات المعنوية، وفيه سبعة مطالب.
المطلب الأول:	الطباق.
المطلب الثاني:	اللف والنشر.
المطلب الثالث:	تأكيد المدح بما يشبه الذم.
المطلب الرابع:	الاحتباك.
المطلب الخامس:	التورية.
المطلب السادس:	المقابلة.
المطلب السابع:	المشاكلة.
المبحث الثاني:	المحسنات اللفظية، وفيه ثلاثة مطالب.
المطلب الأول:	الجناس.
المطلب الثاني:	الفاصلة القرآنية.
المطلب الثالث:	رد العجز على الصدر.

ثم خاتمة البحث: وفيها ذكرت خلاصة موجزة لهذه الدراسة، وأبرز ثمارها ونتائجها التي وقَّفتني الله تعالى إلى استجلائها، والاهتداء إليها، ثم ختمت ذلك ببعض التوصيات.

ثم أنهيت البحث بالفهارس العامة، وتشمل: فهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأحاديث الشريفة، وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام، وثبت المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

أما منهج البحث :

فهو المنهج الاستقرائي التحليلي كما تمثله هذه الخطة؛ فقد اقتضت طبيعة البحث أن أقدم لكل موضوع بمقدمة أعرف فيها باللون البلاغي من حيث اللغة، واصطلاح البلاغيين، ثم أستشهد لذلك ببعض الآيات القرآنية، وأقوال العلماء البلاغيين في ذلك، ثم بعدئذ أتناول ما قدّمه الألويسي، وأضافه إلى هذا الفن.

وأخيراً أسأل الله أن يعصمني من الزلل، والخطأ، والنسيان، وأن يمنح هذا البحث الرضا والقبول التام، والحمد لله على نعمة الإيمان والقرآن، وعلى أن هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله — سبحانه —.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

مَهَيِّدٌ

إن إعجاز القرآن الكريم متعدّد، والإعجاز البلاغي القرآني -على وجه الخصوص- يظل الوجه البارز من بين كل وجوه الإعجاز، وكيف لا يكون القرآن الكريم كذلك وهو أصدق الحديث؟! قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ﴾^(١). ولما كانت البلاغة سر هذا الإعجاز، فعلينا أن نلتمس مكنن هذا السر، ونتعرف على المظاهر والخصائص التي بسببها حازت البلاغة على هذه المزيّة، ونالت هذه المكانة المرموقة السامية..

"فقد شعر العرب أنفسهم بما في القرآن من سمو عن قول البشر، فنسبوه إلى السحر، فكأنهم يقولون: إنَّ القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوّة خارقة، وليست من جنس قوى البشر، وكان ذلك في زمن سما فيه شأن البلاغة والفصاحة، وجلت مكانتهما في صدور أهلها، وعرفوا باللسن، وقوّة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس، والإبانة عن مشاعر القلوب"^(٢).

" إنَّ في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنّك لا تسمع كلامًا غير القرآن - منظومًا ولا منثورًا- إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص منه إليه.. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى

(١) الزمر (٢٣).

(٢) انظر إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد بن عبد العزيز العواجي، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ. (ص ٨).

إذا أخذت حظَّها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب" (١).

وقد وازن الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) بين القرآن الكريم وكلام العرب في وجوه متعدّدة، أجمل بعضها فيما يلي:

"أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرُّف البديع، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا القدر من الطول، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة.

كما أن عجيب نظمه لا يتفاوت على ما يتصرَّف فيه من الوجوه من قصص ووعظ، واحتجاج وحكم وأحكام، ووعد ووعيد، ووصف وتعليم أخلاق كريمة، وغير ذلك مما حواه القرآن، بينما نجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع يختلف باختلاف الأغراض؛ فمنهم من يجيد في الوصف دون الغزل، ومن يحسن إذا رغب، والآخر إذا طرب، وغيرهما إذا ركب. أما نظم القرآن فلا انحطاط في جميع ما يتصرَّف فيه عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه على المرتبة الدنيا" (٢).

"والإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم

(١) بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م. (ص ٥٧).

(٢) إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة (٣٦/١)، وانظر: من بلاغة القرآن الكريم، تأليف: أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة. (ص ٤٨).

تُعطى لآخر نظيره، فيأخذها بقريحة جامعة (مستريحة)، فيبدّل فيها وينقّح، ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل"^(١).

"وقد اشتمل القرآن الكريم على كافة أنواع أساليب الكلام العربي، بل وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها، وإن لذلك التنوع حكمًا كثيرة، منها: أن يكون في ذلك زيادة التحدي للمتحدّين به، بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إنّ هذا الأسلوب لم تسبق لي معالجته، ولو جاءنا بأسلوب آخر لعارضته.

ومن أعظم الأساليب التي خالف بها القرآن أساليب العرب أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه، وهما: مقصد الموعظة، ومقصد التشريع، فكان نظمه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه، وهو في هذا النوع يشبه خطبهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالم الخير أحكامًا كثيرة في التشريع والآداب وغيرها، وقد قال تعالى في الكلام على بعضه: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)، هذا من حيث ما لمعانيه من العموم، والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها.

ومن أساليبه التفنّن، وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن بطرائق الاعتراض والتنظير والتذييل، والإتيان بالمترادفات عند التكرير تجنبًا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات المعداد من أعظم أساليب التفنّن عند بلغاء العربية، فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود، فيكون السامعون في نشاط متجدّد بسماعه وإقبالهم عليه، بحيث كان أكثر أساليب القرآن من الأساليب البديعة العزيز مثلها في شعر العرب، وفي نثر بلغائهم من الخطباء وأصحاب بدائه الأجوبة"^(٢).

(١) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة المغرب، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. (٣٩/١).

(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس. (١١٦/١).

فالمتمثل في أساليب القرآن يدرك تمامًا ويحس بتلاؤم الكلام فيه، ومدى تأثيره في النفس، هذا التأثير الذي بسببه ينتج التفاعل والتجاوب من قبل النفس، ومن المؤكد أن هذا التلاؤم وراءه اختيار دقيق لألفاظ القرآن، لتدل على معانيها بدقة وإحكام.. وهذا ما عناه الخطابقي عندما قال:

"إنَّ الكلام يقوم بثلاثة أشياء: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وقد حاز القرآن في هذه الثلاثة معًا غاية الشرف والفضيلة: ففيه أفصح الألفاظ وأعذبها وأجزلها، وأحسن التأليف، وخير المعاني"^(١).

والقرآن الكريم جامع لكافة العناصر الجمالية والأسلوبية والأدبيّة، حيث إن عناصر الجمال الأدبي في الكلام الإتيقان في إبراز دقائق الصورة، مادّيّة كانت أو غير مادّيّة، وذلك لدى رسمها في الصورة الكلاميّة، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل جميل وواضح.

"ويزيد الصورة جمالاً تركّ جوانب فيها يُتّابِعها الفكر وحده، ويستكملها الخيال بنفسه، مع إيجاد المنافذ أو الإشارات التي يُمكنُ الانطلاق منها إلى هذه الجوانب المتروكة، كالرمز، والإشارة الخفيّة، وما يستتبعه الكلام باللزوم الذهني، وغير ذلك.

ونلاحظ هذا العنصر الجمالي في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي خَرِّ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ تَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^(٢).

(١) بيان إعجاز القرآن (ص ٢١).

(٢) النور (٣٩ - ٤٠).

ألسنا نلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة إتقاناً عجيباً في إبراز دقائق الصورة، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل واضح وجميل، ومع ترك جوانب في الصورة يتابعها الفكر وخذّه، ويستكملها الخيال بنفسه.

فالصورة في المثال الأوّل قدّمت أعمال الكافرين على شكل سراب، يراه الظمآن السائر في الصحراء -وهو بعيد عنه- ماءً، فيسعى إليه ليشرب من مائه، ويطفئ ظمأه، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، لأنّه كان انعكاس أشعة تُخيّل للناظر إليه من بُعد أنّه ماء.

وكذلك حال الكافر الذي يقدّم أعمالاً يظنّ أنّها تسعده في دنياه، أو تنفعه في آخرته، وما هي في الحقيقة إلّا بمثابة سراب، وهو إذا وصل إلى موطن المحاسبة والجزاء على الأعمال لم يجد أعماله شيئاً، لأنّها لم تكن ثمرة إيمان بالله واليوم الآخر، بل وجد الله عنده هو الذي له الحكم والأمر، ويده الحساب والجزاء، فوقاه حسابه بعدله وحكمته، فحاسبه على كفره، فسقط بالمحاسبة على الكفر كلّ عمل صالح كان قد عمله، لأنّه لم يكن قائماً على أساس مقبول عند الله.

والصورة في المثال الثاني صوّرت الحالة النفسيّة والفكريّة والقلبيّة للذين كفروا، بعد أن تركوا نور الهداية الربّانيّة، بحالة من هو في ظلمات قاع بحر عميق، فوقه أمواج في العمق تزيد الظلمة، فوقها أمواج في السطح تضاعف الظلمة، فوقها سحب يزيد الظلام ظلاماً، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها لشدة الظلمة. ومن كان كذلك فلا بدّ أن يسلك مسالك المهالك^(١).

"وكذلك حال الذين كفروا في أعمالهم، وفي تحديد الغاية من أعمالهم، وفيما يقرّرون من أسباب لذلك. إنهم يطلبون سعادتهم في الظلمات، فقلوبهم مظلمة بالكفر، ونفوسهم تائهة في

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة

الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. (٩٨ - ٩٩).

بحر لجي من ظلمات الأهواء والشهوات، وأفكارهم تسبح في ظلمات أسباب لذات الحياة الدنيا، وإراداتهم تتخبط تحت كل هذه الظلمات.

فكم من هذه الأمثلة من إتقان في إبراز دقائق الصورة، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل واضح وجميل، ومع ترك جوانب منها يستطيع الخيال أن يستكملها بنفسه دون عناء^(١).

"وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^(٢) وتأمل صيغة الماضي (فكبت)، والناس لا يزالون أحياء، وفيه - كما ترى - تهديد بالغ، ثم تأمل البناء للمجهول، وكيف دلّ على الحركة الخاطفة السريعة التي فجأتهم، فلم يدروا من أين أتت، ثم إن المجهول في هذا الموقف المخيف يثير خيالات كثيرة.. فالقرآن الكريم يعرض كثيرًا من مشاهد القيامة في صور الماضي وكأنها أحداث قد وقعت، وذلك ليؤكد كينونتها، وأن زمن الدنيا في حساب الحق كأنه زمن قد انتهى ليواجه بهذا الأسلوب الحاسم دواعي الانصراف من أمر القيامة"^(٣).

"فترك بعض الجوانب في الصورة ليستكملها الخيال، ويتابعها الفكر فيه من البلاغة والبراعة ما لا يخفى، فسكوت المتكلم البليغ في جملة سكوتًا خفيًا قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده ما يفيد إيهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيان، فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة وتعقيبه بما بعدها يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني وإن لم يكن عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٤). فإن الوقف على قوله (موسى) يُخَدِّث في نفس السامع ترقبًا لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده (إذ ناداه ربه... الخ) حصل البيان مع ما يحصل عند الوقف على كلمة موسى من قرينة من قرائن الكلام؛ لأنه على سجة الألف مثل قوله (طوى طغى تركى) الخ..^(٥).

(١) المصدر السابق (ص ٩٩).

(٢) النمل (٩٠).

(٣) خصائص التراكيب، للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م. (ص ٢٦٦).

(٤) النازعات (١٥ - ١٦).

(٥) التحرير والتنوير (١/١١٧).

"فألفاظ القرآن كيفما أدرتها وتأمّلتها فإنّك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام العذب، فأنت ما دمت في القرآن حتى تفرغ منه، لا ترى غير صورة واحدة من الكمال، وإن اختلفت أجزاؤها في جهات التركيب، وموضع التأليف، وألوان التصوير، وأغراض الكلام"^(١).

كما أن قَمّة البلاغة، وغاية الفصاحة نجدها متمثلة في إيراد الكلام بالقدر الذي يناسب المقام الذي قيل فيه، وصيغ إليه، فهناك وضع يقبل الإيجاز ويفسده الإطناب، كما أن من المواضع ما لا يحسن فيها إلا الإيجاز، بحيث لو أُطِنب فيها لصار الكلام خالياً من حسن البلاغة، ورونق الفصاحة..

"وقد سلك القرآن مسلك الإطناب لأغراض من البلاغة، ومن أهم مقامات الإطناب مقام توصيف الأحوال التي يراد بتفصيل وصفها إدخال الروح في قلب السامع، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ^(١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ^(٢) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ^(٣) وَالتَّتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ^(٤) وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ^(٥) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ^(٦) وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ ^(٧) فلهذه الألفاظ مزايا عديدة من الحسن ما كانت ستنتسم بها لو غيّرت لفظة مكان أخرى، أو جاءت هذه الجمل في غير هذا الأسلوب الذي هي عليه.."^(٨).

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان. الطبعة التاسعة

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م. (ص ٢٤١).

(٢) القيامة (٢٦ - ٢٩).

(٣) الواقعة (٨٣ - ٨٤).

(٤) إبراهيم (٤٣).

(٥) التحرير والتنوير (١/١٢٣).

"ومن المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما: الفصاحة والبلاغة، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما"^(١).

"وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها، وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: قلقة، ونائية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يُعبّروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم. وأنّ الأولى لم تَلَقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لَفَقًا للتالية في مؤدّاها..

وهل تشكُّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْزُقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) فتحلّي لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وأنها لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقرّ بها إلى آخرها، وأنّ الفضل تنأج ما بينها، وحصل من مجموعها..

إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟! قل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها، وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أن تُوديت الأرض، ثم أُمرت، ثم في أن كان النداء بـ "يا" دون "أي" نحو: يا أيتها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٩٥ م (٣٧٦/٢).

(٢) هود (٤٤).

هو من شأنها، ونداء السماء وأمرها كذلك بما يخصُّها، ثم أن قيل: وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالة على أنه لم يَغُضْ إلاَّ بأمر آمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: (فُضِّيَ الأمرُ)، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو (استوت على الجودي)، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عِظَمِ الشأن، ثم مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ "قيل" في الفاتحة.. أَفَتَرَى لشيء من هذه الخصائص -التي تملؤك بالإعجاز روعةً، وتحضرك عند صورتها هيئةً تحيط بالنفس من أقطارها- تعلقًا باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموعٌ، وحروفٌ تتوالى في النطق، أم كلُّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتِّساق العجيب؟!^(١).

"فأسلوب القرآن يتأنق في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة قي دلالتها، يستخدم كلاً حيث يؤدي معناه في دقَّة فائقة، تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خُلِقَتْ له تلك الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفّت به أختها، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفًا، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدًا.. ولما بين الكلمات من فروق، ولما يبعثه بعضها في النفس من إيجاءات خاصة دعا القرآن ألا يستخدم لفظ مكان آخر، فقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢) فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه"^(٣).

"وبهذا اتَّضح لنا اتِّضاحًا لا يدع للشكِّ مجالاً أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كَلِم مفردة، وأنَّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ من الرّوح والخفّة والإيناس والبهجة"^(٤).

(١) دلائل الإعجاز، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة

١٤١٣هـ، ١٩٩٢م (٥٣/١).

(٢) الحجرات (١٤).

(٣) من بلاغة القرآن (٥١).

(٤) دلائل الإعجاز (٥٤/١).

"والصحيح أن كتاب الله لو نُزعت منه لفظة، ثُمَّ أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبيّن لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق، وجودة القريحة، وميّز الكلام"^(١).

ويعتبر هذا التمهيد مدخلاً للوصول إلى جهود الألوّسي البلاغية من خلال الآيات القرآنية التي قام الألوّسي بتفسيرها، ووقف عندها شارحاً وموضحاً مواطن البلاغة والإعجاز القرآني فيها..

(١) المحرر الوجيز (٣٩/١).

الفصل الأول

التعريف بالألوسي

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: حياته، وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: لمحة عن عصر الألوسي، وفيه مطلبان؛

المبحث الثالث: عقيدة الألوسي ومذهبه ووفاته، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول

حياته

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: نَسَب الألوَسي.
- المطلب الثاني: المولد والنشأة.
- المطلب الثالث: بعض شيوخه.
- المطلب الرابع: بعض تلامذته.
- المطلب الخامس: آثاره العلمية.
- المطلب السادس: مكانته العلمية.

المطلب الأول

نَسَبُ الْأُلُوسِيِّ

"هو أبو الشَّاءِ شهاب الدين، محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش بن عاشور^(١)، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام"^(٢).

وأما نسبته: فقد اختلف فيها:

فالألوسي: "قيل نسبة إلى (ألوس)^(٣) بالقصر - وهو ما رجَّحه محمد بهجة الأثري^(٤) و^(٥) وهي قرية في الفرات، قرب عانات، وقيل نسبة إلى (ألوس)^(٦) بضم الألف واللام. وقيل نسبة إلى (ألوسة)^(٧) بلمد وضم اللام وسكون الواو بعده سين مهملة مفتوحة، وقيل غير ذلك"^(٨).

(١) لمزيد من الإفادة تراجع ترجمته في المصادر التالية: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، لأبي الشَّاءِ شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، مطبعة الشَّابندر، بغداد. ١٣٢٧هـ. (ص ١١)، أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر. ١٣٤٥هـ. (ص ٢١)، محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة الكاملية، مصر. ١٩٨٥م. (ص ٣٢-٣٦)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، تأليف محمد رجب البيومي، طبعة دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ. (٢/٣٣-٤٧).

(٢) تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت. (٣/٥٤)، والأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م. (٦/٢٧١).

(٣) قال الزبيدي: "وألوس كصبور، اسم رجل سميت به بلدة على الفرات قرب عانات". انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر. مادة "ألوس"، ومعجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. (١/١٩٨).

(٤) هو محمد بهجة بن محمود بن عبد القادر بن أحمد أغا، ولد سنة (١٣٢٠هـ) وربي على حب العلم والمعرفة من صغره، وتعلم على محمود شكري الألوسي المتوفى سنة (١٣٤٢هـ)، له مؤلفات كثيرة وتحقيقات منها "أعلام العراق" وقد نال عدة أوسمة من عدة دول عربية، وحاز على جائزة الملك فيصل العلمية في اللغة والآداب: مات سنة (١٤١٧هـ). انظر: أعلام العراق (ص ٦٣).

(٥) انظر: أعلام العراق (ص ٧) لتقف على ترجيح الأثري.

(٦) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبعة دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ. (١/٨٢-٨٣).

(٧) انظر تاج العروس (٤/٩٨)، ومعجم البلدان (١/٧٥).

(٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. (٥/٣٥٠) ترجمة رقم (٧٥٣)، والدر المنثور في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تأليف: علي علاء الدين الألوسي، تحقيق: جمال الدين الألوسي، وعبد الله الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م. (ص ١٢).

المطلب الثاني

المولد والنشأة

"في أسرة من الأسر العلميّة العريقة، وفي جانب الكرخ من مدينة السلام جاء أبو الثناء من دار الأرحام، إلى دار الغرور والفتن والآلام، كان ذلك قبيل صلاة الجمعة الرابع عشر من شعبان، سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتمّ السلام"^(١).

وبما أنه وُلِدَ في أحضان أسرة علميّة، فإنه وجد العناية الفائقة منذ صغره، مما كان له الأثر الحسن على حياته العلميّة في مستقبله.

فقبل أن يبلغ سبع سنين وهو مشغول بحفظ القرآن حفظ أيضاً متن الآجرومية، وألفية ابن مالك، والمنظومة الرحبية في الفرائض، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية، وقبل سن العاشرة استوفى الغرض من علم العربية، وقرأ طرّاً جليلاً من فقهي الشافعية والحنفية، وبعض المسائل المنطقية، والكتب الحديثية.

ولما تجاوز العاشرة من عمره، أذن له والده في الأخذ من علماء عصره ومصره، فأخذ عن جماعة منهم وخاصة الكبراء، ولازم بعضهم أكثر من عشر سنين، ولما بلغ الخامسة والعشرين أجازته أكبر مشايخه، وهو الشيخ علاء الدين على أفندي الموصلية^(٢) في يوم مشهود اجتمع فيه جميع الفضلاء والأجلاء، وعلى إثر ذلك مباشرة باشر التدريس، ورُفِعَ ذكره وذاع صيته، رغم أنف كل حسود وخسيس، إذ كل ذي نعمة محسود^(٣).

(١) غرائب الاغتراب (ص ٣)، المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. (ص ٨٢ - ٨٣)، أعلام العراق (١ - ٢٢)، الألوسي مفسراً، تأليف محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. (ص ٤١).

(٢) ستأتي ترجمته عند الحديث عن مشايخ الألوسي .

(٣) انظر الكلام على نشأته في: غرائب الاغتراب (ص ٤)، أعلام العراق (ص ٢٢)، الألوسي مفسراً (ص ٤٢).

المطلب الثالث

بعض شيوخه

كان أبو الثناء الألوسي موسوعة علمية كبيرة، إذا تكلم في علم من العلوم تظن أنه متخصص فيه ولم يدرس غيره، ورجل كهذا لا بد وأن تتعدد مشاريعه، ويكثر مشايخه، وهؤلاء المشايخ منهم من درس عليهم، وأخذ عنهم، ومنهم من استجازهم فأجازوه. وأنا هنا سأقتصر على المشهورين منهم:

- ١- الملا حسين الجبوري، تلقى عنه القرآن العظيم^(١).
- ٢- والده عبد الله بن محمود الألوسي، أخذ عنه النحو، والفرائض، والفقه الشافعي^(٢).
- ٣- علاء الدين علي الموصلي^(٣)، لازمه أربع عشرة سنة حتى تخرج به وأجازه.
- ٤- عبد الله العمري^(٤)، أخذ عنه قراءة نافع، وابن كثير المكي، وأبي عمرو البصري.
- ٥- عبد العزيز أفندي شواف زاده^(٥) قرأ عليه في عمل الوضع والبحث والمناظرة، والفرائض وغير ذلك.

-
- (١) كان رجلاً تقياً صالحاً، وكان مقيماً في مسجد سوق حمادة، انظر: غرائب الاغتتاب (ص ٣)، والألوسي مفسراً (ص ٥٥).
- (٢) هو صلاح الدين عبد الله بن محمود بن درويش الألوسي، قال فيه الألوسي: "ما رأته عيون الأسحار إلا قائماً، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائماً" مات بالطاعون سنة (١٢٤٦هـ).
- انظر: غرائب الاغتتاب (ص ١١)، المسك الأذفر (ص ٦١-٦٤)، أعلام العراق (ص ١١-١٢).
- (٣) هو علاء الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان الموصلي الحنفي، قال فيه الألوسي: "واحد العلماء وأوحد الفضلاء، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاة كل قريعة وفهم.. والحق أنه كان في كل علم آية الله تعالى الكبرى.. إلخ" (ت ١٢٤٣هـ).
- انظر: غرائب الاغتتاب (ص ٥)، المسك الأذفر (ص ١٩٧-٢٠٠)، معجم المؤلفين (تراجم مصنفين الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (٢٦٥/٧).
- (٤) هو عبد الله محمد بن عبد الله العمري الموصلي من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد في الموصل (١٢٠٨هـ) قال فيه الألوسي: "إليه انتهت رئاسة العلماء" (ت ١٢٩٧هـ). غرائب الاغتتاب (ص ٢٥)، المسك الأذفر (ص ٢٥)، نشوة الشُّمول في السفر إلى إسلامبول، تأليف أبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد. ١٢٩٣م. (ص ٧)، الألوسي مفسراً (ص ٥٩).
- (٥) كان متضلعا في علم العربية، قال فيه الألوسي: "لا يأنف من قول لا أدري، ويجري مع الحق حيث يجري، وما رأته غلط في جواب، بل كان يسكت أو ينطق بصواب" (ت ١٢٤٦هـ). المسك الأذفر (ص ٣٥٥).

- ٦- علي بن أحمد^(١) ابن عم أبي الثناء الألوسي. قرأ عليه شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية.
- ٧- الملا درويش بن عرب حضر^(٢)، قرأ عليه شرح آداب البحث المسمّى بالحنفية.
- ٨- محمد أمين بن علي الحلبي^(٣)، درس عليه شرح الوضعية لعصام.
- ٩- علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي^(٤)، قرأ عليه شرح النخبة لابن حجر، وأخذ منه إجازة.
- ١٠- ضياء الدين خالد النقشبندي^(٥)، قرأ عليه مسألة الصفات، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية.
- ١١- يحيى المزوري العمادي^(٦)، أجاز الألوسي بما تجوز له روايته، وصحّت لديه درايته.
- ١٢- عبد الرحمن الكزبري^(٧)، أجاز أبا الثناء الألوسي.

- (١) قال فيه الألوسي: "وهو رجل في بيتنا رباً، ولم يعرف غير أبي أبا، وأقرأه معظم العلوم النقلية، وطرفاً يسيراً من العلوم العقلية"، انظر: غرائب الاغتراب (ص ٣٤).
- (٢) انظر: غرائب الاغتراب (ص ٣٦)، وذكرى أبي الثناء الألوسي، تأليف: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد. ١٣٧٧هـ. (ص ١٣).
- (٣) كان مفتي الحلة، قال فيه الألوسي: "وكان رب فصاحة وبيان، يخيل منه إذا نطق أن كلا من أعضائه لسان" (ت ١٢٤٦هـ) المسك الأذفر (ص ٢٩١).
- (٤) هو أبو المعالي، قال فيه الألوسي: "وبالجملة كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من مبتدعين، وكان لأهل السنة برهاناً، وللعلماء المحدثين سلطاناً، ما رأيت أكثر منه حفظاً، ولا أعذب منه لفظاً" (ت ١٣٣٧هـ) من مؤلفاته "العقد الثمين في مسائل الدين". انظر المسك الأذفر (ص ٢١٠).
- (٥) هو خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي، ضياء الدين أبو البهاء، ولد سنة ١١٩٠هـ درس في العراق على مشايخ كثيرين، وتولى التدريس، ثم سافر إلى الهند وبها صار نقشبندياً، ثم رجع إلى العراق ونشر طريقته، وله بعض المؤلفات، توفي بدمشق سنة (١٢٤٢هـ). انظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٣هـ. (١/٥٧٠).
- (٦) هو يحيى بن خالد المزوري العمادي الشافعي البغدادي، قال فيه الألوسي: "إمام علامة أشهر من أن ينه عليه، وأجل من أن يعرف بالإشارة إليه.. كان عليه الرحمة - للعلماء جمالاً، لكن إذا رأته حسبته - لعدم اعتنائه بنفسه - حملاً" (ت ١٢٥٥هـ). انظر: المسك الأذفر (ص ٢٠٠).
- (٧) هو أبو المحاسن، وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، محدث دمشق، وُلِدَ فيها سنة ١١٨٤هـ، أخذ عن العطار، (ت ١٢٦٢هـ) بمكة المكرمة. انظر: حلية البشر (١/١٦٥)، الأعلام (٣/٣٣٣).

- ١٣- عبد اللطيف بن علي مفتي بيروت^(١)، أجاز الألوسي.
- ١٤- حسين الداغستاني^(٢) أجاز الألوسي.
- ١٥- أحمد عارف حكمت^(٣) أجاز الألوسي بجميع مروياته، وأجازه الألوسي أيضاً.

(١) هو عبد اللطيف بن المفتي الشيخ علي فتح الله البيروتي الحنفي، تولى الإفتاء ببيروت مدة تزيد على عشر سنين، ثم رحل إلى دمشق وبها مات سنة بضع وخمسين ومائتين وألف.

انظر: فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م. (٢/٧٥٣-٧٥٤).

(٢) هو حسين أفندي الداغستاني قال فيه الألوسي: "قد رأيته أنا إذا اطلع تام على دقائق المعقول، ومشاركة كاملة في حقائق المنقول".

انظر: غرائب الاغتراب (ص ٨٧).

(٣) هو أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل، شهاب الدين، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، تولى القضاء في القدس ثم مصر ثم المدينة النبوية، وأخيراً تقلد منصب شيخ الإسلام في الآستانة أي مفتي عام الدولة التركية، ثم أقيل منه بعد ثمان سنوات فانقطع للعبادة والقراءة، واشتهر بخزانة كتب عظيمة في المدينة النبوية تعرف باسمه إلى اليوم، توفي بالآستانة سنة (١٢٧٥هـ)، وقد أفرده الألوسي بكتاب في ترجمته سماه "شهيد النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم" وهو مطبوع.

المطلب الرابع بعض تلامذته

إن رجلاً باشر التدريس غير الرسمي قبل أن يبلغ الحلم، وقبل أن يجاز، ثم لما أجزى وهو في الرابعة والعشرين من عمره، عُيِّن في اليوم نفسه مدرِّساً في إحدى المدارس، ثم درَّس في مدارس أخرى كثيرة وشهيرة، وبقي في صعود إلى أن تولى منصب الإفتاء، واشتهر ذكره وذاع صيته في الآفاق، بعد أن عُرف أولاً في العراق، وأصبح يُقصد بالأسئلة العويصة، من بلاد نائية وبعيدة، رجل كهذا لا بد وأن تشد إليه الرحال من قبل العشرات من طلبة العلم، ناهيك عن أهل بلده، الذين لا يختارون غيره، إذاً لن نكون مبالغين إذا ادعينا أن تلامذته يعدون بالمئات إن لم نقل بالآلاف^(١)، قال الكتاني^(٢): "وأخذ عنه هو كثيرون"^(٣)، وإليك بعضهم على سبيل الاختصار.

١ - عبد الرحمن بن عبد الله بن محمود الألوسي، أخو أبي الشاء^(٤).

٢ - عبد الحميد^(٥) بن عبد الله بن محمد الألوسي، أخو الألوسي.

٣ - ابنه عبد الله^(٦).

(١) قال في المسك الأذفر (ص ٦٧): "واشتغل عليه خلق كثير من قاص ودان، وتخرج عليه جماعة من الأفاضل الأعيان، وقصدته الطلبة من سائر الأرجاء، وتحافتوا عليه ولا تحافت الظمان على الماء".

(٢) هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسيني الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني، ولد وتعلَّم بفاس بالمغرب، عالم بالحديث ورجاله، له مؤلفات كثيرة منها "فهرس الفهارس (ت ١٣٨٢هـ). الأعلام (٦/١٨٧).

(٣) فهرس الفهارس (١/١٤٠).

(٤) كان رحمه الله مشهوراً بالوعظ والخطابة، ديدنه نصيح المسلمين، ولد سنة (١٢٢٤هـ)، ومات سنة (١٢٨٣هـ).

انظر: المسك الأذفر (ص ٨٥)، أعلام العراق (ص ١٢).

(٥) وُلِد سنة ١٢٣٢هـ وأصيب بالعمى في عامه الأول بسبب الجدري، وحفظ القرآن لست، وأخذ عن والده وأخيه، وكان شاعراً حسن الأسلوب (ت ١٣٢٤هـ).

انظر: أعلام العراق (ص ١٤)، والأعلام (٣/٢٨٨).

(٦) هو أبو السعود بماء الدين عبد الله بن محمود بن عبد الله الألوسي، وُلِد سنة (١٢٤٨) اشتغل بالتدريس فخرج عليه جماعة من الطلبة (ت ١٢٩١هـ). المسك الأذفر (ص ٨٩)، الأعلام (٤/١٣٦)، أعلام العراق (ص ٤٤).

- ٤ - ابنه عبد الباقي^(١).
- ٥ - ابنه نعمان خير الدين أبو البركات^(٢).
- ٦ - عبد الغفار الأخرس^(٣).
- ٧-٨ - عبد السلام الشواف^(٤). وأخوه عبد الفتاح الشواف^(٥).
- ٩ - محمد سعيد أفندي^(٦).
- ١٠ - محمد أمين بن محمد الأدهمي، الشهير بالواعظ^(٧).
- ١١ - محمد بن حسين آل عبد اللطيف^(٨).

-
- (١) هو سعد الدين عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة (١٢٥٠هـ) أخذ عن والده، ثم عن البندنجي، وتولى القضاء (توفي ١٢٩٨هـ) انظر: المسك الأذفر (ص ١٠٥)، الأعلام (٢٧٢/٣).
- (٢) أبو البركات خير الدين، نعمان بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة ١٢٥٢هـ وأخذ عن والده وعن الواعظ، وتولى القضاء ثم تركه، واشتغل بالوعظ والتدريس، أخذ عنه ابنه ثابت، وابن أخيه محمود شكري الألوسي صاحب "غاية الأماني". من أعظم آثاره "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" (ت ١٣١٧هـ).
- انظر: المسك الأذفر (ص ١١٠)، حلية البشر (١٥٧١/٣).
- (٣) هو الشاعر المشهور عبد الغفار بن عبد الرحمن بن وهب، قيل له الأخرس؛ لتلعثم بلسانه. ولد سنة (١٢٢٠هـ) بالموصل ونشأ ببغداد، قرأ "كتاب سيبويه" على أبي الثناء الألوسي، وبز أقرانه في الشعر، وقد جُمع شعره في ديوان بعنوان "الطراز الأنفس في شعر الأخرس" (توفي ١٢٩١هـ بالبصرة).
- انظر: المسك الأذفر (ص ١٩١)، الدر المنثور (ص ١٠٩)، الأعلام (٣١/٤).
- (٤) هو عبد السلام بن سعيد الكبيس البغدادي شواف زاده، ولد سنة ١٢٣٦هـ أخذ عن الألوسي، وعنه علي بن نعمان خير الدين (توفي ١٣١٨هـ).
- انظر: المسك الأذفر (ص ٢٠٤).
- (٥) مات سنة (١٢٦٢هـ) قبل بلوغه الثلاثين، من مصنفاته "حديقة الورود في مدح أبي الثناء محمود".
- انظر: المسك الأذفر (ص ٢٠٦)، الأعلام (٣٦/٤).
- (٦) محمد سعيد أفندي البغدادي الشهير بالأخفش، أديب وشاعر، شرح ألفية السيوطي في النحو (توفي بعد سنة ١٢٨٠هـ).
- انظر: المسك الأذفر (ص ٢٠٩)، الأعلام (١٤١/٦).
- (٧) هو محمد الأمين بن محمد الأدهمي البغدادي الشهير بالواعظ، فقيه أصولي أديب ناظم (توفي ١٢٧٣هـ).
- انظر: المسك الأذفر (ص ١٧٦)، الأعلام (٤٢/٦).
- (٨) هو الشيخ محمد بن حسين آل عبد اللطيف البغدادي، قال في المسك الأذفر (ص ١٦٧): "كان أوحده زمانه في فقه الشافعية، له دراية تامة بفنون العربية، وكان ذا تقوى وعفاف، متصفاً بأحسن الأوصاف".

المطلب الخامس آثاره العلمية

لقد ترك الألوسي وراءه ثروة علمية هائلة، وآثاراً واضحة، وفي ذلك قال محمد بهجة الأثري: "وآثار أبي الشاء تمتاز بالإحاطة والعمق واستقلال الفكر وحرية، مع روعة البيان، وحسن الافتنان في صياغة معانيه وأفكاره، وقد جاوزت مؤلفاته العشرين، عدا فتاواه وترسلاته وأشعاره"^(١). ومن أراد أن يعرف صدق هذه الشهادة فما عليه إلا أن يفتح تفسيره، أو أي كتاب آخر من كتبه، فسيجد مصداق ذلك. وفيما يلي أورد آثاره العلمية.

١/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، اشغل فيه خمسة عشر عاماً^(٢) كثيراً ما كان يواصل فيه الليل بالنهار، فجاء في خمسة عشر مجلدًا في ثلاثين جزءًا، وهو من أكبر التفاسير الموجودة حجمًا، وأغزرها مادة وعلمًا، أودع فيه مؤلفة عصارة علمه، ونفائس الأبحاث التي قد لا تجدها في غيره، وقد طُبِعَ عدّة طبعات، أولها في بولاق سنة (١٣٠١هـ).

٢/ الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية. يحوي ثلاثين سؤالاً مع أجوبتها في مختلف الفنون، وهو كتاب يدل على موسوعية مؤلفه وسعة أفقه؛ لأن هذه الأسئلة تعجيزية أرسلها علماء الروافض من إيران، فلم تجد من يتصدى للجواب عنها غير الألوسي^(٣). طبعت قديمًا سنة ١٣٠٧هـ بإسلامبول، وقد مدحها بعض الشعراء^(٤).

(١) أعلام العراق (ص ٢٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الشاء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، علّق عليها محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. (٤/١)، كانت البداية في ١٦/٨/١٢٥٢هـ، والنهاية في ٤/٤/١٢٦٧هـ.

(٣) انظر الأعلام (١٧٦/٧).

(٤) هو عبد الباقي العمري الفاروقي ومما قاله فيها:

إن السؤال والجواب مثل ما قد قيل في التمثيل أنثى وذكر

٣/ الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهوتية، وهو جواب عن سؤال ورد من علماء "لاهور" إلى علماء "بغداد" حول من يسبّ الصحابة، وقد طبعت سنة ١٣٠١ هـ في بغداد ولها نسخ محفوظة^(١).

٤/ النفحات القدسية في الرد على الإمامية، ألفها في أول حياته العلمية^(٢).

٥/ نهج السلامة إلى مباحث الإمامة، وهي آخر مؤلفاته^(٣).

٦/ كشف الطرّة عن الغرّة، - كتاب في اللغة - والغرّة: تلخيص لدرة الغواص للحريري، ويسمى أيضاً "غاية الإخلاص بتهذيب نظم درّة الغواص".

وهو عظيم في بابه يدل على تمكّن مصنفه من زمام اللغة العربية، طبع سنة ١٣٠١ هـ^(٤).

٧/ شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم، وهو في سيرة "عارف حكمت" طبع بتحقيق الخطراوي سنة ١٤٠٣ هـ^(٥).

٨/ حاشية شرح القطر - في النحو - كتبها وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ولم يتمّها، فأتمّها ابنه نعمان خير الدين، وقد طبعت بالقدس سنة ١٣٢٠ هـ ولها نسخة خطية في مكتبة المتحف العراقي^(٦).

٩/ حاشية علي بن عصام - في الاستعارة - سماها "بلوغ المرام" كتبها وهو ابن ست عشرة سنة^(٧).

١٠/ رسالة في ترجمته لنفسه كتبها وهو ابن ست عشرة سنة، عام ١٢٣٣ هـ^(٨).

(١) الأعلام (١٧٧/٧).

(٢) نفسه (١٧٧/٧).

(٣) المسك الأذفر (ص ٧٥).

(٤) المسك الأذفر (ص ٧٦-٧٧)، أعلام العراق (ص ٣١).

(٥) الأعلام (١٧٧/٧).

(٦) المسك الأذفر (ص ٧٦-٧٧)، الألوسي مفسراً (ص ٨٦).

(٧) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٨) (٤١٩/٢)، أعلام العراق (ص ٣٢).

- ١١ / شرح سلم العروج - في المنطق - كتبه وهو ابن تسع عشرة سنة^(٢).
- ١٢ / الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد، وهو شرح لقصيدة في رثاء خالد النقشبندی فرغ منها سنة ١٢٤٥هـ، وطبعت سنة ١٢٧٨هـ^(٣).
- ١٣ / الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب، والقصيدة لعبد الباقي العمري يمدح فيها عبد القادر الجيلاني فرغ منها سنة ١٢٥٥هـ وطبعت سنة ١٣١٣هـ^(٤).
- ١٤ / الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية، والقصيدة لعبد الباقي العمري يمدح بها علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي من أواخر مصنفاته^(٥).
- ١٥ / فوائد وتعليقات في النحو، منه ورقتان في مكتبة الأوقاف العامة^(٦).
- ١٦ / المقامات: وهي خمس مقامات. وتعرف بمقامات ابن الألوسي، طبعت واحدة منها بعنوان "إنباء الأبناء"^(٧).
- ١٧ / التبيان شرح البرهان في إطاعة السلطان، منه نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد^(٨).
- ١٨ / الفوائد السنية من الحواشي الكلبوية، في الآداب والمناظرة، وهو مختصر حاشية الكلبوي على حاشية مير أبي الفتح، منها نسخة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد^(٩).

(١) ذكرها ابنه نعمان خير الدين في كتابه: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تقديم علي السيد صبحي، مطبعة المدني. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. (ص ٣٠)، وحفيده محمود شكري الألوسي في كتابه "غاية الأمان في الرد على النبهاني"، توزيع

مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم، جدة. (٩٨/٢).

(٢) الدر المنثور (ص ٢٩)، ذكرى أبي الثناء. (ص ٨٥).

(٣) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٤) هدية العارفين (٤١٩/٢).

(٥) المسك الأذفر (ص ٧٩).

(٦) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٧) المسك الأذفر (ص ٧٩).

(٨) المصدر نفسه (ص ٧٦).

١٩ / نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، فرغ منه سنة ١٢٦٨ هـ طبع سنة ١٢٩١ هـ تكلم فيه عن سفره إلى إسلامبول^(٢).

٢٠ / شجرة الأنوار ونوار الأزهار، تكلم فيه عن ذرية فاطمة الزهراء رضي الله عنها، منها نسخة بخط ابنه نعمان في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد^(٣).

٢١ / نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، ذكر فيه أخبار رجوعه من إسلامبول إلى بغداد، كتبه سنة ١٢٦٩ هـ^(٤).

٢٢ / غرائب الاغتراب، ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، ترجم فيه لنفسه، وبعض مشايخه، والعلماء الذين لقيهم في طريقه أو في إسلامبول، وبعض الأبحاث العلمية والأدبية التي جرت بينه وبين عارف حكمت في إسلامبول، وقد فرغ منه سنة ١٢٧٠ هـ، وطبع ببغداد سنة ١٣٢٧ هـ^(٥).

٢٣ / سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، وهو في حكم الجهاد وفضله، وحكم مصالحة المحاربين، فرغ منه سنة ١٢٧٠ هـ وطبع سنة ١٣٣٣ هـ^(٦).

٢٤ / تعليقات على ألفية ابن مالك، ذكره في تفسيره روح المعاني (١٢/١٦٦)^(٧).

٢٥ / العزّة: وهو نظم لدرة الغواص للحريري^(٨).

٢٦ / تعليقات على عدة كتب في المعقول والمنقول والفروع والأصول^(٩).

(١) الدر المنشر (ص ٣١).

(٢) جلاء العينين (ص ٥٨).

(٣) غرائب الاغتراب (ص ١١).

(٤) أعلام العراق (ص ٣١).

(٥) المسك الأذفر (ص ٧٥).

(٦) المسك الأذفر (ص ٧٩).

(٧) الألوسي مفسراً (ص ١٤٢).

(٨) ذكرى أبي الشتاء (ص ٨٩).

٢٧/ التبيان في مسائل إيران، قدّمه إلى السلطان محمود خان^(٢).

٢٨/ دقائق التفسير، هذا الكتاب نسبه إليه غير واحد من الفضلاء، منهم الأستاذ محمد بهجة الأثري في أعلام العراق (ص ٣١)، والزركلي في الأعلام (١٧٦/٧)، لكن الأستاذ محسن عبد الحميد في كتابه "الألوسي مفسراً" (ص ١٤٢) قال: "إن نسبته إلى الألوسي خطأ، واستظهر أن التسمية هي التي من الألوسي كما صرح بذلك في غرائب الاغتراب^(٣) ونشوة المدام (ص ٥٢)، وأما الكتاب فإنه عبارة عن مجموعة رسائل وبحوث في التفسير كتبها طائفة من المفسرين مثل: الزمخشري^(٤) والبيضاوي^(٥) والرازي^(٦) والدواني^(٧) وأبو السعود^(٨)

(١) الألوسي مفسراً (ص ١٤٢).

(٢) ديوان الأخرس، عبد الغفار البصري، تحقيق: وليد الأعظمي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. (ص ٦٥٥).

(٣) غرائب الاغتراب (ص ١٩٨).

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم، الخوارزمي صاحب "الكشاف" (ت ٥٣٨هـ).
انظر: الأعلام (١٧٨/٧).

(٥) هو عبد اله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي الشيرازي الشافعي ناصر الدين أبو سعيد قاض مفسر فقيه أصولي، من كتبه "أنوار التنزيل" (ت ٦٨٥)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية. (١٥٧/٨)، الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين خليل، اعتناء هلموت رينز، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية. (٣٧٩/١٧)، الأعلام (١١٠/٤).

(٦) هو الفخر، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، أبو عبد الله التميمي الشافعي صاحب "التفسير الكبير". (ت ٦٠٦هـ). انظر: الأعلام (٣١٣/٦).

(٧) جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الشافعي الدواني قاض متكلم، سكن شيراز، وولي قضاء فارس. من مصنفاته "شرح العقائد العضدية" (ت ٩١٨هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (١٦٠/٨)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. (١٦٤/١)، والأعلام (٣٢/٦).

(٨) هو محمد بن محمد بن مصطفى، أبو سعيد العمادي، تولى القضاء والإفتاء بالآستانة (ت ٩٨٢هـ) انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي، تصحيح وتعليق: محمد بدر الدين النعاني، نشر دار الكتاب الإسلامي (ص ٨١)، الأعلام (٥٩/٧).

وابن كمال باشا^(١) وأضرابهم، وقد عني بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) سنة (١٠٨٥هـ)، وقد علّق عليها الألوسي بكلام لبعض مشايخه وغيرهم، وصحّحها ونسب الأقوال لأصحابها في أكثر المواضع. والأستاذ محسن عبد الحميد يستند في معلوماته على ورقة وقع عليها في مكتبة هاشم الألوسي بخط وإمضاء الأستاذ منير القاضي^(٢) يقول فيها ما ملخصه: "طالعت كتاب "دقائق التفسير" وهي مخطوطة ملك الأستاذ السيد هاشم الألوسي، ورثها عن أبيه عن جد أبيه المفسر الشهير، فتحصل عندي أن المخطوطة ليست من مؤلفات المفسّر، بل هي مجموعة عني بجمعها رجل من أهل العلم اسمه (مصطفى) علّق عليها الألوسي، وعني بتصحيحها من محض فكره الصائب"^(٣) هذا ما قيل، وفي النفس منه شيء؛ لأن عبارة الألوسي شبه صريحة في أنه هو الجامع لها، إذ يقول: "وقد أثبت جميع ما كتب هؤلاء الأجلّة في مجموعة لي سميتها "دقائق التفسير"^(٤).

(١) هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين قاضي، تولى الإفتاء بالآستانة (ت ٩٤٠هـ).

انظر: الأعلام (١/١٣٣).

(٢) هو الأستاذ منير بن خضر الشهير بالقاضي (ت ١٣٩٠هـ).

انظر: المسك الأذفر (١٤)، تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف: يونس إبراهيم السامرائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. (٦٧٩).

(٣) الألوسي مفسراً (ص ١٤٢).

(٤) نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، لأبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣هـ. (ص ٥٢).

المطلب السادس مكانته العلمية

إن قيمة الإنسان ومكانته تعلو وتكبر بقدر تأثيره في مجتمعه، وما خلفه من آثار نافعة، ودعوة إصلاحية هادفة تكون سبباً في تغيير بعض المفاهيم الخاطئة، والانحرافات السائدة، وقد يبذل العالم جهوداً مضنية في الإصلاح، لكنه لا يجد على نصرة الحق أعواناً، فيكون تأثيره محدوداً وإن طالت مدة دعوته أزماً، وآخر قد يبذل جهداً أقل، ويكون له تأثير أكبر بسبب الأنصار والأعوان، وقد يكون الأول أعلم من الثاني.

وشخصيتنا التي نحاول أن نسلط الأضواء على مكانتها العلمية هي شخصية بارزة معالمها بروز الشمس في رابعة النهار، معروفة في جميع الأمصار، اشتهر ذكرها وذاع صيتها في كثير من الجهات، أصبح يقصدها علماء الآفاق بمسائلهم المعضلات، والعلماء -عادة- لا يقصدون بأسئلتهم العويصة إلا من حسن ذكره، وعلت مكانته العلمية، وسلم له كبارهم وصغارهم.

ومن المعالم التي رفعت من شأنه، وزادت في علو مكانته، تفسيره الشهير، الذي اشتهر شهرة واسعة، وهو كتابه (روح المعاني) الذي أثنى عليه كل من اطلع عليه من العلماء وغيرهم.

ومنها توليه منصب الإفتاء، وهو منصب خاص لأعلم علماء العراق. وقد ذكر بعضهم أن الإمام الألوسي لو كان يعيش في الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية لتولى مشيخة الإسلام فيها، إذ كانوا يطلقون على المفتي العام للدولة (شيخ الإسلام)^(١).

وقد دلَّ على ذلك تركية المفتي له عند السلطان، وقد كان وقتها هو الشيخ (عارف حكمت) قال: "إنكم كلما بالغتم في إكرام هذا الرجل، فهو بالنسبة إلى ما ينبغي له قل من جل"^(٢).

(١) ذكرى أبي الشاء الألوسي (ص ٥١).

(٢) غرائب الاعتزاف (ص ٦١).

وهذه الشهادة من مثل هذا العالم الذي يتولى أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية تدل على أن الإمام الألوسي بلغ النهاية في علو المكانة بين علماء عصره، والشيخ عارف حكمت لم يقل هذه الكلمة من فراغ، وإنما قالها بعد ما اطلع على تفسيره "روح المعاني"، وجرت بينهما مطارحات ومناقشات علمية في مسائل اشتهرت بين العلماء بأنها عويصة ودقيقة^(١).

ومما يدل أيضا على علو مكانة الألوسي العلمية أن الشيخ عارف حكمت وهو الكبير في السن والمقام استجازه فأجازه^(٢)، وأجازه هو أيضًا، ولما كان منصب الإفتاء لا يسند إلا لمن كان حنفي المذهب -وقد كان هو شافعيًا- دفعه علو همته لدراسة المذهب الحنفي في مدة قصيرة^(٣) وهذا يدل على أن العلوم أصبحت طيعة لديه، وليس انتقاله عن مذهبه الفقهي إلى غيره بمذموم، ولا هو في فعله هذا ببدع، فقد عرف عن جمع من العلماء انتقالهم عن مذهبهم الفقهي إلى غيره. وقد جمعهم الشيخ بكر أبو زيد في تأليف له ضمن كتابه النظائر^(٤).

ومما زاد من سمو مكانة الألوسي ما اشتهر به من الذكاء المفرط، وقوة الاستحضار والعارضة وسرعة البداهة.

قال حفيده أبو المعالي^(٥) في المسك الأذفر^(٦): "وكان رحمه الله في الفطنة والذكاء، لا تجاربه ذكاء^(١)، ذا ذهن أشد من البرق لمعا، وفكر أحد من السيف قطعاً، شهاباً ثاقباً، وسهما لغرض الدقائق صائباً... وكان في قوة الاستحضار لا يُجارى، وفي البداهة وسرعة الانتقال لا يُبارى".

(١) ذكر الألوسي هذه المباحثات في رحلته "غرائب الاغتراب" (ص ١٥٠ فما بعدها).

(٢) غرائب الاغتراب (ص ١٤٦)، والألوسي مفسراً (ص ٨٠).

(٣) المسك الأذفر (ص ٧٨)، والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٣٨/٢).

(٤) النظائر، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار العاصمة، الرياض، السعودية. (ص ٩٠ - ١٢٥).

(٥) هو محمود شكري الألوسي صاحب "غاية الأمان في الرد على النبهاني"، و"صب العذاب على من سب الأصحاب" ت ١٣٤٢هـ. ترجمته في أعلام العراق للأثري.

(٦) (ص ٦٩).

ومصادقاً لهذه الأوصاف ننقل هنا قصة طريفة وقعت بينه وبين أحد الروافض، من فهمها أدرك قوة عارضة هذا الرجل وسرعة بدهته.

جرت مناقشة بين الألوسي ورافضي حول حديث الافتراق^(٢)، قال الألوسي: "ومن غريب ما وقع أن بعض متعصي الشيعة الإمامية من أهل زماننا واسمه "حمد" روى بدل "إلا واحدة" في هذا الخبر "إلا فرقة"، وقال: إن فيه إشارة إلى نجاة الشيعة؛ فإن عدد لفظ "فرقة" بالجُمْل^(٣) وعدد لفظ "شيعة" سواء"^(٤)، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: "إلا الشيعة"، والمشهور بهذا العنوان هم "الشيعة الإمامية" فقلت له بعد عدة تزييفات لكلامه: يلزم هذا النوع من الإشارة أن تكون "كلباً"؛ لأن عدد "كلب" وعدد "حمد" سواء^(٥) فألقم الكلب حجراً انتهى^(٦).

وكان رحمه الله يقول عن نفسه: "ما استودعت ذهني شيئاً فحانني، ولا دعوت فكري إلا وأجابني"^(٧).

ومما يدل أيضاً على رفعة مكانته احترام أقرانه ومعاصريه له، وتقديرهم لمقامه، وما ورد من الثناء الجميل والمدح بعبارات التفخيم والتبجيل، حتى تجاوز بعضها حدود الشرع الجليل.

(١) ذكاء هي الشمس.

(٢) وهو قوله ﷺ: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..". أخرجه أبو داود في سننه (سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، لبنان). في كتاب السنة، باب شرح السنة (٦٠٨/٢)، والإمام أحمد في مسنده، مؤسسة قرطبة - القاهرة (٣٣٢/٢)، رقم (٨٣٧٧)، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أي بحساب الجمل "أب ١٢٣٤٥٦٧٨٩١٠، هـ ٧٦٥٧، ح ٨٩١٠، ك ٣٠١٢٠٣، ز ٤٠٤٠٥٠٦٠٧٠٨٠٩، ص ٩٠، ق ١٠٠ ر ٢٠٠ ش ٣٠٠ ت ٤٠٠، ث ٥٠٠ خ ٦٠٠ ذ ٧٠٠، ظ ٨٠٠ ض ٩٠٠ غ ١٠٠٠".

(٤) كلمة "فرقة" - ف ٨٠ ر ٢٠٠ ق ١٠٠ هـ ٣٨٥ (و) (الشيعة = ش ٣٠٠ ي ١٠ ع ٧٠ هـ ٣٨٥).

(٥) كلمة كلب - ك ٢٠ ل ٣٠ ب ٢ = ٥٢ (و) (حمد = ح ٨ م ٤٠ د ٤ = ٥٢).

(٦) روح المعاني (٦٨/٨).

(٧) المسك الأذفر (ص ٧٠)، والدر المنثور (ص ١٩).

ومما حلني به ما نقله ابنه نعمان خير الدين عن صاحب "حديقة الورود" قال: "شيخ علماء العراق.. وحيد الدهر بالاتفاق، كريم الذات بديع الأخلاق، خاتمة المفسرين، وسعد المحققين، وفخر علماء المسلمين، والواصل إلى رتبة الاجتهاد، الذي شرّق وغرّب ذكره في البلاد، أخذ العلوم عن علماء محققين.. وقد ألّف ودرّس وهو دون العشرين" ونقل أيضاً عن أريج الند والعود" قوله: "... كان نادرة الأوان، وممدوحاً بكل لسان، قصدته العلماء من الأقطار البعيدة، ولم يسمع بمثله في كافة الأقاليم منذ سنين عديدة، مع تقوى وصلاح وديانة قوية، وسخاء وكرم وصدقات خفية"^(١).

وقال فيه حفيده أبو المعالي: "... كان صدر المدرسين، وخاتمة المفسرين، أحد أفراد الدنيا في أدبه وفضله وعلمه، وبلاغته وذكائه وفهمه"^(٢).

وقال فيه حفيده الآخر علي علاء الدين: "هو المفسّر الكبير، والعالم النحرير، الذي طارت شهرته في الآفاق، ورئيس علماء العراق"^(٣). وقال العلامة صديق حسن خان^(٤): "كان رحمه الله خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين"^(٥).

وقال نجله السيد أحمد: "كان عالماً باختلاف المذاهب مطلعاً على الملل والنحل والغرائب، سلفي الاعتقاد شافعي المذهب"^(٦).

(١) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٥٧-٥٨).

(٢) انظر المسك الأذفر (ص ٦٦).

(٣) الدر المنتشر (ص ١٥).

(٤) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب، من رجال الإصلاح، صنف مصنفات كثيرة نيفت على الستين منها "الدين الخالص" (ت ١٣٠٧هـ). انظر: جلاء العينين لنعمان خير الدين الألوسي (ص ٣١)، والأعلام للزركلي (٦/١٦٧).

(٥) التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، تأليف: العلامة صديق بن حسن خان القنوجي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م. (ص ٥١٧).

(٦) التاج المكلل (ص ٥١٨).

وقال الأستاذ العلامة محمد بهجة الأثري:

"هو طود العلم، وعضد الدين، وفحل البلاغة، وأمير البيان، وعين الأعيان، وإنسان عين الزمان، انفسحت في العلم خطاه فأذعن له الحب والمغناظ، وأرزم سحاب^(١) أدبه فروى الغياض والرياض، فهو ابن العلم وأبوه، وعم الأدب وأخوه، وله من المكانة الرفيعة والمقام المحمود، ما يغني عن الإشادة بذكره، والإطالة في إطرائه"^(٢).

وقال الأستاذ عباس العزاوي -وهو من أفاضل مؤرخي العراق-: "إن العصر الحديث في العراق يجب أن يسمى عصر الألوسي؛ لأنه كان المصباح المضيء في كل اتجاه، حيث رفع الأسلوب العلمي بتأليفه المتشعب في النحو والفقه والتفسير والتاريخ.. فكان أستاذًا كبيرًا لمدرسة في التأليف"^(٣).

وقال فيه الزركلي: "مفسّر محدّث أديب من المجتهدين.. سلفي الاعتقاد مجتهد"^(٤).

وقد اعتمده العلامة المصلح الشيخ محمد رشيد رضا^(٥) في كثير من المباحث في تفسيره المنار، ووصفه بالنقاد.

وقال الدكتور محمد حسين الذهبي: "شيخ علماء العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نواذر الأيام... محدّث لا يجارى، ومفسّر لكتاب الله لا يبارى"^(٦).

(١) أرزم الرعد: اشتد صوته، انظر: القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان. (ص ١٤٣٨)، مادة: "رزم".

(٢) أعلام العراق (ص ٢١).

(٣) ذكرى أبي النّاء (ص ٦٠)، والنهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين (٤٧/٢).

(٤) الأعلام للزركلي (١٧٦/٧).

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني البغدادي المصري الحسيني، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، قال فيه الدكتور تقي الدين الهلالي: "إمام الدعوة في زمانه" (ت ١٣٥٤هـ)، انظر: الأعلام (١٢٦/٦).

(٦) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. (٢٥٠/١).

ومن المظاهر الجليلة التي تنادي بعلو مكانته أيضاً: مدح الشعراء له في حياته، ورتاؤهم إياه بعد مماته.

ومن أشهر الذين مدحوه وأثنوا عليه وأطروه: الشاعر المشهور الذي بَرَّ أقرانه وأخرسهم عن مجاراته، السيد عبد الغفار بن عبد الواحد الأخرس (ت ١٢٩١ هـ) له ديوان مطبوع بعنوان "ديوان الأخرس"، تجاوزت صفحاته السبعمائة، ضمَّ بين طياته قصائد كثيرة من بينها سبع وثلاثون قصيدة كلها في مدح الإمام الألوسي ما بين طويلة وقصيرة في مناسبات عدّة. قال في بعض قصائده^(١):

السيد المحمود في خلالـه	وفائض البحرين علماً وندى
يقول مَنْ ناظرَه في علمه	ما بعد هذا غاية ومنتهى
لا هو بالفظ الغليظ قلبه	وبالوغى أشد من صمّ الصفا
تخاله حين تراه ضاحكاً	كروضة باكرها قطر الندى
فاق الأنام بالتقى وبالحجى	وزينة المرء التقى مع الحجا
ما زال يرقى بالحجا وبالنهى	حتى رقى بالعلم أعلى مرتقى
لا يخشى في الله لوم لائم	أفتى على الحق وبالحق قضى
وقال يرثيه بعد موته ^(٢) :	

الله يعلم والأنام شهود	إن الذي فقد الورى لفريد
كان الإمام به الأئمة تقتدي	فله الهدى ولغيره التقليد
ظلاً على الإسلام كان وجوده	حتى تقلص ظلُّه الممدود
فلفقده في كل قلب لوعة	ولذكره في حمده ترديد
فزوال ذاك الطود بعد ثباته	ينبئك أن الراسيات تبيد
وجزيت خيراً بعدها عن أمة	علماؤها مما أفدت تفيد
أظهرت بالآيات ما بظهورها	يخفى النفاق ويعلن التوحيد

(١) ديوان الأخرس (ص ٧٦-٧٧).

(٢) المصدر نفسه (ص ٦٦٦).

وممن مدحه من الشعراء المشهورين أيضاً: عبد الباقي بن سليمان العمري الفاروقي (ت ١٢٧٨هـ)، وله ديوان مطبوع بعنوان "الترياق الفاروقي" مدحه فيه أيضاً بقصائد كثيرة في مناسبات عديدة.

ومما قاله فيه وفي كتابه "الأجوبة العراقية على الأسئلة الإيرانية":

إن السؤال والجواب مثل ما	قد قيل في التمثيل أنثى وذكر
وهذه أسئلة عويصة	عن حلها كَلَّتْ أنامل الفكر
أبكارها ليس لها من ثاقب	سوى شهاب الدين محمود
علامة الدنيا مع العليا له	كم طاب في مُحْلُولِكِ الليل سمر
وقال:	

روح معانيه التي دونها	في أعين الأعيان تزهو كالخور
فيها لها مسائل منها انبرت	وسائل بُرْها تُها لنا ظهر ^(١)

وهناك شعراء آخرون كثيرون عاصروه، وعرفوا قدره، فتحرّكت شاعريتهم لمدحه والإشادة بعلمه وفضائله، وقد جمع كل ذلك في كتاب "حديقة الورود في ترجمة أبي الشاء محمود"^(٢) وهو في جزئين كبيرين، كتبه تلميذه عبد الفتاح الشواق، ومات قبل أن يتمه، ثم أتمه إبراهيم بكتاش، والسيد نعمان خير الدين الألوسي، قال الأستاذ محسن عبد الحميد: "ولا أظن أن عالماً قبله ولا بعده قيل فيه من القصائد في المدح والترحيب به وراثته أكثر منه، ولو أننا جمعنا كل ما ورد عنه في دواوين شعراء زمانه لحصلنا على ديوان من الشعر كامل"^(٣).

(١) الترياق الفاروقي، أو ديوان عبد الباقي العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ.

١٩٦٤ م. (ص ٣٤٥-٥٤٦).

(٢) انظر المسك الأذفر (ص ٦٥، وص ٢٠٧).

(٣) الألوسي مفسراً (ص ٨٢)، وانظر ذكرى أبي الشاء (ص ٩٤).

المبحث الثاني

لمحة عن عصر الألويسي

وفيه مطلبان

المطلب الأول: الحالة السياسيّة.

المطلب الثاني: الحالة العلميّة والدينيّة.

المطلب الأول الحالة السياسية

إن من الضروري أن نذكر في البدء أنَّ الاستقرار السياسي سبب رئيس من أسباب الازدهار العلمي، وهذا يتَّضح جليًّا من قراءة تاريخ الأمم، وعالم في مقام الألوسي تولَّى منصب الإفتاء الرسمي، لابد وأن يكون ذا صلة قويَّة بالوضع السياسي، ولذا لا ينبغي أن يُغفل هذا الجانب من التعريف به، والعصر الذي سنعطي عنه هذا اللمحة يمتد من سنة ١٢١٧ هـ - ١٢٧٠ هـ.

وفي هذه الحقبة من التاريخ لم يكن الوضع مستقرًّا في العراق لعوامل عدَّة، بعضها يرجع إلى نظرة السلطة في الآستانة إلى الوالي في العراق، وفقدان الثقة بينهما، وهناك أسباب داخلية مثل الثورات، وأسباب خارجية مثل أطماع الدول الكبرى الكافرة في دولة الخلافة، والعمل من أجل إسقاطها.

"وفي هذا الحين كانت الدولة العثمانية قد بلغت سنَّ الشيخوخة، بعد أن كانت من قبلُ دولة عظيمة رافعة راية الجهاد، تهابها الدول الكافرة وتخشى سطوتها"^(١).

"ومن الأحداث السياسيَّة التي أثَّرت على الألوسي أن محمد نجيب باشا، الذي كان قبلُ واليًّا على دمشق، ثم جيء به إلى بغداد سنة ١٢٥٨ هـ فلم يكن هذا الوالي على وفاق مع الألوسي، فأساء معاملته، وعزله عن الإفتاء، ومنع عنه وقف المدرسة المرجانية، وقد عُزل سنة ١٢٦٥ هـ"^(٢).

(١) ولمعرفة ذلك تُراجع الكتب التي أُرِّخت لحكم هذه الدولة ككتاب "تاريخ الدولة العلية العثمانية" لمحمد فريد بك، تحقيق: إحسان حقي، طبعة دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية. ١٤٠٣ هـ.

(٢) الألوسي مفسرًا (ص ٣٢)، أعلام العراق (ص ٢٤-٢٥).

وفي السنوات الخمس الباقية من عصر الألوسي، تولى فيها أربعة وزراء، هم: عبد الكريم نادر باشا، ومحمد وجيه باشا، ومحمد رشيد باشا الكوزلي، ونامق باشا الكبير^(١).

فهذه الحقبة -التي استعرضت حكامها- لم يكن الوضع فيها مستقرًا، مما كان له كبير الأثر في حياة الألوسي رحمه الله، وخاصة إذا علمنا أن صلتته بالسلطة كانت بين المد والجزر؛ بسبب موقف بعض الولاة منه.

(١) أعلام العراق (ص ٢٦).

المطلب الثاني

الحالة العلمية والدينية

إن الحالة العلمية في الدولة العثمانية كانت بصفة عامة لا تتناسب مع قوّتها وعظمتها في عهد ازدهارها، وربما يرجع ذلك إلى أن لغتها لم تكن هي لغة القرآن، وفي عصر الألوسي كان الاهتمام بالناحية العسكرية طاغياً على العلوم الأخرى؛ وسبب ذلك أنها كانت تواجه مؤامرات كبيرة للقضاء عليها^(١).

أما بخصوص بغداد فإنها كانت -إلى حدّ ما- في عصر الألوسي تتمتع بنهضة علمية لا بأس بها، خاصة في ولاية داود باشا - الذي طالت ولايته أكثر من غيره؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنه كان من أهل العلم، ولا يقدرّ العلم إلا ذووه.

فقد كثرت في عهده المدارس بتشجيع منه، ورعاية لها وللعلماء والمتعلّمين. فكان عصره بداية للنهضة العلمية الحديثة في العراق كما يرى بعض الكتّاب^(٢).

وأما الحالة الدينية عند العثمانيين فإنها كانت قد بدأت في الانحدار قبل عصر الألوسي، وأدرك ذلك الخاص والعام، وقد أقرّ بذلك حتى بعض الحكام. وفي هذا يقول السلطان عبد المجيد الأول في خطاب له موجّه إلى عامة الناس عقب توليته منصب الخلافة سنة ١٢٥٥هـ.

قال: "لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة، والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها.

ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية، ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حدّ الغاية. وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامثال للشرع الشريف، والقوانين المنيفة، بناءً على طروء الكوارث المتعاقبة، والأسباب المتنوعة، فتبدّلت قوتها بالضعف، وثروتها بالفقر... إلخ^(٣).

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية (٤٥٥-٥٢٩).

(٢) الألوسي مفسراً. (ص ٣٣).

(٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية. (ص ٤٨١).

المبحث الثالث

عقيدة الألوسي ومذهبه ووفاته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عقيدته، وفيه أربع مسائل.

المطلب الثاني : مذهب

المطلب الثالث: وفاته

المطلب الأول

عقيدته ، وفيه أربع مسائل .

المسألة الأولى: خطورة الحكم على عقائد المسلمين، وما ينبغي أن يتحلَّى به المرء المتصدِّي لذلك:

عندما يريد الإنسان أن يتحدَّث عن عقيدة أحد المسلمين، وبخاصة إذا كان عالماً من علمائهم فإنه يلزمه أن يكون حذراً غاية الحذر، ومتجرّداً إلى أبعد حد ممكن عن كل خلفيات أو إشاعات أو ما شابه ذلك، وسواء أكان الأمر يتعلّق بالعقيدة أم بغيرها فإن الأمر خطير، إذ لا يجوز كلام الرجل على غيره إلا لمقصد شرعي، وفي حدود الحاجة والضرورة، وإلا كان ذلك غيبة^(١)، وفي الحديث: "كل المسلم على المسلم حرام..."^(٢) وقد اشترط بعض العلماء شروطاً لمن يريد أن يصدر أحكاماً على الغير فقال: "يشترط فيه أن يكون عارفاً بحال المترجم علماً ودينياً وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جداً، وأن يكون حسن العبارة، عارفاً بمدلولات الألفاظ حسن التصور، بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى، فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرد عن الهوى عزيز، فهذه أربعة (شروط)"^(٣) وزاد بعضهم "الورع والتقوى، وعدم الأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف وترك المجازفة"^(٤)، وينبغي على هذا المتحدث أن يعلم أنه سيسلك طريقاً مخفوقاً بالمخاطر قد يضل فيه إن لم يكن على بينة من أمره، ولم يكن عنده نور من كتاب ربّه، وسنة نبيه صلى الله

(١) انظر رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد الدقاق. دار الفحاء، دمشق سوريا. دار السلام الرياض، السعودية. (ص ٤٥٠).

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان. حديث رقم (٢٥٦٤)، (٤/١٩٨٦).

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: فرانز روزنثال، وصالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت. (ص ١٣٢).

(٤) نفسه (ص ١٣٠).

عليه وسلم، ولا ينس أنه سيحاسبه الله على كل ما نطق به لسانه، أو رقمه قلمه، قال تعالى: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"^(١) وقال ابن دقيق العيد^(٢): "ما تكلمت بكلمة أو فعلت فعلاً إلا وأعددت لذلك جواباً بين يدي الله سبحانه"^(٣).

وعليه أيضاً أن يستحضر أن العلماء ورثة الأنبياء، فيعرف لهم قدرهم، ومكانتهم، ويحسن الظن بهم، ولا يأخذهم بلازم القول، ولا يحمل كلامهم ما لا يحتمل، فإن المتكلم هو أحق بتفسير كلامه من غيره، وعليه أن يحمل كلامهم على أحسن المحامل ما أمكنه ذلك.

قال الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، عند كلامه على طبقات الرواة: "فلا يقصر بالرجل العالي القدر عن درجته، ولا يُرفع متضع القدر في العلم فوق منزلته، ويُعطى كل ذي حق فيه حقه، وينزل منزلته. وقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم"^(٤).

وقال سعيد بن المسيب^(٥): "ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله"^(٦).

(١) انظر سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان. حديث رقم (٢٦١٩)، وسنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، لبنان. حديث رقم (٣٩٣٧)، ومسند أحمد. (٢٣١/٥).

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين (ت ٧٠٢). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ. (٩١/٤).

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٢٣-١٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم (٢/٦٧٧)، رقم (٤٨٤٢).

(٥) هو سيد التابعين في زمانه، أبو محمد، سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي (توفي ٩٤).

انظر: الحلية (١٦١/٢).

(٦) جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. (٨٢١/٢) رقم (١٥٤٠)، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي (ص ١٢٦-١٢٧).

المسألة الثانية: الألوسي سلفي العقيدة في الجملة:

وبعد هذه التوطئة - التي هي بمنزلة المعالم لمن يريد أن يتحدث في هذا الباب - أدخل في الموضوع مستعيناً بالله ومسترشداً به فأقول: إن الإمام الألوسي رحمه الله عالم متبحر في كل العلوم الإسلامية حتى قيل فيه: "إنه أستاذ الكل في الكل"^(١) واسع الاطلاع، له صبر وجلد على المطالعة والكتابة عجيب، حتى إنه كان في كثير من الأحيان - إن أعوزه الشمع - يقرأ على ضوء القمر^(٢) فأدى به ذلك إلى أن يطلع على الكتب الإسلامية بجميع مذاهبها وعقائدها المتباينة، ولم يكن عنده تعصب يمنعه من الاستفادة من الغير، وإنما الحكمة ضالته حيثما وجدها أخذها، وهذا التوسّع في المدارك هو الذي جعله يطلع على بعض كتب السلف، ويستفيد منها، كما أن بعض مشايخه كان له ميل إلى مذهب السلف .

هذه العوامل كلها جعلت الألوسي يختار لنفسه مذهباً خاصاً به، ولا عجب في ذلك، فقد كان يملك الوسائل التي تمكنه من الاجتهاد، - فتجده لتمكنه من الاطلاع على أقوال الناس يعرضها، ويختار منها ما يراه صواباً، معتمداً في ذلك على الدليل من الكتاب والسنة، ويرد ما يراه مخالفاً للكتاب والسنة. وانظر على سبيل المثال ما اختاره في مسألة خلق أفعال العباد، وكيف ردّ على الجبرية والقدرية والمعتزلة والأشعرية^(٣). وعلى ضوء ما قلنا فإنه من الصعب جداً أن نصدر حكماً قولاً واحداً على عقيدة الألوسي، وذلك لتعدد مشايخه، فعقيدته تتجاوزها عدّة مذاهب، إلا أن الغالب عليه هو مذهب السلف.

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص ٥٩).

(٢) روح المعاني (٣/١).

(٣) روح المعاني (٨٧/١).

المسألة الثالثة: نقول عن ابن تيمية والذهبي وابن القيم في التعامل مع العلماء الذين جمعوا بين الخطأ والصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة، أو المخالف للكتاب والسنة، إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه، إما الاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإما لعدم قدرته"^(١). وقال أيضا رحمه الله: "والخطأ والغلط مع حسن القصد وسلامته، وصلاح الرجل وفضله ودينه وزهده وورعه وكراماته كثير جدًّا، فليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا من الخطأ والغلط، بل ولا من الذنوب"^(٢).

وقال في مكان آخر - بعد أن ذكر أن الرجل العظيم القدر قد يحصل منه ما لا ينبغي اتباعه بسبب الاجتهاد والهوى الخفي - فتفتن به طائفتان: طائفة تحاول تصويب ما أخطأ فيه واتباعه عليه، وطائفة تذمه وتطعن في إيمانه، وكلاهما على خطأ، وبين أن أهل الأهواء انخرفوا بهذا السبب - قال: "ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبّه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب، ويجب من وجهه، ويبغض من وجهه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة"^(٣).

وقال الإمام الذهبي^(٤) رحمه الله: "إن الكبير من أئمة العلم إذا كثرت صوابه، وعلم تحريره للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين. (٣٧٢-٣٧١/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٩٣/١٠).

(٣) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م. (٥٤٣-٥٤٤).

(٤) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي "صاحب السير" وغيره من المصنفات المفيدة (ت ٧٤٨ هـ) انظر: الدرر الكامنة (٣٢٦/٣).

له الله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم لا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك" (١).

المسألة الرابعة: وقفات مع الألوسي في بعض مسائل الاعتقاد.

الوقفه الأولى: اعتباره التأويل قولاً على الله بغير علم.

قال: "وأنت تعلم أن الأسلم ترك التأويل؛ فإنه قول على الله تعالى من غير علم، ولا نؤول إلا ما أوله السلف، ونتبعهم فيما كانوا عليه، فإن أولوا (٢) أولنا، وإن فوّضوا فوّضنا، ولا نأخذ تأويلهم لشيء سُلّمنا لتأويل غيره" (٣).

الوقفه الثانية: دعوته إلى التمسك بما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه إذا صحّ الحديث فهو مذهبه.

فقال: "والحاصل أن كل ما جاءنا عن رسول الله ﷺ بسند مقبول فعلى العين والرأس، وما كان على خلاف ذلك نبذناه وراء ظهورنا، وإن تلقته بأيدي القبول جهلة الناس" (٤).

وقال: "وأنا أقول إذا صحّ الحديث فهو مذهبي، ونعوذ بالله من اتباع الهوى" (٥).

ومما يدل على اعتباره الدليل الصحيح هو الفيصل في أمور الشرع أنه بعد كلام له في "الرباط" ومدته قال: "وهذا التفصيل مما لا مدخل فيه للرأي، ولا يكاد يقال إلا من قبل الوحي، فإن صح فيه حديث عن رسول الله ﷺ كان هو المعول عليه، وإلا فلا ينبغي أن يلتفت إليه" (٦).

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. (٧١/٥).

(٢) هذا التعبير يوهّم أن السلف أولوا، وليس هذا هو مقصود الألوسي، وإنما المقصود المبالغة في اتباع السلف، فلو افترضنا أنهم أولوا - وحاشاهم - أولنا، وبما أنهم لم يؤولوا فلا يجوز لنا أن نؤول.

(٣) روح المعاني (١٦٨/٢٧).

(٤) غرائب الاعتراّب (ص ٣٨).

(٥) روح المعاني (٣٨/٩).

(٦) سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، لأبي الثناء الألوسي، طبعة مطبعة دار السلام، بغداد، سنة ١٣٣٣ هـ. (ص ١٧).

المطلب الثاني

مذهبه

لقد صرّح الألوسي في بعض كتبه بأنه كان في أول الأمر شافعيًا، ثم تحوّل بعد ذلك إلى المذهب الحنفي لسبب من الأسباب، ولم يتحوّل تحولاً كاملاً وإنما في المعاملات فقط، كما صرح هو بذلك في مواطن كثيرة من كتابه روح المعاني^(١).

وكذلك تكلم على مذهبه حفيده أبو المعالي فقال: "وكان في صباه شافعي المذهب، لا يميل لسواه ولا يذهب، وقلّد مدة إفتائه الإمام أبا حنيفة في معاملاته، وبقي على ما كان عليه في عباداته، وكان بعد عزله يقول: أنا شافعي ما لم يظهر لي الدليل، وإلا فليس عن العمل به من محيل، حيث إن العالم إذا علم الدليل لا يّعذر بالتقليد، وليس عن العمل باجتهاده من محيد"^(٢).

(١) روح المعاني (١/١١١).

(٢) المسك الأذفر (ص ٧٨).

المطلب الثالث

وفاته

كان الألوسي يعيش في بغداد معزّزاً مكرّماً، حتى بلغ به الحال أن تقلّد منصب الإفتاء، وجلس فيه مدة لا بأس بها، ثم بعد ذلك انقلبت الأمور، وتغيّرت الأحوال، وأدبرت الدنيا عنه بعد أن كانت مقبلة، على إثر ذلك سافر مضطراً إلى عاصمة الخلافة، ولاقى في طريقه ما لاقى من الصعاب، وبعد جلوسه هناك ثلاثة عشر شهراً ظهر له أنه لا بد من الإياب، وفي طريق عودته صادف برداً شديداً ومطراً غزيراً فأثر ذلك على صحته^(١)، وما إن وصل إلى بغداد حتى تدهورت حالته، وأصبحت الحمى تعاوده من حين لآخر، حتى مات بسبب هذا المرض، وذلك في شهر ذي القعدة سنة سبعين ومائتين بعد الألف من هجرة سيد المرسلين عليه السلام، وكان عمره آنذاك ثلاثاً وخمسين سنة^(٢) - رحمه الله -.

(١) نشوة المدام (ص ١٠٧).

(٢) انظر: المسك الأذفر (ص ٧٩-٨٠)، أعلام العراق (ص ٢٦).

الفصل الثاني

صور المعاني

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: الخبر والإنشاء.
- المبحث الثاني: صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.
- المبحث الثالث: القصر.
- المبحث الرابع: الفصل والوصل.
- المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب.

المبحث الأول

الخبر والإنشاء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الخبر: أنواعه، وأغراضه البلاغية.

المطلب الثاني: الإنشاء.

المطلب الأول

الخبر: أنواعه، وأغراضه البلاغية

مفهوم الخبر في اللغة:

يقول ابن فارس: "الخاء، والباء، والراء أصلان، فالأول: العِلْم، فالخبر هو: العلم بالشيء، تقول: لي بفلانٍ خَبْرٌ وخُبْرَةٌ"^(١).

وما ذكره ابن فارس عبارة عن بيان الارتباط بين المادة التي يتكوّن منها اللفظ، وبين المعنى المراد به.

و(الخبر) من الخَبَر، وهو اسم من أسماء الله - تعالى -، ويعني به العالم بما كان، وبما يكون، يقال: خَبُرْتُ بالأمر أي علمته، وخَبَرْتُ الأمر أَخْبَرُهُ، إذا عرفتَه على حقيقته، والخَبَر واحد جمعه: أخبار، وهو ما أتاك من نَبَأٍ عمن تستخبر^(٢).

مفهومه في الاصطلاح: "هو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، مثل قولنا: (نجح عمرو)، فهذه الجملة أفادت نسبة النجاح إلى عمرو، والحكم عليه بالنجاح، فإن وافق ذلك الواقع كان الخبر صادقاً، ووُصِفَ الكلام بالصدق، وإن خالفه كان الخبر كاذباً، ووُصِفَ الكلام بالكذب ... وكذا قولنا في حالة النفي: (ما نجح زيد)؛ فإنه أفاد نفي نجاح زيد، فإن وافقت الإفادة الواقع ووُصِفَ الكلام بالصدق، وإن خالفته ووُصِفَ بالكذب"^(٣).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. (٢٣٩/٢)، (باب الخاء والباء وما يثلاثهما).

(٢) انظر: لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي. (١٢/٤)، (مادة خبر).

(٣) انظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. (١٥٥/٣).

والخبر في البيان القرآني من الموضوعات المهمّة في البلاغة؛ لأنه الصلة الظاهرة، والدلالة البينة على صدق الأنباء فيما بين السماء والأرض، وهو الظاهرة الباقية، والدلالة الخالدة على ناموس الشرائع والمرسلين، وبه تمت خاتمة رسالة السماء إلى الأرض بإخبارها عن الشرائع التي أقرّها المولى ﷻ، وارتضاها لعباده.

كما أن الخبر في كلام البشر نقطة الوصل بين الأفراد والجماعات، وبه تتم المعاهدات، وتبرم العقود، وعليه يقوم الخطاب بين الأمم أفرادًا أو جماعات.

لذا فالخبر علم غزير، واسع المدارك، يتطلب من المخبر علمًا بموضوع الخبر، وعلمًا بطرائق الإخبار، ودربة على ارتياد مسالكه؛ لذلك فإنه يتعدّد بتعدّد ما حوله من مثيرات تدفع المخبر إلى القول، وتحثه عليه؛ فيضع أقواله في أوعية تعبّر عما به من خواطر نفسيّة، يحاول من أجلها أن يثير انفعال السامع بما يضيفه على أقواله من مؤكّدات تناسب حاله، فتحقق المشاركة المطلوبة بينهما^(١).

جهود الألوسي في الخبر:

وأضرب الخبر ثلاثة:

الأول: "ابتدائي، ويساق لخالي الذهن تمامًا من الموضوع، وسمي كذلك؛ لأن المتكلّم هو الذي ابتدأك بالمعلومة"^(٢).

وقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣)؛ حيث قال: "والفعل المضارع يحو ويحق للاستمرار، والكلام ابتدائي"^(٤).

(١) انظر المطول، شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، تحقيق: عبد الحميد هنداي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م. (ص ١٨٠).

(٢) انظر الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هنداي، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م. (ص ٢١).

(٣) الشورى (٢٤).

(٤) روح المعاني (٣٤/٢٥).

الثاني: "طلبي، والمخاطب به هو الذي لم يقع الخبر من نفسه موقع القبول والرضا؛ فأصبح متردداً، فيستحسن له تأكيد الخبر؛ ليستقرَّ المعنى في نفسه، ويتمكَّن منه، فهذا المخاطب هو الذي يطلب التوكيد"^(١).

ومنه قول بشار بن برد:

بَغْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّكْيِيرِ^(٢)

وقد ذكر الألويسي هذا الضرب من الخبر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا^ص إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ﴾^(٣).

حيث قال: "وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل: ولا تدعني فيهم، وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه أَكَّدَ التعليل، فقليل: إنهم مغرقون"^(٤).

وأيضاً تطرَّق الألويسي لهذا الضرب في تفسير قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(٥)؛ حيث قال: "وجيء بلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيده، أي كثرة حبه لهما أمر ثابت لا شبهة فيه"^(٦).

الثالث: "إنكاري، ويخاطب به المنكر، وحينئذٍ لا بد من تعدد المؤكدات في الجملة، وتزداد المؤكدات حسب درجة الإنكار"^(٧). وقد تحدَّث الألويسي عن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(٨) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ^(٩).

(١) انظر الإيضاح (٢١).

(٢) ديوان بشار بن برد، تحقيق: السيد بدر الدين العلوي، دار صادر، بيروت، لبنان (١/٧٥١).

(٣) المؤمنون (٢٧).

(٤) روح المعاني (١٢/٥٠).

(٥) يوسف (٨).

(٦) روح المعاني (١٢/١٨٩).

(٧) انظر الإيضاح (ص ٢١).

(٨) يس (١٥-١٦).

حيث قال : " وجاء كلام الرسل في غاية التأكيد لمبالغة الكفرة في الإنكار جدًّا، حيث أتوا بثلاث جمل، وكل منها دالٌّ على شدة الإنكار، فلما بالغوا في تكذيبهم زيدَ في التأكيد كما لا يخفى على من له أدنى تأمل " (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٢). علّق الألوسي قائلاً : " وقد تضمّنت هذه الجملة عدّة مؤكّدات من أن واللام والقسم ونون التأكيد؛ وذلك للمبالغة في وعد الطائعين، ووعيد العاصين " (٣).
والتعبير بالخبر بصورةٍ من تلك الصور على خلاف ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب يُسمّى الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، ويتمثل في الآتي:

١ - تنزيل خالي الذهن منزلة المتردّد.

٢ - تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر (٤).

ومن المعلوم أن الغرض من إلقاء الخبر أحد أمرين: فائدة الخبر، أو لازمها.

أما الأول: وهو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة؛ فهذا يقتضي أن يكون المخاطب جاهلاً بأصل الحكم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَّغَابٍ﴾ (٥).

وأما الثاني: لازم الفائدة، أي إفادة المخاطب أن المتكلّم عالم بالحكم، وهذا الغرض لا يقدر فائدة جديدة للمخاطب، فإذا قلت لمخاطبك: قدم أبوك من السفر، وكان المخاطب يعلم ذلك، وأنت تعلم منه ذلك؛ فإنك لا تريد إخباره في هذا الحال إفادة الحكم الذي تضمنه الخبر، وهو قدوم أبيه؛ لأنه عالم به، وإنما تريد أن تفيده أنك عالم بقدوم أبيه، ويسمى علمك بهذا الحكم لازم الفائدة، أي الأمر الذي تستلزمه الفائدة، أي أن الحكم الذي تضمنه الخبر هو الملزوم،

(١) روح المعاني (٢٢/٢٢).

(٢) يس (٣١، ٣٢).

(٣) روح المعاني (١٢/١٥١).

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(٥) (٣٥/١).

(٥) الرعد (٢٩).

وحكمك هو اللازم^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا^ط فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^(٢)﴾.

فجملته: (إنَّ هذا لمكر): خبر أريد به لازم الفائدة، والمعنى: قد علمت مرادكم؛ لأن المخاطب لا يخبر بشيء صدر منه^(٣).

"فهذان غرضان رئيسان للخبر عند إلقائه إلى المخاطب: فائدة الخبر إذا كان يخاطب جاهلاً يود إخباره بشيء لم يعرفه، ولازم الفائدة؛ إذا كان المتكلم يريد أن يخبر المخاطب بأنه عارف بهذا الخبر، ليس خافياً عليه"^(٤).

وقد تناول الألوسي هذا الضرب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ^ط قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً^(٥)﴾؛ حيث قال: "فهو سؤال له: لم لم يأخذ الأجرة، واعتراض على ترك الأخذ، فالمراد لازم فائدة الخبر؛ إذ لا فائدة في الإخبار بفعله"^(٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ^ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ^ط وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ^(٧)﴾ يقول الألوسي: "التأكيد بإن واللام للام لازم فائدة

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٠ وما بعدها).

(٢) الأعراف (١٢٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٥٣/٩/٤).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، للدكتور: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. الطبعة

الحادية عشرة. ٢٠٠٦م (ص ١٠٩).

(٥) الكهف (٧٧).

(٦) روح المعاني (٧/١٦).

(٧) المنافقون (١).

الخبر، وهو علمهم بهذا الخبر المشهود به، فيفيد تأكيد الشهادة، والتأكيد في قوله تعالى: (والله يعلم إنك لرسوله)؛ لمزيد الاعتناء حقيقة بشأن الخبر^(١).

وقد يكون المقصود من الخبر أغراضاً أخرى تتجاوز الفائدة ولازمها، مثل: التحسُّر، إظهار الضعف والعجز، الاسترحام والاستعطاف، التوبيخ، أو غير ذلك مما يقتضيه المعنى. يقول الألوسي مبيِّناً بعض الأغراض البلاغية للخبر: "كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه، نحو: ربِّ إني وضعتها أنثى، ربِّ إني وهن العظم مني، لا يستوي القاعدون من المؤمنين.. الآية، إلى غير ذلك مما لا يحصى"^(٢).

الأغراض البلاغية للخبر:

التحسُّر:

وقد تحدّث الألوسي عن هذا الغرض في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾^(٣).

حيث قال: "وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار؛ لأنه إما للفائدة أو للازمها، وعلمُ الله تعالى محيط بهما، بل لمجرد التحسُّر والتحرُّن، فإن تحزُّنها ذلك إنما هو لترجيحها الذكر على الأنثى"^(٤).

إظهار الضعف والعجز:

وقد ذكر الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٥) حيث قال: "أي لأي شيء تنزله من خزائن كرمك إليّ من خير -جلّ أو قل- فقير، أي محتاج، والكلام تعريض لما يطعمه لما ناله من شدّة الجوع، وتأكيد الجملة للاعتناء"^(٦).

(١) روح المعاني (١٠٨/٢٨).

(٢) روح المعاني (٨٥/٢٦).

(٣) آل عمران (٣٦).

(٤) روح المعاني (١٣٤/٣).

(٥) القصص (٢٤).

(٦) روح المعاني (٦٤/٢٠).

التوبيخ:

وقد تناول الألوسي هذا الغرض من الأغراض التي يخرج لها الخبر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا تُقِطِعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١). حيث قال في جملة (إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر): "والمقصود من الجملة الخبرية التوبيخ؛ لأن الخبر إذا لم يُقصد به فائدته ولا لازمها تولّد منه بحسب المقام ما يناسبه، وهنا لما خاطبهم الجبار (فرعون) بما فعلوا مخبراً لهم بذلك، مع ظهور عدم قصد إفادة أحد الأمرين، والمقام هو المقام أفاد التوبيخ والتقريع"^(٢).

وقد ورد الخبر وقُصِدَ منه التوبيخ في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٣) وَأَنْ أَعْبُدُونِي ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ فقد قال: "ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً استئناف مسوق لتشديد التوبيخ، وتأكيد التقريع ببيان عدم اتعاضهم بغيرهم إثر بيان نقضهم العهد، فالخطاب لتأخيرهم الذين من جهلتهم كفار خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع؛ لتضاعف جناياتهم، وإسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان لأنه المباشر للإغواء"^(٤).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٥) "ففي الآية توبيخ للمنهزمين بأن يقينهم كان حالاً ولم يكن مقاماً"^(٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧).

(١) الشعراء (٤٩).

(٢) روح المعاني (٢٧/٩).

(٣) يس (٦٠-٦٢).

(٤) روح المعاني (٤١/٢٣).

(٥) آل عمران (١٤٣).

(٦) روح المعاني (٨١/٤).

(٧) الحشر (٢١).

يقول الألوسي مبيّنًا الغرض من إلقاء الخبر في الآية الكريمة: "وهذا تمثيل وتخيل لعلو شأن القرآن، وقوّة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلّة تخشعه عند تلاوة القرآن، وتدبّر ما فيه من القوارع، وهو الذي لو أنزل على جبل وقد رُكّب فيه العقل لخشع وتصدّع"^(١).

(١) روح المعاني (٢٨/٦١).

المطلب الثاني الإنشاء

والإنشاء ضربان: طلب، وغير طلب.

الضرب الأول: الإنشاء الطلي.

"فالطلب يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل" (١).

وله عدة أقسام، منها:

أولاً: الأمر:

الأمر في اللغة: "نقيض النهي، أمره به، وأمره إياه يأمره أمرًا فأمَرَ، أي قَبِلَ أمره" (٢).

والأمر اصطلاحًا: "هو طلب فعل غير كفٍّ على جهة الاستعلاء" (٣).

"والأظهر أن صيغته من المقتربة باللام، نحو: ليحضر زيد، وغيرها، نحو: أكرم عمرًا، ورويد بكرًا، موضوعة لطلب الفعل استعلاءً؛ لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقف ما سواه على القرينة" (٤).

جهود الألوسي في الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر.

الإباحة:

"إن صيغة الأمر تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام، كالإباحة، كقولك في مقام الإذن: جالس الحسن أو ابن سيرين، ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تَقَلَّتِ (١)

(١) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٢) لسان العرب (٢٠٣/١) مادة أمر.

(٣) المطول (ص ٤٢٤).

(٤) الإيضاح (ص ١٤٥).

وقد أشار الألوسي إلى ذلك، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةٌ الْأَتْعَمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَحَكُّمٌ مَا يُرِيدُ ۖ﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ﴾^(٢).

قال: "وإذا حللتهم من الإحرام المشار إليه بقوله سبحانه: (وأنتم حرم) فاصطادوا، أي فلا جناح عليكم بالاصطياد لزوال المانع، فالأمر للإباحة بعد الحظر، ومثله: لا تدخلن هذه الدار حتى تؤدِّي ثمنها، فإذا أدَّيت فادخلها، أي إذا أدَّيت أبيع لك دخولها"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ﴾^(٤). يقول الألوسي: "الإباحة ثبتت هنا بقرينة أن الأكل إنما أمر به، وقوله تعالى (حلالاً)، أي أكلاً حلالاً، وفائدة ذكره، وكذا ذكر قوله تعالى (طيباً) تأكيد الإباحة، لما في العتاب من الشدة"^(٥).

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۖ﴾^(٦).

"إن الأمر في الموضعين (فامشوا، وكلوا) للإباحة"^(٧).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ حِلَّةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ۖ﴾^(٨). قال: "وكيفما كان الأمر يكون قوله سبحانه ذلك عبارة عن التحليل، والمبالغة في الإباحة، وإزالة التبعة"^(٩).

(١) المصدر نفسه (ص ١٤٥). "لم أقف على ديوان شعر لكثير".

(٢) المائدة (١-٢).

(٣) روح المعاني (٥٥/٦).

(٤) الأنفال (٦٨-٦٩).

(٥) روح المعاني (٣٦/١٠).

(٦) الملك (١٥).

(٧) روح المعاني (١٥/٢٩).

(٨) النساء (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسِ الْفَقِيرِ﴾^(٢).

قال الألوسي: "والأمر في "كلوا" للإباحة؛ بناءً على أن الأكل كان منهيًا عنه شرعًا، والأمر بعد المنع يقتضي الإباحة"^(٣).

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٤). "والأمر في الآية للإباحة، ففيها إباحة الإتيان، لكنه مقيّد بقوله سبحانه: "من حيث أمركم الله"^(٥).

النصح والإرشاد:

وقد تناول الألوسي هذا المعنى الذي يخرج إليه الأمر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٦). حيث قال: "أي قيل لهم بطريق النصيحة والإرشاد إلى ما فيه نفعهم: أنفقوا بعض ما آتاكم الله من فضله على المحتاجين؛ فإن ذلك مما يرد البلاء، ويدفع المكاره"^(٧).

التوبيخ:

وقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٨). حيث قال: "واعلموا أن الله غني عن

(١) روح المعاني (٤/٢٠٠).

(٢) الحج (٢٨).

(٣) روح المعاني (١٧/١٤٦).

(٤) البقرة (٢٢٢).

(٥) روح المعاني (٢/١٢٣).

(٦) يس (٤٧).

(٧) روح المعاني (٢٣/٣٠).

(٨) البقرة (٢٦٧).

نفقاتكم، وإنما أمركم بها لانتفاعكم، وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث" (١).

التعجيز:

وقد ورد في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿فَاتُّوا بِكُتُبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢). حيث قال الألوسي معلقاً على الآية: "أي كتابكم الناطق بصحة دعواكم، والأمر للتعجيز، وإضافة الكتاب إليهم للتهكم، وفي الآية من الإنكار الفظيع لأقاويلهم، والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم، وتركيب عقولهم وأفهامهم، مع استهزاء بهم، وتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها" (٣).

التهديد:

يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْبُصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (٤).

"والمراد من الأمر (في تربصوا) التهديد" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦).

يقول الألوسي: "فتمتعوا أمر تهديد، كما هو أحد معاني الأمر المجازية، كما يقول السيد لعبده "افعل ما تريد"، والالتفات إلى الخطاب للإيدان بتناهي السخط" (٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٨).

(١) روح المعاني (٤٠/٣).

(٢) الصافات (١٥٧).

(٣) روح المعاني (١٥١/٢٣).

(٤) التوبة (٥٢).

(٥) روح المعاني (٢٥٧/٧).

(٦) النحل (٥٥).

(٧) روح المعاني (١٦٦/١٤).

(٨) الإسراء (٦٤).

يقول الألوسي: "والمراد من الأمر في "واستغفر" التهديد، وكذا من الأوامر التي أتت بعده، ويمنع من إرادة الحقيقة أَنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء"^(١).

الإهانة والتحقير:

ونرى ذلك واضحاً من خلال تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ^(٢) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ^(٣).

حيث قال: "اصلوها اليوم: أمر تحقير وإهانة"^(٣).

وأيضاً تناول الألوسي هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ^(٤).
حيث قال: "فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون... ومعنى الأمر الإهانة بهم، فهو تهكم وتوبيخ، وإلا لكان تحصيلاً للحاصل"^(٥).

ثانياً: النهي.

النَّهْيُ في اللغة: "خلاف الأمر، نَهَا يَنْهَاهُ نَهْيًا فَانْتَهَى وتناهى، كَفَّ" ^(٦).
والنهي في اصطلاح البلاغيين: "هو طلب الكف عن الفعل استعلاءً"^(٧).

(١) روح المعاني (١٥/١١١).

(٢) يس (٦٣-٦٤).

(٣) روح المعاني (٢٣/٤١).

(٤) الأحقاف (٣٤).

(٥) روح المعاني (٢٦/٣٤).

(٦) لسان العرب (١٤/٣١٢) مادة نهي.

(٧) المطول (ص ٤٢٧).

"وله حرف واحد، وهو لا الجازمة في قولك: لا تفعل، وهو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك، كالتهديد، كقولك لشخص لا يمثل أمرك: لا تمثل أمري"^(١).

وقد يرد النهي ويراد به المعنى الحقيقي للنهي (وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مِصْرَفًا وَتَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٢).

جهود الألووسي في النهي:

لقد تحدّث الألووسي عن النهي في قوله تعالى: "لا تأكلوا" فقال: "وإيراد النهي عن الربا بخصوصه هنا لما أن الترغيب في الإنفاق في السراء والضراء -الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد- متضمن للترغيب في تحصيل المال، فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب، ومن جعلتها -بل أسهلها- الربا، فنهوا عنه"^(٣).

كما ورد النهي الحقيقي في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٤).

وقد علّق الألووسي على النهي قي هذه الآية فقال: "ولا يخفى ما في الجمع بين التوصية بحفظ المال، والتوصية بحفظ النفس من الملاءمة؛ لما أن المال شقيق النفس من حيث إنه سبب لقوامها، وتحصيل كمالها، واستيفاء فضائلها، والملاءمة بين النهيين أتم، وقُدّم النهي الأول؛ لكثرة التعرّض لما نُهي عنه"^(٥).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص ١٤٦).

(٢) آل عمران (١٣٠).

(٣) روح المعاني (٤/٥٤).

(٤) النساء (٢٩).

(٥) روح المعاني (٥/١٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوْاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

يقول الألوسي، مبيناً أن النهي حقيقي: "فجملة نحن... الخ استئناف مسوق لتعليل النهي، وإبطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة النهي عنه، وضمان منه تعالى لأرزاقهم، أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم، فلا تقدموا على ما نهيتم عنه لذلك، وتعليق النهي بقربانها (في قوله: ولا تقربوا الفواحش)، إما للمبالغة في الزجر عنها؛ لقوة الدواعي إليها، وإما لأن قربانها داعٍ إلى مباشرتها"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٣) يوضح الألوسي المعنى الحقيقي للنهي الذي اشتملت عليه الآية الكريمة، حيث قال: "المراد من قوله: 'ولا تقل لهما أف' المنع من إظهار الضجر القليل والكثير، والمراد من قوله سبحانه: 'ولا تنهرهما' المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما، والتكذيب لهما، ولذا روعي هذا الترتيب، وإلا فالمنع من التأفيف يدل على المنع من النهر بطريق الأولى، فيكون ذكره بعده عبثاً"^(٤).

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي -وهو طلب الكف عن الفعل- إلى معانٍ بلاغية أخرى، تفهم من السياق، وقرائن الأحوال، وهي كثيرة، منها:

النصح والموعظة:

وقد تطرق الألوسي إلى هذا الضرب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي

(١) الأنعام (١٥١).

(٢) روح المعاني (٥٤/٨).

(٣) الإسراء (٢٣).

(٤) روح المعاني (٥٥/١٥).

الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾ حيث قال: "وفي نهيهم إياه عن نسيان نصيبه من الدنيا حضٌ عظيم له على التزود من ماله للآخرة.. وفي قوله "لا تبغ الفساد في الأرض" نهي عن الاستمرار على ما هو عليه من الظلم والبغي، وهذه الموعظة بأسرها كانت من مؤمني قومه كما هو ظاهر الآية" (٢).

التسلية والإيناس :

وقد أورد الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزَنُ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٣).

حيث قال: "وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيًا للكفرة عن أن يحزنوه ﷺ بمسارعتهم في الكفر، لكنه في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة، والغرض منه مجرد التسلية على أبلغ وجه وآكده؛ فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني، وقطع له من أصله" (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٥) يقول الألوسي: "لا تحزن ليس المقصود منه حقيقة النهي عن الحزن؛ فإنه من الأمور التي لا تدخل تحت التكليف، بل المقصود منه التسلية للصديق رضي الله تعالى عنه" (٦).

(١) القصص (٧٧).

(٢) روح المعاني (١١٣/٢٠).

(٣) المائدة (٤١).

(٤) روح المعاني (١٣٥/٦).

(٥) التوبة (٤٠).

(٦) روح المعاني (١٠١/١٠).

التيئيس:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

بيّن الألوسي أن النهي في الآية لم يرد بمعنى النهي الحقيقي، وإنما المراد منه مجرد التيئيس، حيث قال: "لا تعتذروا، أي لا تشتغلوا بالاعتذار، وتستمروا عليه، فليس النهي عن أصله؛ لأنه قد وقع، وإنما نھوا عن ذلك لأن ما يزعمونه معلوم الكذب بيّن البطلان"^(٢).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

"ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنهم لا عذر لهم؛ أو لأن العذر لا ينفعهم"^(٤).

ثالثاً: الاستفهام.

الاستفهام في اللغة: "طلب الفهم، يقال: أَفْهَمَهُ الْأَمْرَ وَفَهَّمَهُ إِيَّاهُ؛ جعله يُفْهَمُهُ، وَاسْتَفْهَمَهُ؛ سَأَلَهُ أَنْ يُفْهَمَهُ"^(٥).

وفي اصطلاح البلاغيين هو: "طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة، كالهزمة، وهل، وما، ومَنْ، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان"^(٦).

"فالهزمة في الاستفهام تستعمل للتصديق، وللتصوّر؛ فإن كان وقوع النسبة بين الأمرين أو لا وقوعها فمحصولها هو التصديق، وإن لم تكن تلك الصورة وقوع نسبة أو لا وقوعها فهو التصوّر.

(١) التوبة (٦٦).

(٢) روح المعاني (١٠/١٣١).

(٣) التحريم (٧).

(٤) روح المعاني (٢٨/١٥٧).

(٥) لسان العرب (١٠/٣٤٣) مادة فهم .

(٦) بغية الإيضاح (٢/٣٠).

وأداة الاستفهام (هل) تستعمل للتصديق فقط، أي لإدراك وقوع النسبة، أو عدم وقوعها، وهذا معنى الحكم، والإسناد، وما يجري مجراه.

وطلب التصديق راجع إلى تفصيل الحمل، فإنك إذا قلت: أقام زيد؟ تعلم أن أحد الأمرين -وهو إما قيام زيد، أو عدم قيامه- واقع قطعاً، لكن المعين غير معلوم وقوعه، فأنت عالم بالإجمال، جاهل بالتفصيل، فتطلب بقولك: أقام زيد؟ تفصيل ذلك الحمل المعلوم.

والتصوّر هو حصول صورة غير النسبة المذكورة، سواء كان التصوّر تصوّر المسند إليه أو تصوّر المسند، كقولك في طلب تصوّر المسند إليه: أماءٌ في الإناء أم خلٌّ؟ عالماً بحصول شيء في الإناء، طالباً لتعيينه، يعني أنك تعلم أن في الإناء معلوماً في هذه الصورة، وإنما المجهول أن الكائن ما هو؟ فالكائن معلوم إجمالاً؛ إذ من المعلوم أنه أحدهما مجهول تفصيلاً؛ إذ لا يعلم أنه ماء على التعيين، أم خلٌّ على التعيين.

وفي طلب تصوّر المسند: أفي الخابية خلٌّ أم في الزّق؟ عالماً بكون الخل في واحد من الخابية والزق، طالباً لتعيين ذلك، أي أن الكائن الذي هو الخل معلوم على التعيين، وإنما المجهول هو الظرف الكائن فيه، فإنه غير معلوم يقيناً؛ إذ من المعلوم أنه في أحدهما، إما الخابية، وإما الزق، فهو مجهول تفصيلاً^(١).

علمًا أن جميع أدوات الاستفهام تحمل معاني تختص بها، ولها غرضها الذي وُضعت له.

جهود الألوسي في الاستفهام:

(١) خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، الناشر: العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية. (٢٣٧ - ٢٣٧).

لقد تطرّق الألوسي للاستفهام عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۖ﴾^(١).

حيث قال: "الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول، فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل، أي بصّرني كيفية إحيائك للموتى.. وإنما سأله عليه السلام لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين.

فالسؤال لم يكن عن شكّ في أمر ديني -والعياذ بالله- ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء ليعيط علمًا بها، وكيفية الإحياء لا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها، فالخيل -عليه السلام- طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة (كيف)، وموضوعها السؤال عن الحال. ونظير هذا أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه سأل عن كيفية حكمه المعلوم بثبوته، ولو كان سائلًا عن ثبوت ذلك لقال: أيحكم زيد في الناس؟"^(٢).

سبق القول بأن الاستفهام الحقيقي هو السؤال عما يجهله السائل، وهو في هذه الحالة ينتظر جوابًا عن سؤاله، لكن أدوات الاستفهام قد تؤدي معاني أخرى غير السؤال، وهذه المعاني تُفهم من سياق الكلام، ومن قرائن الأحوال، ومن ذلك ما يأتي:

الاستفهام الإنكاري:

وذلك إذا وجد المستفهم نفسه أمام أمر لا يرضى عنه، فإنه -والحالة هذه- يورد كلامه على سبيل الإنكار لهذا الأمر، كقولي لأحد الإخوة: أتصلي منفردًا والجماعة قائمة؟ ولأحد طلابي: أتتكلّم وأنا أشرح؟!

(١) البقرة (٢٦٠).

(٢) روح المعاني (٢٦/٣).

والإنكار إما للتوبيخ، وإما للتكذيب، والتوبيخ إما أن يكون على أمر حصل في الماضي، كقولك لابنك: أخطبت دون علمي؟ أي ما كان ينبغي أن يحصل ذلك، وإما أن يكون على أمر حاصل الآن، أو يُخشى حصوله في المستقبل، كقولك لزميلك: أتفطر في رمضان؟ وذلك إذا كان مفطرًا فعلاً، أو ناوياً أن يفطر^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٢).

يقول الألوسي مبيّناً أن الاستفهام إنكاري: "(ومن أصدق من الله حديثاً) الاستفهام إنكاري، والتفضيل باعتبار الكمية في الأخبار الصادقة لا الكيفية؛ إذ لا يتصور فيها تفاوت، لما أن الصدق المطابقة للواقع، وهي لا تزيد، فلا يقال لحديث معين: إنه أصدق من آخر إلا بتأويل وتجوّز، والمعنى لا أحد أكثر صدقاً منه تعالى في وعده، وسائر أخباره، ولنفي المساواة أيضاً، كما في قولهم: ليس في البلد أعلم من زيد، وإنما كان كذلك لاستحالة نسبة الكذب إليه سبحانه بوجه من الوجوه"^(٣).

كما بيّن الألوسي أن الاستفهام إنكاري في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤).

حيث قال: "والاستفهام في (أبیتن) للإنكار، والجملة معترضة مقررة لما قبلها، والجملة تعليل لما يفيد الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم، وخيبة رجائهم"^(٥).

(١) البلاغة الاصطلاحية، للدكتور: عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(ص ١٧٠).

(٢) النساء (٨٧).

(٣) روح المعاني (١٠٤/٥).

(٤) النساء (١٣٩).

(٥) روح المعاني (١٧٢/٥).

كما تناول الألوسي الاستفهام الإنكاري بشيء من التفصيل في كثير من الآيات، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "أتأتون الفاحشة، أي أفعلون الفعل المتناهية في القبح والسماجة؟! والاستفهام إنكاري.. وقوله تعالى: (وأنتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون، مفيدة لتأكيد الإنكار، فإن تعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع"^(٢).

كما جاء الاستفهام الإنكاري في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(٣).

حيث قال: "ثم إنه سبحانه أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام الإنكاري مع الجملة الاسمية مرتباً على ما تقدّم من أصناف الصوارف، فقال جل شأنه (فهل أنتم منتهون) إيذاناً بأن الأمر في الردع والمنع قد بلغ الغاية، وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية، حتى إن العاقل إذا خلى ونفسه بعد ذلك لا ينبغي أن يتوقّف في الانتهاء"^(٤).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ أَعْلَمِينَ﴾^(٥).

مبيناً المعنى الذي خرج إليه الاستفهام: "فيه إنكار لأن يُتركوا فيما هم فيه من النعمة آمنين عن عذاب يوم عظيم، وكأنّ القوم اعتقدوا ذلك، فأنكره عليه السلام عليهم"^(٦).

(١) النمل (٥٤).

(٢) روح المعاني (٢١٦/١٩).

(٣) المائدة (٩١).

(٤) روح المعاني (١٧/٧).

(٥) الشعراء (١٤٥-١٤٦).

(٦) روح المعاني (١١٢/١٩).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَبْنِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية، وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال: أخاف، لما أن كل موجود لا يخلو عن كيفية، فإذا انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني"^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) يقول الألوسي: "والاستفهام في قوله تعالى: أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه للإنكار، وفيه تعجب من إصرارهم، أو عدم مبادرتهم إلى التوبة، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة، والأقوال الباطلة، فلا يتوبون إلى الله تعالى الحق، ويستغفرونه بتنزيهه تعالى عما نسبوه إليه وَعَلَىٰ"^(٤).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَيْنَا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْنَا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٥).

"والاستفهام إنكاري، والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها، مع الإشعار بكمال ظهورها، والتنفير عن الضلال، والترغيب في الاهتداء"^(٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧).

(١) الأنعام (٨٠).

(٢) روح المعاني (٢٠٥/٧).

(٣) المائدة (٧٤).

(٤) روح المعاني (٢٠٨/٦).

(٥) الأنعام (٥٠).

(٦) روح المعاني (١٥٦/٧).

(٧) القصص (٥٠).

يقول الألوسي: "ومن أضلّ ممن اتبع هواه، استفهام إنكاري للنفي، أي لا أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، أي هو أضلّ من كل ضال، وإن كان ظاهر السبك لنفي الأضلّ، لا لنفي المساوي" (١).

التقرير:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "والاستفهام للتقرير، أي قل تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم: أخبروني إن أتاكم عذابه - جل شأنه - حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم؟ أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه؟" (٣).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤): (قالوا أأنك لأنت يوسف) استفهام تقرير، ولذلك أكد بإن واللام؛ لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٦).

(١) روح المعاني (٩٣/٢٠).

(٢) الأنعام (٤٧).

(٣) روح المعاني (١٥٤/٧).

(٤) يوسف (٩٠).

(٥) روح المعاني (٤٨/١٣).

(٦) الأنعام (٥٣).

يقول الألوسي: "(أليس الله بأعلم بالشاكرين) ردُّ لقولهم ذلك، وإشارة إلى أن مدار استحقاق ذلك الإنعام معرفة شأن النعمة، والاعتراف بحق المنعم، والاستفهام للتقرير بعلمه البالغ بذلك" (١).

التوبيخ:

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَٰهُهُم نَصِيحُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاٰفِرِينَ ۖ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "والاستفهام غير حقيقي، بل للتوبيخ والتقريع، وعليه فلا جواب" (٣).

وقد بين الألوسي في مواضع كثيرة أن الاستفهام قد يخرج عن معناه الحقيقي ليفيد معاني أخرى تُفهم من السياق. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ۖ أَسْلَمْتُمْ ۖ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ﴾ (٤) يرى الألوسي أن الغرض من الاستفهام التوبيخ، وذلك يتضح جلياً من قوله: "وهذا كما تقول إذا لخصت لسائل مسألة، ولم تدع من طرق البيان مسلماً إلا سلكته: هل فهمتها؟ وفي ذلك تعبير بالمعاندة، وقلة الإنصاف، وتوبيخ بالبلادة، وجمود القريحة" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيُّنَا مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۖ﴾ (٦) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۖ﴾ (٦).

(١) روح المعاني (١٦٣/٧).

(٢) الأعراف (٣٧).

(٣) روح المعاني (١١٥/٨).

(٤) آل عمران (٢٠).

(٥) روح المعاني (١٠٨/٣).

(٦) غافر (٧٣-٧٤).

يقول الألوسي: "وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، والسؤال للتوبيخ"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "والمراد بهذا السؤال تقريرهم، وتوبيخهم على طغيانهم وجحودهم الحق بعد وضوح الآيات، لا أن يجيبوا فيعلم من جوابهم، كما إذا أراد واحد منا توبيخ أحد يقول لمن حضر: سله كم أنعمت عليه؟"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٤).

فصل الألوسي المعاني التي خرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي، حيث قال: "وفيه كمال توبيخ الكفرة بنسبة هذا القول إليه، وفي قوله تعالى: اتخذوني وأمي، دون واتخذوني ومريم توبيخ على توبيخ، كأنه قيل: أنت قلت ما قلت مع كونك مولوداً، وأمك والدة، والإله لا يلد ولا يولد، وفي ندائه -عليه الصلاة والسلام- على الكيفية المذكورة إشارة إلى إبطال ذلك الاتخاذ"^(٥).

استفهام النفي:

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦).

(١) روح المعاني (٨٦/٢٤).

(٢) البقرة (٢١٠).

(٣) روح المعاني (٩٩/٢).

(٤) المائدة (١١٦).

(٥) روح المعاني (٦٥/٧).

(٦) الأنعام (٢١).

"وأظلم أفعّل تفضيل خبر عن مَنْ، ولا يراد بالاستفهام حقيقته، وإنما هو بمعنى النفي، فيؤول إلى الخبر، أي لا أحد أظلم من ذلك" (١).

التهكم والسخرية والاستهزاء:

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٢).

قال الألوسي: "بنوا استفهامهم، وأخرجوا كلامهم، وقالوا -بطريق الاستهزاء-: أصلاتك التي هي من نتائج الوسوسة، وأفاعيل المجانين تأمرُك بأن نترك ما استمرَّ على عبادته آبائنا جيلاً بعد جيل من الأوثان والتمائيل" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٤) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٤).

يقول الألوسي: "فقال للأصنام استهزاء: ألا تأكلون من الطعام الذي عندكم، وكان المشركون يضعون في أيام أعيادهم طعاماً لدى الأصنام لتبرك عليه، وأتى بضمير العقلاء؛ لمعاملته -عليه السلام- إياهم معاملتهم" (٥).

رابعاً: التمني.

التَّمَنَّى في اللغة: "تَشَهَّى حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النَّفْس بما يكون وما لا يكون، تَمَنَيْتُ الشيء أي قَدَّرْتُهُ، وأحببتُ أن يصير إليّ، وَتَمَنَّى الشيء أَرَادَهُ" (٦).

(١) روح المعاني (٣٦٣/١).

(٢) هود (٨٧).

(٣) روح المعاني (١١٧/١٢).

(٤) الصافات (٩١-٩٢).

(٥) روح المعاني (١٢٣/٢٣).

(٦) لسان العرب (٢٠٣/١٣) مادة مني.

والتَّمَنِّي في اصطلاح البلاغيين: "هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة"^(١).

"ولا يشترط في التمني الإمكان؛ تقول: ليت زيدا يجيء، وليت الشباب يعود"^(٢).

ومنه قول أبي العتاهية:

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابِ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(٣).

جهود الألويسي في التمني:

لقد تحدّث الألويسي عن هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَصْبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٤). حيث قال: "ونصب أفوز على جواب التمني، وقرئت فأفوز بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت، أو العطف على خبر ليت، فيكون داخلا في التمني"^(٥).

كما تحدّث الألويسي عن أداة التمني ليت بقوله: "وليت من أعمال القلب أو الاشتهاء بالقلب، ومحبة الحصول مع القول"^(٦).

وقد يتمنى بهل كقول القائل: "هل لي من شفيع" في مكان يعلم أنه لا شفيع له فيه؛ لإبراز المتمنى -لكمال العناية به- في صورة الممكن، وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿فَهَلْ لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^{(٧)(٨)}.

(١) المطول (ص ٤٠٧).

(٢) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٣) ديوان أبي العتاهية، جمع وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان. (١٩/١).

(٤) النساء (٧٣).

(٥) روح المعاني (٨١/٥).

(٦) المصدر نفسه (٣٢٨/١).

(٧) الأعراف (٥٣).

(٨) الإيضاح (ص ١٣٤).

يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتُتَبِّينَ وَأَحْيَيْتَنَا أَتُتَبِّينَ فَأَعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٢) "ومثل هذا التركيب يستعمل عند اليأس، وليس المقصود به الاستفهام، وإنما قالوه من فرط قنوطهم تعللاً أو تحييراً، ولذلك أجبوا بذكر ما أوقعهم في الهلاك، وهو قوله تعالى (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ... الخ) من غير جواب عن الخروج نفياً أو إثباتاً" (٣).

وقد يتمنى بلو كقولك "لو تأتيني فتحدثني" بالنصب (٣).

يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ (٤) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

"ولو في قوله تعالى: (فلو أن لنا كربة) مستعملة في التمني؛ بدليل نصب قوله سبحانه (فكنون من المؤمنين) في جوابها، وأصلها لو الامتناعية، وحيث إن التمني يكون لما يمتنع أريد بها ذلك" (٥).

خامساً: النداء.

النداء في اللغة:

جاء في لسان العرب: "والنداء ممدود الدُّعاء بأرفع الصوت، وقد نادَيْتَهُ نداءً" (٦).

والنداء في اصطلاح البلاغيين: "طلب المتكلم إقبال المخاطب بحرف نائب مناب أدعو، ملفوظاً، أي نحو يا زيد، وكقوله تعالى: "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي"، أو تقديرًا نحو "يوسف أعرض عن هذا" أي يا يوسف" (١).

(١) غافر (١١-١٢).

(٢) روح المعاني (٥٤/٢٤).

(٣) الإيضاح (ص ١٣٤).

(٤) الشعراء (١٠٠-١٠٢).

(٥) روح المعاني (١٠٦/١٩).

(٦) لسان العرب (٩٧/١٤) مادة ندي.

جهود الألووسي في النداء:

لقد تناول الألووسي أسلوب النداء، وبيّن معاني حروفه، وفصّل ذلك، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) يقول الألووسي: "و(يا) حرف وضع لنداء البعيد، وقيل لمطلق النداء، أو مشتركة بين أقسامه، وعلى الأول ينادى بها القريب لتنزيله منزلة غيره؛ إما لعلو مرتبة المنادى أو المنادي، وقد ينزل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده، وقد يكون ذلك للاعتناء بأمر المدعو له والحث عليه؛ لأن نداء البعيد وتكليفه الحضور لأمر يقتضي الاعتناء والحث، فاستعمل في لازم معناه"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٤).

قال الألووسي: "فقال: اللهم ربنا، ناداه سبحانه وتعالى مرتين، مرة بوصف الإلهية الجامعة لجميع الكمالات، وأخرى بوصف الربوبية المنبئة عن التربية؛ إظهاراً لغاية التضرع، ومبالغة في الاستدعاء"^(٥).

ويقول الألووسي: "وأصل اللهم: يا الله، فحذفت يا، وعوّض عنها الميم، وأوثر لقرّبها من الواو التي هي حرف علّة، وشدّدت لكونها عوضاً عن حرفين، وجمعها مع "يا" كما في قوله:
إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا للهما (شاذ)^٦

وهذا من خصائص الاسم الجليل، كعدم حذف حرف النداء منه من غير ميم، ودخوله عليه مع حرف التعريف"^(١).

(١) خلاصة المعاني (ص ٢٤٧).

(٢) البقرة (٢١).

(٣) روح المعاني (١/١٨١).

(٤) المائدة (١١٤).

(٥) روح المعاني (٧/٦٠).

(٦) لم أقف له على قائل معيّن.

"وقد يحذف حرف النداء لضيق المقام، ومثله قوله تعالى على لسان هارون مخاطباً موسى عليهما السلام : (قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء)^(٢). وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "يوسف حذف منه حرف النداء؛ لقربه، وكمال تفضُّنه للحديث، وفي ندائه باسمه تقريبٌ له عليه السلام وتلطيف"^(٤).

الضرب الثاني: الإنشاء غير الطلبي.

وهو: "ما لا يستدعي مطلوباً، إلاّ أنّه يُنشئُ أمراً مرغوباً في إنشائه، وله أنواع وصيغ تدل عليه"، ويشمل (صيغ التعجب - القسم - المدح والذم - الرجاء)^(٥).

أولاً: التعجب.

"العُجْبُ والعَجَبُ إنكارٌ ما يَرُدُّ عليك لِقَلَّةِ اعْتِيَادِهِ، وقد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَبًا وَتَعَجَّبَ وَاسْتَعْجَبَ، والاستِعْجَابُ شِدَّةُ التَّعَجُّبِ، قال ابن الأثير: إطلاقُ الْعَجَبِ على الله تعالى مجاز؛ لأنه لا يخفى عليه أسبابُ الأشياءِ، والتَّعَجُّبُ مما خَفِيَ سببه ولم يُعْلَمْ"^(٦).

جهود الألوسي في التعجب:

لقد تطرَّق الألوسي لهذا الضرب من الإنشاء غير الطلبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

(١) المصدر نفسه (١١٣/٣).

(٢) نفسه (٦٨/٩).

(٣) يوسف (٢٩).

(٤) روح المعاني (٢٢٤/١٢).

(٥) انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢٢٤/١).

(٦) لسان العرب (٥١/٩)، مادة عجب.

حيث قال: "اسمع بهم وأبصر تعجيب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ، ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء (أي يوم القيامة) جدير بأن يتعجب منهما، بعد أن كانوا في الدنيا صمًا وعميًا"^(٢).

وأيضا تطرق الألوسي لهذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٣).

حيث قال: "(أبصر به وأسمع) صيغتا تعجب، والهاء ضميره تعالى، والكلام مندرج تحت القول، فليس التعجب منه سبحانه، ليقال ليس المراد منه حقيقة لاستحالته عليه تعالى، بل المراد أن ذلك أمر عظيم من شأنه أن يُتعجب منه، ولا يمتنع صدور التعجب من بعض صفاته - سبحانه - وأفعاله وَعَلَيْكَ حقيقة من غيره تعالى. وأيًا ما كان ففيه إشارة إلى أن شأن بصره تعالى وسمعه وَعَلَيْكَ وهما صفتان غير راجعتين إلى صفة العلم خارج عمّا عليه بصر المبصرين، وسمع السامعين، فإن اللطيف والكثيف، والصغير والكبير، والجلي والخفي، والسر والعلن على حدّ سواء في عدم الاحتجاب عن بصره وسمعه"^(٤).

ثانيًا: القسم.

جاء في لسان العرب: "والْقَسَمُ بالتحريك اليمين، وكذلك المُقَسَّم، وهو المصدر مثل المخرّج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله، واستقسمه به، وقاسمه، حلف له"^(٥).

جهود الألوسي في القسم:

(١) مريم (٣٨).

(٢) روح المعاني (٩٣/١٦).

(٣) الكهف (٢٦).

(٤) روح المعاني (٢٥٤/١٥).

(٥) لسان العرب (١٦٤/١١) مادة قسم.

لقد تناول الألوسي هذا الضرب من الإنشاء بشيء من التفصيل، حيث عدّد أدوات القسم ومعانيه، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

يقول الألوسي: "فلا وربك، أي فوربك، و لا مزيدة؛ لتأكيد معنى القسم، لا لتأكيد النفي في جوابه، أعني قوله تعالى يؤمنون؛ لأنها تزداد في الإثبات أيضًا، كقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم"، ولم ترد في القرآن إلا مع صريح فعل القسم، ومع القسم بغير الله تعالى، مثل لا أقسم بهذا البلد، لا أقسم بيوم القيامة، فلا أقسم بالشفق؛ قصدًا إلى تأكيد القسم، وتعظيم المقسم به، إذ لا يقسم بالشيء إلا إعظامًا له، فكأنه بدخولها يقول: إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها - كلا إعظام - يعني أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك"^(٢).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْأَلُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ﴾^(٣).

"في قوله لنخرجنك: التأكيد القسمي للمبالغة والاعتناء بالحكم. وقوله تعالى: أو لعودن في ملتنا عطف على جواب القسم، أي والله ليكونن أحد الأمرين البتة: الإخراج، أو العود، على أن المقصد الأهم هو العود، وإنما ذكر الأول لمجرد القسر والإلجاء"^(٤).

ويقول الألوسي: "وإنك تعطف على المقسم به، فتدخله في حكم القسم من غير واو، نحو قوله تعالى: "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى" وقوله سبحانه: "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس"، ويستغنى عن تكرار حرف القسم بنبابة العاطف منابه"^(٥).

(١) النساء (٦٥).

(٢) روح المعاني (٧٠/٥).

(٣) الأعراف (٨٨).

(٤) روح المعاني (٢/٩).

(٥) روح المعاني (٨٠/٨).

وقد أفاض الألوسي في إيضاح المعاني التي يشملها القسم، والأسرار البلاغية التي تدخل في جملة القسم، ومعاني حروف القسم، ونجد ذلك جلياً في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(١).

حيث قال: "تالله تفتأ، أي: لا تفتأ، ولا تزال تذكر يوسف تفجّعاً عليه، فحذف حرف النفي كما في قوله:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي^(٢).

لأن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي، وعلامة الإثبات هي اللام ونون التأکید، وهما يلزمان جواب القسم المثبت، فإذا لم يذكر دَلٌّ على أنه منفي؛ لأن المنفي لا يقارنهما، ولو كان المقصود ههنا الإثبات لقليل: لتفتأن^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٤).

يقول الألوسي: "قتل الإنسان دعاء عليه بأشنع الدعوات وأفظعها، ما أكفره، تعجيب من إفراطه في الكفران، وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه، ثم إن هذا الكلام اشتمل على ما سمعت من الدعاء مراداً به، إذ لا يتصور منه تعالى لازمه، وعلى التعجب المراد به؛ لاستحالته عليه سبحانه التعجيب لكل سامع"^(٥).

(١) يوسف (٨٥).

(٢) ديوان امرئ القيس، شرح وتحقيق: حجر عاصي. دار الفكر العربي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م. (٨٩).

(٣) روح المعاني (٤١/١٣).

(٤) عبس (١٧).

(٥) روح المعاني (٤٣/٣٠).

ثالثاً: المدح والذم.

جهود الألوسي في المدح والذم:

لقد ناقش الألوسي أسلوب المدح والذم بشيء من التفصيل، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا خَيْرًا ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) يقول الألوسي: "فاللام جيء بها للتأكيد؛ اعتناءً بالذم، (فلبئس مثنوى المتكبرين)، ولتأكيد الاعتناء بالمدح جيء باللام أيضاً فيما بعد من قوله سبحانه (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين)؛ لأن أولئك القوم على ضد هؤلاء؛ هادون مهيئون" (٣).

كما تناول الألوسي هذا الأسلوب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٤).

حيث قال: "أي لبئس شيئاً فعلوه في الدنيا ليردوا على جزائه في العقبي أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، تنبيهاً على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد، ومبالغة في الذم، أي بئس ما قدّموا لمعادهم موجب سخط الله عليهم، وإنما اعتبروا المضاف لأن نفس سخط الله تعالى باعتبار إضافته إليه — سبحانه — ليس مذموماً، بل المذموم ما أوجبه من الأسباب على أن نفس السخط مما لم يعمل في الدنيا ليرى جزاؤه في العقبي كما لا يخفى" (٥).

(١) النحل (٢٩-٣٠).

(٢) روح المعاني (١٤/١٣٠).

(٣) المائدة (٨٠).

(٤) روح المعاني (٦/٢١٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

يقول الألوسي: "ونعم الوكيل، أي الموكول إليه، ففعليل بمعنى مفعول، والمخصوص بالمدح محذوف هو ضميره تعالى"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "ومهاد كفرآش لفظاً ومعنى، والمخصوص بالذم مقدر، وهو جهنم، أو ما مهّده لأنفسهم"^(٤).

رابعاً: الرجاء.

الرجاء في اللغة:

يقول ابن فارس: "الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على الأمل، يقال رَجَوْتُ الأَمْرَ أَرْجُوهُ رجاءً"^(٥).

والرجاء في اصطلاح البلاغيين "هو تعلُّق القلب بمحصل محبوب في المستقبل"^(٦).

جهود الألوسي في الرجاء:

(١) آل عمران (١٧٣).

(٢) روح المعاني (١٢٧/٤).

(٣) آل عمران (١٢).

(٤) روح المعاني (٩٥/٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤٩٤/٢).

(٦) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. (ص ١٤٦).

لقد تناوله الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ^(١) أسبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ^(٢) حيث قال: "وقال فاطلع بالنصب على جواب الترجي عند الكوفيين" ^(٣).

"ولعل في المشهور موضوعة للترجي، (وهو الطمع في حصول أمر محبوب ممكن الوقوع) والإشفاق، وهو توقُّع خوف ممكن، والظاهر التقابل فتكون مشتركة، وذكر الرضي أنها للترجي، وهو ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، فدخل فيه الطمع والإشفاق.

والذي يميل إليه القلب أنها لإنشاء توقُّع أمر متردّد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول، إما محبوب فيسمى رجاءً، أو مكروه فيسمى إشفاقاً، وذلك قد يعتبر تحقُّقه بالفعل، إما من جهة المتكلِّم، وهو الشائع؛ لأن معاني الإنشاءات قائمة به، وإما من جهة المخاطب تنزيلاً له منزلة المتكلِّم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما" ^(٣).

(١) غافر (٣٦ - ٣٧).

(٢) فالكوفيون يجوزون النصب بعد الفاء في جواب الترجي كالتمني، ومنع ذلك البصريون، وخرجوا النصب هنا على أنه في جواب الأمر وهو ابن، كما في قوله:

يا ناق سيّري عنقا فسيحاً إلى سليمان فنستريحاً. روح المعاني (٦٩/٢٤).

(٣) روح المعاني (١٨٥/١).

المبحث الثاني

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

المبحث الثاني

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

من البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكلّ مقام مقالاً، ولكن قد يحدث أن يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر لأغراض يلجأ إليها البلاغي، وهي مراعاته لمقتضى الحال^(١).

والمراد بالظاهر هنا: "المتعارف عليه، الذي اكتسب صفة الثبات والشهرة؛ سواء في قواعد اللغة، أو في قوانين الصياغة، فالتعبير عن الواحد بلفظ الجمع، أو إطلاق لفظ الاثنين وإرادة الواحد، أو استعمال الفعل الماضي، والمتبع الفعل المضارع، أو العكس: أن يُنزل المخاطب غير السائل منزلة السائل، أو غير المنكر منزلة المنكر، أو المنكر منزلة غير المنكر...، كل هذا يعتبر خروجاً عن مقتضى الظاهر المتَّبَع، وكسرًا للمعيار اللغوي لنكتة بلاغية مقصودة"^(٢).

وصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كثيرة، منها إضافة لما سبق: "وضع المضمّر موضع المظهر، أو العكس، ومنها الالتفات، والتغليب، إلى غير ذلك من الصور"^(٣).

وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لا يكون إلا لنكتة بلاغية، على الباحث أن يبحث عنها؛ ليتجلّى السر في مخالفة الظاهر.

وسأقف على شواهد من القرآن الكريم، تبحث عن سر العدول عن مقتضى الظاهر.

فمن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

أولاً: الالتفات:

"الالتفات في اللغة: مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارةً كذا، وتارةً كذا"^(٤).

(١) المراد بالحال هنا حال المتكلم والمخاطب.

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة ١٩٩٦ م. (ص ٩٧).

(٣) انظر الإيضاح (ص ٧٥-٨٦).

(٤) انظر لسان العرب (٣٠١/١٢) مادة لفت.

وفي اصطلاح البلاغيين : "هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني: (الحكاية والخطاب والغيبة)، إلى الأخرى منها لمفهوم واحد؛ رعاية لنكتة" (١).

"ويسمى شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة، حيث لا يرُدُّها غيره، والالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها" (٢).

ومن الشواهد الكريمة على الالتفات قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣).

الالتفات في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ..﴾ وقوله سبحانه: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾.

لأن في الآية خطاباً، مضمونه تقرير لأمر رسول الله ﷺ، وبيان لمكانته العظيمة في الأرض، وبيان أن الخطاب يحمل معاني يجب الالتفات إليها. بينما جاءت الجملة الأخرى قوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ توضيحاً لما شملته جملة الخطاب، وحثاً على فعل الطاعات اقتداءً بسنة المصطفى ﷺ؛ فناسب ذلك الغرض الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ليفيد بعث مثل هذا الشعور لدى المؤمنين في أن يكونوا في حالة رجاء دائم، وذكر مستمرين" (٤).

ومن الشواهد المناسبة لموضوع الالتفات هو مقام الدعوة إلى الله تعالى الذي يتطلب مراعاة أحوال المخاطبين، ويتضح سر بلاغته في قوله تعالى:

(١) التبيان في البيان، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تعليق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م (ص ١٣٢).

(٢) انظر: المثل السائر. (٣/٢)، والطراز (٧١/٢).

(٣) الأحزاب (٢١).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،

الشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. (٧/٢١٥).

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٢ ءَأَخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾^(١).

فهو من أسرار بلاغة الالتفات من التكلم إلى الخطاب^(٢) في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. بعد أن بيّن - ذلك المؤمن - فضل المولى ﷻ الذي ربّاه وأحسن إليه؛ فأنشأه من العدم، وذلك بما ورد عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾، حيث التعبير بضمير المتكلم، بما فيه من دلالة على الإقرار بالربوبية والعبودية لله - تبارك وتعالى -، ثم التحول منه إلى أسلوب الخطاب، بقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، حيث العدول عن لفظ الواحد ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، إلى ضمير الجمع في ﴿تُرْجَعُونَ﴾، أراد به قومه، والتعبير بلفظ ﴿تُرْجَعُونَ﴾، حيث التذكير بيوم البعث والحساب - وهو ما ينكره المشركون - فيه مبالغة في التهديد والزجر. وبلاغة الالتفات من التكلم عن نفسه، ثم استمالة قومه بالخطاب، فيه تلطف وترغيب في الإيمان، وهو الدعوة التي أراد في مضمونها إلزام نفسه وقومه بالإيمان بالله - تعالى -، وإشارة إلى أن الإيمان ليس مقصوراً عليه^(٣).

ومن الشواهد على الالتفات ما جاء من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجِرَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ ٢٦ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٤).

(١) يس (٢٢-٢٣).

(٢) انظر: الإيضاح (ص ٧٨).

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. (٢/٢٨٠)، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م. (٥/٢٩٥)، والفتوحات الإلهية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. (٦/٢٨٣).

(٤) فاطر (٢٩-٣٠).

فالالتفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله سبحانه: ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾.

فضمير التكلم في قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ فيه مظهر العظمة لله ﷻ، وإشارة إلى أن الرزق منه وحده؛ فلا أحد يستطيع أن يحول بين الرزق وصاحبه، بل كل شيء بحول الله تعالى وبقوته.

ثم الالتفات إلى ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿لِيُؤْفِيَهُمْ﴾ مناسب؛ لأن السياق للمؤمنين، ففيه إشارة إلى إيمانهم بالغيب، وامتداحهم به؛ فإن الله ﷻ بعد أن رغب في الإنفاق، تكفل بحفظ ما ينفقون، وإبقائه إلى يوم لقائه.

وفي لفظ: (ليوفيهم) علةٌ لمدلول نفي الكساد^(١). وهذا اللفظ فيه دلالة على تمام العطاء والأجر والثواب؛ وهو لفظ ينفي الكساد عن أعمالهم، بل دليل على قبول أعمالهم، وأنها موفاة بحسب أعمالهم، وخلوص نواياهم في جميع أعمالهم الصالحة، كالتلاوة، وإقامة الصلاة والإنفاق^(٢).

جهود الألوسي في الالتفات:

ولقد تكلم الألوسي عن الالتفات في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٣).

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٢).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢٨٢).

(٣) البقرة (٢٥٣).

حيث قال: "وفي إيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات تربية للمهابة، ورمز إلى ما بين التكلّم والرفع، وبين ما سبق من مطلق التفضيل، وما لحق من إيتاء البيّنات والتأييد بروح القدس من التفاوت" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات؛ للإشارة إلى تعظيم الموعد والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيّب الهائل، وللإشعار بعلّة الحكم؛ فإن الإلهيّة منافية للإخلاف" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٤) ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (٥).

يقول الألوسي: "فيه خروج من خطاب المسلمين في (إلا الذين عاهدتم) إلى خطاب المشركين في (فسيحوا)، ثم التفات من التكلّم إلى الغيبة في (واعلموا أنكم غير معجزى الله)، (وأن الله)، والأصل غير معجزى، وإني، وفي هذا الالتفات بعد الالتفات الأول افتتاناً في أساليب البلاغة، وتفخيم للشأن، وتعظيم للأمر، وكل هذا من حسنات الفصاحة" (٦).

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ تَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ (٧) وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٨).

(١) روح المعاني (٢/٣).

(٢) آل عمران (٩).

(٣) روح المعاني (٩١/٣).

(٤) التوبة (١-٢).

(٥) روح المعاني (٤٩/١٠).

(٦) الرعد (٤١).

يبين الألوسي بلاغة الالتفات، ويقول: "وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة، وبناء الحكم على الاسم الجليل - من الدلالة على الفخامة، وتربية المهابة، وتحقيق مضمون الخبر، بالإشارة إلى العلة - ما لا يخفى" (١).

وفي تفسيره لقوله جل شأنه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٢).

يقول الألوسي: "وقوله تعالى 'لقد جئتم شيئاً إدّاً' ردُّ لمقالتهم الباطلة، وتحويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبئ عن كمال السخط، وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح" (٣).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ كَذَابِ ءَالٍ فَرَعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤).

"والالتفات للتكلم أولاً في (آياتنا)؛ للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانياً بإظهار الجلالة لتربية المهابة، وإدخال الروح" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٦).

يقول الألوسي: "والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل؛ للإيدان بفخامة شأنها" (٧).

(١) روح المعاني (١٣/١٧٤).

(٢) مريم (٨٨-٨٩).

(٣) روح المعاني (١٦/١٣٩).

(٤) آل عمران (١٠-١١).

(٥) روح المعاني (٣/٩٤).

(٦) إبراهيم (٥).

(٧) روح المعاني (١٣/١٨٧).

ثانياً: التعبير بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي:

الفعل يصوّر الحدث والزمن، وقد ارتبط أحدهما بالآخر؛ فكوّن هيئة معينة للفاعل والزمن، إما أن يكون حدثاً انتهى، ويسمى الفعل ماضياً، وإما أن يكون سيحصل في المستقبل أو الحال، وهو الفعل المضارع؛ فإذا جاءت الأفعال على هذه الصورة، فتسمى موافقة لما يقتضيه الظاهر، وأما إذا أُخرجت عنه، فتكون على خلاف مقتضى الظاهر.

"ومن ذلك أن يُعبّر عما حدث من الأفعال التي في الحاضر والمستقبل بلفظ الماضي، وقد يحدث أن يُعبّر عما حدث من الأفعال وانتهى بالفعل المضارع؛ دلالة على الحال أو الاستقبال. وهذه الصياغة متعارف عليها في أقوال العرب وأشعارهم، وإيقاع أحد الزمنين موضع الآخر لا يخلو من نكتة بلاغية.

وهذا الأسلوب يرد كذلك في كتاب الله العزيز كثيراً؛ لأغراضٍ ومقاصد تناسب السياق، ويُستدل عليها بالقرائن، ولهذا الأسلوب فائدة أوردها ابن الأثير حين قال: "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يُعطي من المعنى أنه قد كان ووُجد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها.

والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغرض بذاك تبين هيئة الفعل: واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا هو الدلالة عن إيجاد الفعل الذي لم يُوجد بعد" (١).

ومن أمثله في القرآن الكريم، والتي تظهر أسرارهِ وإعجاز أقوال المولى - تبارك وتعالى - قوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۖ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

(١) المثل السائر (١٦/٢).

(٢) الأعراف (٤٤).

"بعد أن استقرَّ أهل الجنة في دارهم خالدين منعمين، وأهل النار في النار يعذبون. حصل النداء ما بين الطرفين"^(١)، فعبر عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه. والتعبير عن الفعل المستقبل -الذي لم يحدث ولم يوجد- بالفعل الماضي أبلغ في تحقيق الفعل ووجوده، مما يجسد الأقوال صورًا ماثلة تُستحضر وتُشاهد.

ولجئ إلى الأفعال بصيغة الماضي بلاغة؛ لأنها إخبار عما سيحدث في المستقبل، ذلك أن التعبير بالماضي: "تشبيهًا له في التحقيق، والعرب تفعل ذلك لفائدة، وهو أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأكّد، وأعظم موقعًا، وأفخم بيانًا؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووُجد، وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدثها"^(٢).

جهود الألويسي في التعبير بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي:

لقد تناول الألويسي هذا الأسلوب البلاغي، وتطرّق إليه، حيث قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

"ووضع الماضي (وقضي) موضع المستقبل لدنو وتيقن وقوعه"^(٤).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. (١/٥٨٢).

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي، الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي: د. زكريا سعيد علي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. (ص ٦٩). وانظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام الحافظ عز الدين بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م. (ص ٢٦).

(٣) البقرة (١١٠).

(٤) روح المعاني (٩٩/٢).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۖ وَعَدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "(إنا كنّا فاعلين) ذلك بالفعل لا محالة، والأفعال المستقبلية التي علم الله تعالى وقوعها كالماضية في التحقق، ولذا عبّر عن المستقبل بالماضي في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز"^(٢).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ ۖ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٣).

"حمل الماضي على معنى المستقبل، أي فجزاؤه جهنم، وأن يغضب الله تعالى عليه الخ"^(٤).
أما التعبير عن الماضي بالمستقبل فقد تناوله الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٥).

حيث قال: "وكذلك نرى إبراهيم هذه الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة استعارة لغوية للمعرفة من إطلاق السبب على المسبب، أي عرفناه وبصرناه، وكان الظاهر أرينا بصيغة الماضي، إلا أنه عدل إلى صيغة المستقبل حكاية للحال الماضية استحضاراً لصورتها، حتى كأنها حاضرة مشاهدة"^(٦).

(١) الأنبياء (١٠٤).

(٢) روح المعاني (١٧/١٠٣).

(٣) النساء (٩٣).

(٤) روح المعاني (٥/١١٥).

(٥) الأنعام (٧٥).

(٦) روح المعاني (٧/١٩٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ ٧٠ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾^(١).

يقول الألوسي موضِّحاً أسلوب التعبير عن الماضي بالمستقبل: "وحاصل المعنى ما ضاع منكم، وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة، فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سُرِقَ منكم على ما قيل؛ لبيان كمال نراحتهم، بإظهار أنه لم يُسَرَقَ منهم شيء، فضلاً عن أن يكونوا هم السارقين له، وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم ماذا؟ وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب، والاحتراز عن المجازفة، ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه، لاسيما بطريق التأكيد، فلذلك غيَّروا كلامهم، حيث قالوا في جوابهم (قالوا نفقد صواع الملك)، ولم يقولوا (سرقتموه أو سُرِقَ)، وكان الظاهر أن يبادروا بالإنكار، ونفي أن يكونوا سارقين، ولكنهم قالوا ذلك طلباً لإكمال الدعوى، إذ يجوز أن يكون فيها ما تبطل به، فلا تحتاج إلى خصام"^(٢).

وقد عبَّر عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، وقد تحدَّث الألوسي عن ذلك، فقال: "يقول أولئك توبيخاً للمشركين، وإظهاراً للشماتة بهم، وتقريراً لما كانوا يعظونهم، وتحقيقاً لما أوعدهم به، وإيثار صيغة الماضي (قال الذين...) للدلالة على تحقيق وقوعه وتحتمله حسبما هو المعهود في أخباره تعالى"^(٤).

(١) يوسف (٧٠-٧٢).

(٢) روح المعاني (٢٥/١٣).

(٣) النحل (٢٧).

(٤) روح المعاني (١٢٨/١٤).

كما ورد التعبير عن المستقبل بالماضي في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(١).

يقول الألوسي: "والمراد من أوردتهم، يوردهم، والتعبير به دونه؛ للإيذان بتحقيق وقوعه لا محالة"^(٢).

كما جاء التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).
قال الألوسي: "لفظ سيقول مراد منه الماضي، وهذا كما يقول الرجل إذا عمل عملاً فظعن فيه بعض أعدائه: أنا أعلم أنهم سيطعنون"^(٤).

وفي ورود المستقبل في مكان الماضي في قوله تعالى: ﴿الْمَرَّ تَرَأَىٰ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٥).

يعلق الألوسي على ذلك قائلاً: "والعدول عن الماضي إلى المضارع لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم علي فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكرًا له. ولو قلت: فرُحْتُ وغدوت لم يقع ذلك الموقع. كما أن في هذا العدول إلى المضارع استحضاراً للصورة البديعة"^(٦).

(١) هود (٩٧-٩٨).

(٢) روح المعاني (١٣٤/١٢).

(٣) البقرة (١٤٢).

(٤) روح المعاني (٢/٢).

(٥) الحج (٦٣).

(٦) روح المعاني (١٩١/١٧).

ثالثاً: التغليب:

هو: "إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظة عليهما، إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين"^(١). وهو أحد طرق خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ لأنه إعطاء أحد الحكمين لفظ الآخر على سبيل الاشتراك في أمر، ولم يكن ذلك حقيقة واقعة؛ بل من باب التغليب، لنكتة بلاغية.

وليتضح المراد بهذا المصطلح أقدم هذا الشاهد، وهو قوله تعالى: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَةٍ رَهِتَا وَكُتِبَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾^(٢).

"فلم يقل: (من القانتات)، لكن عُدَّتْ الأنثى من الذكور بحكم التغليب، ولهذا سرٌّ بلاغي المراد منه: امتداحها بحسن العبادة في جدّها واجتهادها وعلمها، لذلك استحققت الرفعة من الله ^{وَجَلَّ}، لتكون في مصافّ الرجال أهل العبادة"^(٣).

وللتغليب أنواع منها:

١- تغليب المذكر على المؤنث.

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٤). يقول الألوسي: "فكان أبواه، أي أبوه وأُمّه، ففيه تغليب"^(٥).

٢- تغليب العاقل على غيره.

(١) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان. (٣/٣٠٢).

(٢) التحريم (١٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/٣٠٢).

(٤) الكهف (٨٠).

(٥) روح المعاني (١٠/١٦).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وقد علّق الألوسي على ذلك بقوله: "وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء، وبني على تغليبهم في الضمير التعبير بمن واقعة على ما لا يعقل"^(٢).

وهناك أنواع أخرى للتغليب^(٣).

والتغليب باب واسع يجري في ألوان كثيرة من البلاغة.

وأيضاً تناول الألوسي التغليب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٤).

حيث قال: "إذا تراضوا ظرف للا تعضلوا، والتذكير باعتبار التغليب"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٦).

يقول الألوسي: "وإدراج النساء في الجمع (الشهداء) بطريق التغليب"^(٧).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازِوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٨).

(١) النور (٤٥).

(٢) روح المعاني (١٩٣/١٨).

(٣) انظر الإيضاح (ص ٩٨، ٩٩).

(٤) البقرة (٢٣٢).

(٥) روح المعاني (١٤٥/٢).

(٦) البقرة (٢٨٢).

(٧) روح المعاني (٥٨/٣).

(٨) النساء (١٦).

"واللذان يأتياها منكم، هما الزاني والزانية، بطريق التغليب"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "وغلب في (يذُرُّكُمْ) المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، فهناك تغليب واحد اشتمل على جهتي تغليب، وذلك لأن الأنعام غائب غير عاقل، فإذا أدخلت في خطاب العقلاء كان فيه تغليب العقل والخطاب معًا، وهذا التغليب "أعني التغليب لأجل الخطاب والعقل" من الأحكام ذات العلتين، وهما هنا الخطاب والعقل"^(٣).

رابعاً: الأسلوب الحكيم:

"هو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلّب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولى بحاله، أو المهم به"^(٤).

"ومفهوم هذا التعريف يشير إلى أن الأسلوب الحكيم يقوم على ثلاثة دعائم:

١ - المحاورة بين اثنين: مُخَاطَبٌ ومُخَاطَبٌ، أو سائل ومجيب.

٢ - الإجابة بغير ما يترقّب، أو العدول عن الجواب إلى غيره.

٣ - مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل"^(٥).

(١) روح المعاني (٤/٢٣٥).

(٢) الشورى (١١).

(٣) روح المعاني (١٧/٢٥).

(٤) الإيضاح (ص ٨٢).

(٥) الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر -

شعبان ١٤١٦ هـ (ص ٣١).

وخصائصه الأسلوبية أجمالها فيما يلي:

أنه يعتمد على الحكمة في الخطاب، وحسن التأني في الأمر، والتلطف للوصول إلى الغاية بأسلوب غير مباشر للتنبيه على المقصود، ومن خصائصه أن يستعمل للاستطراف، ثم حسن التخلص مما قد يقع من إحراج سائل^(١).

وللأسلوب الحكيم شواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب المنظوم والمنثور. "فمن شواهد في الحديث ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ قال ويلك: وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: إنك مع من أحببت...) ^(٢)، فعندما سأل الرجل عن موعد قيام الساعة، أجابه ﷺ بسؤال مضمونه ماذا أعددت لذلك اليوم؟ فالسؤال تنبيه إلى ما فيه مصلحة السائل، وكذلك لفت النظر إلى ما ينبغي على المؤمن أن يُعدَّ به نفسه لليوم الآخر" ^(٣).

ومن شواهد الأسلوب الحكيم قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءُ مُّؤْمِنُونَ﴾ ^(٤).

في هذه الآية الكريمة تستبين حال كفار الأشراف المعظمين لأنفسهم، وهم يحاربون الأتباع الذين آمنوا بصالح عليه السلام، وهم من الضعفاء، فأجاب الضعفاء بما يجدون فيه فخرهم وعزهم، وهو الإيمان.

(١) لمعرفة المزيد من هذه الخصائص انظر: الأسلوب الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية (ص ٤٦، ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله ﷺ، (٢٢٨٢/٥)، حديث رقم (٥٨١٥)، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (٤ / ٢٠٣٢)، حديث رقم (٢٦٣٩).

(٣) انظر: الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية (ص ٥١).

(٤) الأعراف (٧٥).

الأسلوب الحكيم وأسراره البلاغية في قوله تعالى: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(١).

"وإنما عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا: نعم، أو نعلم أنه مُرْسَلٌ منه -تعالى- مسارعةً إلى تحقيق الحق، وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي تنبئ عنه الجملة الاسمية، وتنبئها على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يُسأل عنه، وإنما التحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به"^(٢) في قوله تعالى: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾.

وهذا هو الأسلوب الحكيم، عُبر به في هذه الآية الكريمة تقريباً للمستكبرين على سؤالهم، وبيان أن أمر إرساله حقيقة مُسَلَّم بها، والواجب اتباعه؛ لذلك كان جواب أهل الكفر بقوله تعالى: ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾، فاتضح خطأ موقع سؤالهم، وأنه لم يصيب مكانه؛ لأن الموقف لم يزدهم إلا إيماناً^(٣).

جهود الألوسي في الأسلوب الحكيم:

لقد تناول الألوسي الأسلوب الحكيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا يُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾^(٤) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى^(٥).

حيث قال: "ولم يذكر عليه السلام المكان الذي ذكره اللعين، وأعرض عليه السلام عن ذكره مكتفياً بذكر الزمان المخصوص؛ للإشارة إلى استغنائه عن ذلك، وأن كل الأمكنة بعد حصول الاجتماع بالنسبة إليه سواء، فقد أخرج عليه الصلاة والتسليم جوابه على الأسلوب الحكيم"^(٥).

(١) الأعراف من الآية (٧٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢/٥١١، ٥١٢)، وانظر: نظم الدرر، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م. (٧/٤٤٧)، و تفسير روح البيان، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. (٣/٢٤٦).

(٣) انظر الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان. (٤/١٩٧).

(٤) طه (٥٨-٥٩).

(٥) روح المعاني (١٦/٢١٨).

المبحث الثالث

القصر

المبحث الثالث

القصر

القصر في اللغة:

"القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، فأما أحدهما؛ فإنه يدل على عدم وصول الشيء نهايته، والقصر: خلاف الطول، يقال: قصرت الثوب والحبل تقصيراً، ويقال: قصر الصلاة، وهو عدم تمامها لسفر أو نحو ذلك، والأصل الآخر يدل على الحبس، يقال قصره: إذا حبسه، وامرأة قاصرة الطرف؛ لا تمتد إلى غير بعلمها، كأنها تحبس طرفها حبساً، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ﴾^(١).

ونلاحظ أن الأصلين متقاربين، يجتمعان في معنى واحد، وهو عدم الامتداد"^(٢)، ومنه قولهم: قصر الشيء على الأمر: رده إليه، وقولهم: يقصر در ناقتة على فرسه، يجعلها خاصة له"^(٣).

أما القصر اصطلاحاً:

"فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"^(٤). وهو أحد طرق القصر المصطلح عليها من قبل البلاغيين، ونلاحظ أن المعنى اللغوي هو أساس المعنى الاصطلاحي، الذي استقر عليه علماء البلاغة حينما عرّفوا القصر.

(١) الرحمن (٥٦).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٩٦/٥، ٩٧)، (باب القاف والصاد، وما يثلاثهما)، وبصائر ذوي التمييز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان. (٢٧٣/٤، ٢٧٤)، ولسان العرب (١٨٥/١١)، (مادة قصر).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية. (٣٩٣/٣).

(٤) انظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. (ص ٤٠٠).

"ويلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي: بأن الموصوف يختص بصفة دون أخرى، كقولك: زيد قائم لا قاعد. لمن يتوهم أن زيداً على أحد الوصفين، دون ترجيح، فقد أفادت الجملة الإثبات والنفي، فأثبتت القيام لزيد، ونفت عنه القعود، وغالباً ما يكون إثبات الصفة ونفي غيرها صريحاً، وقد يأتي الإثبات صريحاً، والنفي متضمناً، فعندما نقول: (إنما نجح محمد)، فقد أثبتنا النجاح لمحمد، ونفيناه عن غيره ضمناً، وقد يكون الأمر غير ذلك، كما في قولهم: (ما أنت فعلت هذا)، فهنا نفيت الفعل عن المسند إليه المقدم نصاً، وأثبتته لغيره ضمناً.

وهذا الشيء الذي أُثبت ونُفي يسمى مقصوراً، وهو إما أن يكون صفةً، أو يكون موصوفاً، والذي أُثبت له يسمى مقصوراً عليه، وهو أيضاً صفةً أو موصوفاً، والطريق المخصوص هو أدوات القصر"^(١).

أقسام القصر:

ينقسم القصر باعتبار عموم النفي، وعدم عمومه، إلى:

قصر حقيقي: وهو تخصيص الشيء بالشيء على وجه الحقيقة، وأن نفس الأمر —أو الصفة— لا يتجاوز إلى غيره. كما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢).

قصر غير حقيقي: وهو القصر الإضافي: ويكون بحسب الإضافة والتخصيص، والتخصيص بالمذكور ليس مطلقاً؛ بل بالإضافة إلى معين آخر، أي: بالإضافة إلى صفةٍ أخرى^(٣)، ومثال ذلك قولك: (زهير شاعر لا كاتب). فالمراد قصر زهير على صفة الشعر، لا يتجاوزها إلى كونه كاتباً. أي زهير شاعر، وليس كاتباً، وهذا لا يمنع أن يكون لزهير صفة أخرى غير قول الشعر^(٤).

وطرق القصر كثيرة، منها:

(١) انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٤-٣).

(٢) الأنعام (٥٩).

(٣) انظر: المطول (ص ٣٨١).

(٤) انظر: الإيضاح (ص ١٢٤، ١٢٥).

١ - النفي والاستثناء.

ومنه قول ابن خفاجة:

وما السيفُ لولا الخوف إلا حديدٌ ولا الرمح إلا خُوطَةٌ تتأوَّدُ^(١)

٢ - القصر بـ(إنما).

ومنه قول امرئ القيس:

ألا إنما الدهر ليالٍ وأعصرٌ وليس على شيءٍ قويمٌ بمستمر^(٢)

تقديم المسند أو المسند إليه أو بعض متعلقاتهما.

العطف بـ(لا)، وبـ(بل).

والتأمُّيل في طرق القصر يجد بينها فروقًا من حيث موقع المقصور والمقصور عليه، ففي النفي والاستثناء يأتي المقصور عليه بعد الاستثناء، أما القصر بـ(إنما)، فالمقصور يليها دائمًا. أما في حالة التقديم والتأخير، فالمقدَّم هو المقصور عليه، والمؤخر هو المقصور. أما العطف بـ(لا)، فالمقصور عليه يكون قبلها، وإذا كان العطف بـ(بل)، فإن المقصور عليه يكون بعدها^(٣).

أغراض القصر:

لما كان القصر بمثابة تخصيص الشيء بالشيء، فإن إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، جعل جملة القصر في قوة جملتين، وبهذا أصبح القصر أحد طرق الإيجاز، والإيجاز من أهم أغراضه.

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م. (ص ١٠٢).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٥١).

(٣) انظر: بغية الإيضاح (٢/١٠-١٥).

ومن أغراض القصر كذلك: "أن يُتعرّف على حال المخاطب النفسيّة، وينظم عبارته بناءً على ما في نفسه من شكٍّ أو إنكار؛ حتى يتمكّن الكلام، ويتقرّر في الذهن، ويندفع ما في النفس من أوهام تحوم حول الواقع"^(١).

وقد ورد القصر في كثير من آي الذكر الحكيم، ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢).

فهذه الآية المباركة تُبيّن حقيقة الإيمان الذي يتمكّن من نفس صاحبه، وأنه يجعل تلك النفس المؤمنة تخلع عنها رداء الذل والخضوع لغير وجه الله - تعالى -، وتستجمع كل عزها وأنفتها العربية المعهودة؛ خالصة له جلّت قدرته.

ولقد ورد في معنى العبادة: "أنها بمعنى نخشع ونذل ونستكين؛ لأن العبودية الحقّة له لا تكون إلاّ بالمدلّة، وأن العرب كانت تسمي الطريق المذلّ الذي وطئته الأقدام، وذلّته السابلة (معبداً)، وأما الاستعانة؛ فإنها بمعنى: نطلب منك العون على عبادتنا إياك دون سواك"^(٣).

والقصر في الآية الكريمة أحد ألوان البلاغة التي تدل على الإعجاز، "فالقصر بتقديم المفعول به (إياك) لقصد الاختصاص، والمعنى نخصّك بالعبادة، ونخصّك بالاستعانة، ولا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك"^(٤).

بالإضافة إلى ما في معناه من التعظيم والاهتمام به، وما فيه من التبرئة من الشرك، والتعريض بالمشركين^(٥)، ولما تكرّر الضمير المنصوب (إياك) دلّ على زيادة الاختصاص والاعتناء بهذا المعنى

(١) انظر: بغية الإيضاح (٣/٢).

(٢) الفاتحة (٥).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م. (٦٩/١).

(٤) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٩/١).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٦/١).

– العبادة والاستعانة – لما لهما من فضلٍ، وإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب^(١)، كما أن فيها إشعارًا بالتنصيص على طلب العون^(٢).

وهذا القسم من التقديم يسمى قصرًا حقيقيًا؛ لأن المؤمنين الذين ألهموا الحمد والثناء؛ فإنهم لا يعبدون ولا يستعينون استعانة حقيقة بغير إرادة المولى المستحق لذلك^(٣).

"وقصر الصفة على الموصوف هو ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، نحو قوله تعالى: (إياك نعبد)؛ حيث قصرت صفة العبادة على الله ﷻ، وهي مما لا ينبغي لغيره – سبحانه – حتى يتحقق الإيمان الصحيح. وهذا القصر يسمى قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا، وليس كذلك في قوله تعالى: ﴿إياك نستعين﴾ بل هو من باب القصر الحقيقي؛ لأن الإنسان قد يحتاج إلى من يعينه ويساعده في بعض الأمور، ومن يحقق له مطالبه، وهذا النوع من المساعدة لا بد للبشر منها"^(٤)، بل ومندوب إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٥).

"كما ناسب أن يذكر الضمير في (نعبد)، و(نستعين) بصيغة الجمع؛ إشعارًا بضعف العبيد، وحاجاتهم بعضهم إلى بعض، وأنهم جميعًا إلى الله – تعالى – مفتقرون، وإليه متجهون لقضاء حوائجهم"^(٦).

جهود الألوسي في القصر:

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٦/١).

(٢) انظر: روح المعاني (٩٣/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٨٣/١/١).

(٤) انظر: علم المعاني، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(٥) (١٦/٢).

(٥) المائة (٢).

(٦) انظر: روح المعاني (٩٠/١).

لقد تناول الألوسي القصر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾^(١).

حيث قال: "والقصر في الموضعين بناءً على القول بإفادة إنما بالكسر وإنما بالفتح الحصر من قصر الموصوف على الصفة قصر قلب، والمقصود عليه في الأول أنا، والمقصود البشرية مثل المخاطبين، وهو مبني على تنزيلهم لاقتراحهم عليه -عليه الصلاة والسلام- ما لا يكون من بشر مثلهم منزلة من يعتقد خلافه، أو على تنزيلهم منزلة من دُكر لزعمهم أن الرسالة التي يدعيها مبرهنة بالبراهين الساطعة تنافي ذلك، ومما يوضح ما ذكرنا أنه لو قيل: إنما إلهكم واحد لم يكن إلا من قصر الموصوف على الصفة، فزيادة إله للتوطئة للموصف بواحد"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَخْشَاهَا﴾^(٣).

يقول الألوسي: "والقصر من قصر الموصوف على الصفة، والمعنى: ما أنت إلا منذر، لا معلّم بالوقت مبين له، وإنما ذكر صلة المنذر إظهارًا لكونها ذات مدخل في القصر، لكون الكلام في القصر على منذر خاص، ونفي إعلام خاص يقابله، وكونه من قصر الصفة على الموصوف بناءً على ما يتبادر إلى الفهم من أن المعنى: إنما أنت منذر الخاشي دون من لا يخشى، أي ما أنت منذر إلا من يخشى دون غيره"^(٤).

وقد تحدّث الألوسي عن القصر بجميع أقسامه، فقد تناول القصر الإضافي بأقسامه من إفراد وقلب وتعيين، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٥) يقول الألوسي: "وحيث إن مقصودهم شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر إفراد حتمًا"^(٦).

(١) الكهف (١١٠).

(٢) روح المعاني (٥٣/١٦).

(٣) النازعات (٤٥).

(٤) روح المعاني (٣٧/٣٠).

(٥) الكافرون (٦).

(٦) روح المعاني (٢٥٤/٣٠).

كما تحدّث عن قصر القلب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(١).

حيث قال: "وإنما أنا نذير مبين، ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات، لا الإتيان بما اقترحموه، فالقصر قصر قلب"^(٢).

كما تناول قصر القلب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَٰئِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٣).

فعلّق الألوسي قائلاً: "قل إن هدى الله هو الهدى، فإنه على طريقة الجواب لمقاتلتهم، ولعلمهم ما قالوا ذلك إلا لزعمهم أن دينهم حق وغيره باطل، فأجيبوا بالقصر القلبي، أي دين الله تعالى هو الحق، ودينكم هو الباطل، وهدى الله تعالى الذي هو الإسلام هو الهدى، وما يدعون إليه ليس بهدى، بل هوى على أبلغ وجه؛ لإضافة الهدى إليه تعالى"^(٤).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله ﴿وَلَكُمْ مِّنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ۚ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾^(٥).

"كأن القوم لعدم أدائهم حقّه — سبحانه — قد اعتقدوا أن الفاعل لذلك غيره تعالى، أو هو مع غيره، فخطبوا على وجه قصر القلب، أو قصر الأفراد بذلك"^(٦).

(١) العنكبوت (٥٠).

(٢) روح المعاني (٦/٢١).

(٣) البقرة (١٢٠).

(٤) روح المعاني (٣٧٢/١).

(٥) هود (٦١).

(٦) روح المعاني (٨٨/١٢).

المبحث الرابع

الفصل والوصل

المبحث الرابع

الفصل والوصل

الفصل في اللغة:

"الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تميز الشيء من الشيء، وإبانتة عنه"^(١)، "وهو المسافة بين الشيئين، والحاجز بينهما"^(٢).

الوصل في اللغة:

الواو والصاد واللام: "أصل واحد يدل على ضمّ الشيء إلى الشيء حتى يعلقه"^(٣).

أما في اصطلاح البلاغيين:

"فالوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"^(٤).

ومعلوم أن المعنى البلاغي للفصل لا ينفك عن المعنى اللغوي الذي يدل على فصل الكلام بعضه عن بعض، أو هو المسافة بين الشيئين بمعنى فصلهما، وهو كذلك في الكلام، فلا يتم الجمع بين الجملتين بأيّ من حروف العطف، فما بينها من تراحمٍ وترابطٍ في المعنى لا تحتاج معه الجمل إلى استخدام تلك الروابط .

وأما الوصل بين الجمل؛ فإنه يكون بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب^(٥) - كذلك - إذا قصد التشريك في الحكم الإعرابي، وكان بينهما مناسبة تسوغ هذا العطف، وهذا ما نلاحظه في قول عبد القاهر، حيث قال:

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٥)، (باب الفاء والصاد، وما يثلاثهما).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٢/٢٩٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٥)، (باب الواو والصاد، وما يثلاثهما).

(٤) الإيضاح (ص ١٤٩).

(٥) لأن الجمل التي لها محل لها من الإعراب والمفردات كذلك؛ فأمرهما واضح، إذ لا يقصد منه سوى التشريك في الحكم الإعرابي.

"إن دقة المعاني تظهر في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، لأن الجمل التي لها محل من الإعراب أمرها هيّن، حيث قصد به التشريك في الحكم الإعرابي فقط، و(الواو) من بين حروف العطف هي الواسطة لذلك؛ لأنها لا تحمل من المعاني سوى التشريك في الحكم ومطلق الجمع، لذا كان العطف بها دقيقاً مشكلاً"^(١). وأما غير (الواو) من حروف العطف؛ فإنها تفيد مع التشريك في الأحكام معاني أخرى.

مواضع الفصل:

الأول: إذا كان بين الجملتين كمال اتصال: وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية والخبرية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط. وذلك لما بين الجملتين من قوة وترابط لا تحتاج معه إلى رابط. وقوة هذا التلاحم بينهما تعود إلى أمور ثلاثة:

أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً لفظياً أو معنوياً.

أن تكون الجملة الثانية منزلة من الأولى بمنزلة بدل الكل أو البعض، أو بدل اشتمال.

أن تكون الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى. كأن يكون في الجملة الأولى غموض، وتأتي الجملة الثانية بياناً وإيضاحاً لها.

الثاني: كمال الانقطاع بلا إبهام : وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام وانقطاع كامل، ويرجع ذلك إلى اختلافهما إنشاءً وخبراً، أو لا تكون بينهما مناسبة. ويتحقق ذلك في ثلاث صور:

أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى.

أن تختلف الجملتان إنشاءً وخبراً معنى فقط، وتتفقان لفظاً.

(١) انظر: دلائل الإعجاز (ص ٢٢٤)، والإيضاح (ص ١٤٩، ١٥٠).

أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، ولكن يفقد الجامع بينهما، أي لا توجد بينهما مناسبة تصحّح العطف.

الثالث: شبه كمال الاتصال: ويسمى أيضاً بالاستئناف البياني، وهو أن تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جواباً له.

الرابع: شبه كمال الانقطاع: وهو أن تكون الجملة مسبوقة بجملتين يصح وصلها بالأولى منهما لوجود المناسبة، ولا يصح عطفها على الثانية؛ فيترك العطف دفعاً لتوهم العطف على الثانية، وتصبح الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى لهذا السبب.

الخامس: الفصل لعدم الاشتراك في القيد: أو كما عرّفه بعض البلاغيين بالتوسّط بين الكمالين، مع وجود المانع من العطف، وهو عدم الاشتراك في الحكم^(١).

مواضع الوصل:

الوصل لعدم الإيهام : لدفع إيهام خلاف المقصود.

الوصل للتوسّط بين الكمالين: وهو التوسّط بين حالتي كمال الانقطاع، وكمال الاتصال^(٢)، وستأتي الأمثلة على ذلك من القرآن الكريم في الصفحات التالية.

والفصل والوصل من المباحث البلاغية المهمة؛ وله شأن في البلاغة عظيم، لا يستغني عن دراسته أهل البلاغة للوقوف على أصوله ومواضعه، فما له من الأهمية ما تحتاج معه إلى دقّة في فهمه، وذوق صحيح في إدراك أسرارهِ، حتى إن بعض العلماء قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل؛ تنبيهاً وإشارة إلى غموضه^(٣).

(١) انظر: علم المعاني د. بسيوني عبد الفتاح (٢/١٧٠، ١٤٦)، والبلاغة الاصطلاحية (ص ٢٥٤).

(٢) انظر: بغية الإيضاح (٢/٧٦ - ٨٠).

(٣) فقد سجّل علماء البلاغة عبارات كلها تشيد بموضوع الفصل والوصل. انظر: البيان والتبيين، تأليف: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، (١/ ٨٨)، ودلائل الإعجاز (ص ٢٢٢)، والإيضاح (ص ١٤٩).

ومعلوم أن كتب البلاغة تبدأ عادة بذكر الفصل؛ لأنه الأصل، والوصل طارئ عليه، ومرجع ذلك أن الفصل لا يحتاج إلى حرف عطف، وعدم العطف هو الأصل؛ فلا يفتقر إلى زيادة شيء على المنفصلين؛ فلذلك قُدِّم، وآخر الوصل؛ لأنه يحتاج إلى زيادة حرف العطف، وهو لذلك فرع عما لا يفتقر إلى زيادة شيء^(١).

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ أَلْكَتَبُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾^(٢).

ففي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلْكَتَبُ لَا رَبِّبَ فِيهِ﴾.

١ - فصل بينهما لكمال الاتصال؛ فالجملة الأولى (ذلك الكتاب) وصف للكتاب الكريم بكمال الهداية للناس، وقد اكتسبت هذه الفائدة من تعريف الطرفين: تعريف المسند إليه باسم الإشارة (ذلك) الذي يدل على البعيد، إشارة إلى بُعد وعلو منزلته، وأما الطرف الآخر، وهو تعريف المسند (الكتاب) بالألف واللام؛ تعظيمًا له.

وكذلك الشأن في قوله تعالى: ﴿لَا رَبِّبَ فِيهِ﴾؛ فإنها تفيد نفي الريب والشك؛ فلا يتطرق إليه النقص ولا الخلل، وهذا تقرير وتأکید لمعنى الجملة الأولى، إذ يلزم من بلوغ القرآن الكريم مرتبة الكمال، أن لا يتطرق إليه الشك أو الريب؛ فجاءت جملة (لا ريب فيه) مقررًا لهذا المعنى ومؤكدة له.

(١) انظر المطول (ص ٤٣٤).

(٢) البقرة (١-٥).

وأيضاً في قوله - عز من قائل -: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أفادت أن القرآن الكريم لكماله؛ فإنه أصبح في الهداية على درجة لا يبلغها كتاب آخر، حتى كأنه هو الهداية ذاتها. فقد دلّ تنكير لفظ (هدى) على التعظيم؛ بدلالة السياق، وباختيار لفظ المصدر الذي يدل على المبالغة في الوصف.

ويتضح من الجمل السابقة أنها تأكيد لجملة: (ذلك الكتاب)، ولذلك ترك العطف بينها بالواو؛ فما بينها من القوة والاتصال مما لا تحتاج معه إلى ربط بالواو^(١).

٢- الفصل لشبه كمال الاتصال في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، مع ما سبقها لسؤال نشأ عن الجملة السابقة، كأنه قيل: ما بال المتقين مخصوصين بالهدى دون غيرهم؟ فكان الجواب ما انطوى عليه اسمهم من أوصافهم بصفات المتقين.

٣- من بلاغة الوصل بين الجمل الكريمة قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، الوصل للتوسط بين الكمالين، والملاحظ أن هذه الجمل قد اتفقت في الخبرية، فجاءت بصفات المؤمنين الذين آمنوا بالغيب وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقهم الله تعالى. وفي تلك الأوصاف ما يجعلهم أجدر بأن يكونوا من المهتدين ومن المفلحين.

٤- وكذلك الوصل في قوله تعالى: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ لكمال الاتصال^(٢). وقد تناول الألويسي الفصل لكمال الاتصال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِمْ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ حيث قال: "وفصل الدعاء الأول عن الدعاء السابق؛ لكمال الاتصال بينهما؛ فإن شدَّ الأزر عبارة عن جعله وزيراً، وأما الإشراف في الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف"^(٣).

(١) انظر: معجم البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -

١٩٩٨م. (١/١١-١٤).

(٢) انظر: معجم البلاغة القرآنية (١/١١-١٥).

(٣) طه (٢٩-٣٢).

(٤) روح المعاني (١٦/١٨٥).

كما ورد الفصل لكمال الاتصال في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١) قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢).

حيث قال: "قلنا اهبطوا منها جميعاً كرر للتأكيد، والفصل لكمال الاتصال، والفاء في فتلقى للاعتراض؛ إذ لا يجوز تقدّم المعطوف على التأكيد، وفائدته الإشارة إلى مزيد الاهتمام بشأن التوبة" (٣).

كما جاء الفصل لكمال الاتصال في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَخُلِدَ فِيهِ مُهَانًا﴾ (٤) حيث قال الألوسي: "يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من يلق، بدل كل من كل، أو بدل اشتغال، وجاء الإبدال من المجزوم بالشرط في قوله:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا (٥)

ومن الشواهد على الفصل ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦).

حيث فصل قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عن سابقه؛ لأنه كلام مستأنف أراد به تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الصفات، وهي الدعوة إلى الخير (٦)، ثم فصلت جملة: (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

(١) البقرة (٣٧-٣٨).

(٢) روح المعاني (١/٢٣٨).

(٣) الفرقان (٦٨-٦٩).

(٤) روح المعاني (١٩/٤٨). "لم أقف على قائل للبيت".

(٥) آل عمران (١١٠).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٢/١٧).

عَنِ الْمُنْكَرِ) عما قبلها للاستئناف البياني "شبه كمال الاتصال"؛ لأن الجملة جواب عن سؤال مضمونه: لماذا هي أفضل أمة؟. فجاء الجواب مفصلاً بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

جهود الألوسي في الفصل والوصل:

لقد تناول الألوسي الفصل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (١) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢). حيث قال: "فُصِّلَ الذين يحشرون عما قبله استئنافاً؛ لأن التسلية السابقة حَرَّكَتْ منه ﷺ بأن يسأل: فإذا بماذا أجيبهم، وما يكون قولي لهم؟ فقل قل لهم: الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم الخ" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٤) يقول الألوسي: "قال استئناف بياني؛ كأنه قيل: فماذا قال لهم حين أُرْسِلَ إليهم؟ فقل: قال الخ" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦). يقول الألوسي: "نسقيكم استئناف بياني، كأنه قيل: كيف العبرة فيها؟ فقل: نسقيكم مما في بطونه" (٧).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (٨). "قال) استئناف بياني؛ كأنه قيل: فماذا فعل بهم لما رجع إليهم؟ فقل: قال يا قوم ألم يعدكم ربكم... (٩)".

(١) الفرقان (٣٣-٣٤).

(٢) روح المعاني (١٧/١٩).

(٣) الأعراف (٦٥).

(٤) روح المعاني (١٥٤/٨).

(٥) النحل (٦٦).

(٦) روح المعاني (١٧٦/١٤).

(٧) طه (٨٦).

(٨) روح المعاني (٢٤٤/١٦).

كما يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١). " (ومن كفر) هذه الجملة، وكذا جملة (يعبدونني) استئناف بياني، أما في الأولى فالسؤال ناشئ من قوله تعالى: (وعد الله الخ)، فكأنه قيل: فما ينبغي للمؤمنين بعد هذا الوعد الكريم، أو بعد حصوله؟ فقيل: يعبدونني لا يشركون بي شيئا. وأما في الثانية فالسؤال ناشئ من الجواب المذكور، فكأنه قيل: فإن لم يفعلوا فماذا؟ فقيل: ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"^(٢).

كما يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمُثْلُهَا﴾^(٣). " وقوله تعالى: " (دمر الله عليهم) استئناف بياني؛ كأنه قيل: كيف كانت عاقبتهم؟ فقيل: أهلك ما يختص من النفس والأهل والمال. يقال دمره: أهلكه، ودمر عليه: أهلك ما يختص به، فدمر عليه أبلغ من دمره"^(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٥) يقول الألوسي: " وقوله تعالى "تسرون إليهم بالمودة" استئناف بياني؛ كأنهم لما استشعروا العتاب مما تقدّم سألوا: ما صدر عنا حتى عُوتينا؟ فقيل: تسرون... الخ"^(٦).

(١) النور (٥٥).

(٢) روح المعاني (٢٠٥/١٨).

(٣) محمد (١٠).

(٤) روح المعاني (٤٥/٢٦).

(٥) الممتحنة (١).

(٦) روح المعاني (٦٧/٢٨).

المبحث الخامس

الإيجاز والإطناب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإيجاز.

المطلب الثاني: الإطناب.

المطلب الأول الإيجاز

مفهومه:

أولاً: في اللغة.

من جوز، يقال: "تَجَوَّزَ في صلاته أي خَفَّفَ"، وفي الحديث: (أسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي^(١)، أي: أخفَّفها وأقلَّلها)^(٢).

ثانياً: في الاصطلاح.

"تقليل الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: (حذف، وقصر)؛ فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام.

والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف"^(٣)، والإيجاز بالقصر أغمض من الحذف، فهو يحتاج إلى العلم بمواضعه، والدربة على مسالكه.

وسأستهل الحديث بالتعريف عن موضوع الحذف، ولا بد من التنويه أنه في كل حذفٍ لا بد من وجود أمرين: داعٍ يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف، وترشد إليه وتُعيِّنُه^(١). والمحذوف إما أن يكون:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، (٢٥٠/١)، رقم (٦٧٥). ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، (٣٤٢ / ١)، حديث رقم (٤٧٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٤١٨/٢) مادة (جوز) . أصل المادة: (وج ز). ماضيها (أوجز) على وزن أفعل بزيادة الألف، فيقال: أوجز يوجز إيجازاً.

(٣) انظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجادي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. (ص ١٧٩)، وسر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، فهرسة: داود غطاشة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (ص ١٩٧).

١- حذف حرف. ٢- حذف المسند أو المسند إليه، أو أحد متعلقات الفعل، كالمفعول، والجار والمجرور. ٣- حذف المضاف. ٤- حذف المضاف إليه. ٥- حذف الموصوف. ٦- حذف الصفة. ٧- حذف القسَم. ٨- حذف جواب القسَم. ٩- حذف الشرط. ١٠- حذف جواب الشرط. ١١- حذف جواب الاستفهام. ١٢- حذف المعطوف. ١٣- حذف الجملة، والمراد بها التي تفيد معنىً مستقلاً.

"وهذا النوع من الحذف لا تجده في كلام البلغاء، وإنما تجده في كتاب الله - تعالى -؛ لأنه بحذف جملة من الكلام دون إدراك لما تحدّثه من تداخل في المعنى، قد يؤدي أحياناً إلى نقص في المراد، لكن كلام الله ﷻ يعطينا المعاني كاملة، ومع ذلك نجد حلاوة الإيجاز، ناشئة عن روعة إعجاز القرآن الكريم أصلاً" (٢).

من أسرار بلاغة الحذف: "منها تفخيم وتعظيم للمعنى، لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن به كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويتزايد قدره، ويعلو في النفس مكانه؛ لأن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم، واتضح المراد.

ومن بلاغته كذلك ازدياد اللذة لما فيه من معالجة، حتى يستنبط الذهن ذلك المحذوف ويقدره. وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن، والرغبة في زيادة الأجر على الاجتهاد فيه، ومنها طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والتشجيع على الكلام" (٣). وغيرها من الأسرار التي تستجد بتجدد المعاني القرآنية.. وللحذف قيمة بلاغية أشار إليها علماء البلاغة، فمنهم من عدّه من شجاعة العربية (٤)، ومنهم من قال

(١) انظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي . (٣٦٠/٢).

(٢) انظر: المثل السائر (٧٤/٢ - ٧٦)، وعلم المعاني (١٨٨/٢ - ١٩٤)، للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٠٤/٣، ١٠٥).

(٤) انظر: الخصائص (٣٦٠/٢).

عنه: "إنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيّنًا إذا لم تُبين، وهذه جملة تنكرها حتى تُخبر، وتدفعها حتى تَنظُر" (١).

من شروط الحذف :

١- والأصل في المحذوفات جميعها على اختلافها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف؛ فإنه لغو من الحديث.

٢- ومن شروطه: أن يكون متى أظهر في الكلام، فَقَدْ الكلام معه حسنه وبلاغته.

٣- ظهور المحذوف بالإعراب كقولهم: (أهلاً وسهلاً) مما يدل على ناصبٍ محذوفٍ، وهذا النوع يقع في المفردات كثيراً، ومنه ما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كما في قولهم: (فلان يحل ويعقد)، وتقدير المحذوف: يحل الأمور ويعقدها، فالمحذوف لم يظهر بالإعراب، وإنما دلَّ عليه المعنى، وهذا النوع يقع في الجمل من المحذوفات" (٢).

ومن الشواهد على الإيجاز بالقصر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (٣).

أراد بهم الذين اتقوا المثلة (٤)، والمبالغة في القصاص، وابتعدوا عن كل ما نهى عنه -سبحانه- (٥).

ولقد وردت بعض الآيات بإيجازٍ في ألفاظها، وتميُّزٍ في أسلوبها، فأعطت فيضاً زاحراً بالمعاني الجليلة، التي لا يحتويها تأليف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿١﴾.

(١) المثل السائر (٧٧/٢).

(٢) المثل السائر (٢٢٠/٢).

(٣) النحل (١٢٨).

(٤) وهي التشهير والتنكيل. انظر: المعجم الوسيط (٦٢٨/٢).

(٥) انظر التحرير والتنوير (٣٣٨/١٤/٦).

"والسورة الكريمة شاهد عظيم من شواهد بلاغة القرآن الكريم في كل جوانبه، فهي على قصرها وإيجازها، إلا أنها بلغت الكمال في معانيها، وبينت الطريق المستقيم الذي عليه المؤمن الكامل الإيمان، فكل أحد هالك إلا الذي آمن، ثم الذي عَلم الحق وعمل به، وذَكَر غيره بالنصيحة، ثم وصَّى وأمر بالصبر على الثبات على ذلك، وعلى العمل بموجب كل هذه الصفات"^(٢).

ولكثر ما ورد في فضل هذه السورة الكريمة على قصرها، واختصار عباراتها؛ فلقد تآزرت البلاغة بإيجازها مع المعاني، فأظهرتها كاملةً على قصر عباراتها: مَنْ تَقَيَّ أثرها وصل إلى سعادة الدارين. حيث عبّر بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لتقرير الحكم في نفس السامع تامةً بأن الناس على فريقين: فريق يلحقه الخسران، وفريق في مأمنٍ من الخسارة، ومن سوء العاقبة.

ولما كان المقام في هذه السورة الكريمة مقام توجيه وإرشاد، وكانت الدعوة في أوجها ومستهلّها، وفي حاجةٍ إلى مؤازرين ومناصرين لها، ناسب ذلك أن تكون العبارات موجزة، وأن تكون على جانب من القصر، يؤدي الغرض من مفهومها، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى؛ فإن أسلوب الإيجاز بالقصر ضروري في هذه الحالة، لتأخذ النصيحة بمجامع القلوب، وتؤدي دورها في تحريك المفاهيم، فتمازج العقول؛ حتى يعيها ذوو الألباب، ويعملوا بمقتضاها^(٣).

وفي هذا الأسلوب - كذلك - إشعار لمن نُزِّل عليهم القرآن الكريم، وهم أرباب البيان، بأن ما يفعله الرسول ﷺ معهم ما هو إلا من قبيل التواصي بالحق، والتواصي بالصبر اللّذين أَمَرَ بهما؛ فقد جمعتا من فضائل الدين الإسلامي ما فيه الخير الكثير، وأن على المؤمنين أن يسيروا على نهجهما، فهما الطريقة المثلى في الثبات على الدين، وعلى التواصي بالحق^(٤).

(١) العصر (١-٣).

(٢) نظم الدرر (٢٢/٢٣٨).

(٣) انظر نظم الدرر (٢٢/٢٣٩).

(٤) انظر التحرير والتنوير (١٢/٣٠/٥٣١).

يقول الخطابي مبيِّناً الصورة البلاغية التي اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(١).

إنَّ الإيجاز في موضعه، وحذف ما يُستغنى عنه من الكلام، نوعٌ من أنواع البلاغة، وإنما جاز حذف الجواب في ذلك وحسن؛ لأنَّ المذكور منه يدلُّ على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه؛ ولأنَّ المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به، والمعنى (ولو أنَّ قرآنًا سيَّرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلُّ مِمْ به الموتى لكان هذا القرآن). والحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأنَّ النفس تذهب في الحذف كل مذهب، ولو ذُكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر..^(٢).

وقد تحدَّث الألوسي عن الإيجاز في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَتَكَاذِبُ أُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ^ط فَلَمَّا أُنَبِّأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٣).

حيث قال: "(قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) جواب وتقرير لما مرَّ من الجواب الإجمالي، واستحضار له على وجه أبسط من ذلك وأشرح، ولا يخفى ما في الآية من الإيجاز؛ إذ كان الظاهر أعلم غيب السموات والأرض وشهادتهما؛ وأعلم ما كنتم تبدون وما كنتم تكتمون، وما ستبدون وتكتمون، إلا أنه سبحانه اقتصر على غيب السموات والأرض؛ لأنه يعلم منه شهادتهما بالأولى، واقتصر من الماضي على المكتوم؛ لأنه يعلم منه البادي كذلك، وعلى المبدأ من المستقبل؛ لأنه قبل الوقوع خفي، فلا فرق

(١) الرعد (٣١).

(٢) بيان إعجاز القرآن (ص ٤٢).

(٣) البقرة (٣٣).

بينه وبين غيره من خفياته، وتغيير الأسلوب حيث لم يقل: (وتكتمون)؛ لعله لإفادة استمرار الكتمان، فالمعنى أعلم ما تبدون قبل أن تبدوه، وأعلم ما تستمرون على كتمانته" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (٢) يقول الألوسي: "وتخصيص الذرية مع أنهم محمولون بالتبع؛ لأنه أبلغ في الامتنان، حيث تضمن بقاء عقبهم، وأدخل في التعجب ظاهر، حيث تضمن حمل ما لا يكاد يحصى كثرة في سفينة واحدة مع الإيجاز؛ لأنه كان الظاهر أن يقال: حملناهم ومن معهم ليبقى نسلهم، فذكر الذرية يدل على بقاء النسل، وهو يستلزم سلامة أصولهم، فدل بلفظ قليل على معنى كثير" (٣).

وتناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٤) حيث قال: "وقال الملك ائتوني به أستخلصه" أجعله خالصاً لنفسي، وخاصاً بي، فلما كلمه... في الكلام إيجاز، أي فأتوا به، فلما... الخ، وحذف ذلك للإيدان بسرعة الإتيان، فكأنه لم يكن بينه وبين الأمر بإحضاره -عليه السلام- والخطاب معه زمان أصلاً" (٥).

كما تناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحَارٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦).

حيث قال: "ما نفذت كلمات الله جواب لو، وفي الكلام اختصار يسمى إيجاز حذف، ويدل على المحذوف السياق، والتقدير: ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام، وبذلك المداد كلمات الله تعالى ما نفذت لعدم تناسلها،

(١) روح المعاني (١/٢٢٨).

(٢) يس (٤١).

(٣) روح المعاني (٢٣/٢٧).

(٤) يوسف (٥٤).

(٥) روح المعاني (١٣/٤).

(٦) لقمان (٢٧).

ونفدت تلك الأقلام والمداد لتناهيها، ونظير ذلك في الاشتغال على إيجاز الحذف قوله تعالى: "أو به أذى من رأسه ففدية" أي فحلّق رأسه لدفع ما به من الأذى ففدية"^(١).

كما تناول الألوسي إيجاز الحذف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٢).

حيث قال: "وفي الكلام إيجاز الحذف بحذف الفاء والمعطوف عليه، أي استفتحوا ففتح لهم، وظفروا بما سألوا وأفلحوا، وخاب كل جبار عنيد"^(٣).

(١) روح المعاني (٢١/١٠٠).

(٢) إبراهيم (١٥).

(٣) روح المعاني (١٣/٢٠١).

المطلب الثاني

الإطناب

مفهومه:

أولاً: في اللغة.

"الطاء والنون والباء أصل واحد، يدل على ثبات الشيء وتمكُّنه، مصدر أطنب في كلامه إطناباً، وهو من البلاغة في الكلام والوصف، وبه يكون تطويل ذيول الكلام؛ لإفادة المعاني مدحاً كانت أو ذمّاً. واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان: إذا طال مقامه فيه، وفرس طُنِبُ: إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سُمِّي حَبْل الخيمة طُنْباً لطوله. والإطناب نقيض الإيجاز"^(١).

ثانياً في الاصطلاح:

"هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد، فقولنا: هو زيادة اللفظ على المعنى عام في الإطناب، وفي الألفاظ المترادفة، كقولنا: ليث وأسد، فإنه كلّ من باب زيادة اللفظ على معناه، وقولنا لفائدة، يخرج عنه التطويل، فإنه زيادة من غير فائدة، وقولنا جديدة، تخرج عنه الألفاظ المترادفة، فإنها زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة لغويّة، ولكنها ليست جديدة، وقولنا من غير ترديد يحتز به عن التواكيد اللفظية، كقولنا: اضرب اضرب، فإنها زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة، وهو التأكيد، لكنه ترديد اللفظ وتكريره، بخلاف الإطناب فإنه خارج عن التأكيد"^(٢).

فائدته:

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٢٦/٣)، (باب الطاء والنون، وما يثلاثهما)، ولسان العرب (١/ ٢٠٥)، (مادة طنّب).

(٢) الطراز (١٢٣/٢).

"المبالغة في تصوير المعنى المقصود، لما فيه من طول النزهة في الكلام، فيجتلب معه في طريقه فوائد عظيمة، إما حقيقة كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(١)، ومعلوم أن القلب في الجوف، ولكن أراد به هنا التأكيد، ومثاله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ أَلْعَذَابُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف، فكذلك السقف لا يكون إلا من فوق، وهذا مقام ترهيب وتخويف، كما أن ذاك مقام إنكار وتعظيم، فلذكر لفظة (فوقهم) - فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام، وأنت تحس هذا من نفسك، فإنك إذا تلوت هذه الآية يحيل إليك أن سقفاً خرَّ على أولئك من فوقهم، وحصل في نفسك من الرعب ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة"^(٣).

"وإما مجازاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤) تحقيقاً لإضافة العمى إلى القلوب بطريق المجاز؛ توضيحاً للمراد، وحتى لا يلتبس المعنى بمحل البصر. وفيه إخراج الكلام في صور مختلفة وتفصيلية، يجعل المعنى يستقر المراد به ويتضح"^(٥).

صوره وأغراضه:

وللإطناب صور متنوعة، وأغراض مختلفة، أوردتها البلاغيون كالأتي:

١/ الإيضاح بعد الإبهام: وهو طرح الكلام بصورتين مختلفتين، ذلك أنه إذا أُلقي الكلام على سبيل الإجمال والإبهام، تشوّقت النفس إلى معرفة المعنى بتفصيله، فتتوجّه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا أُلقي الكلام في صورة أخرى، تمكّن فيها فضل تمكّن، وأثّر في نفس السامع، وكملت لذة العلم به.

(١) الأحزاب (٤).

(٢) النحل (٢٦).

(٣) المثل السائر (٢/ ١٢٣).

(٤) الحج (٤٦).

(٥) انظر: الطراز (٢/ ١٢٦).

٢/ ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه.

٣/ التكرير: ويأتي لدواعٍ، منها: الإنذار، وزيادة التنبيه، وطول الفصل.

٤/ التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد.

٥/ الإيغال: وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدون التصريح بها.

٦/ الاحتراس: ويسمى التكميل، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.

٧/ التميم: وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفصله؛ ليفيد نكتة.

٨/ الاعتراض: وهو أن يؤتى بجملة في كلام متّصل بعضه ببعض لنكتة.

٩/ عطف الخاص على العام.

وهناك أغراض أخرى للإطناب غير ما ذكر^(١).

ولا تعذب الإطالة والإطناب إلا في كلام الله ﷻ، فكل زيادة في القرآن الكريم تجللت بفائدةٍ وجمالٍ، لا يكونان في غيره، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢).

فورد الإطناب بعطف العام على الخاص في قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﷻ﴾، فهو ترغيب في مزيد من التمسك بالدين القويم، وإشارة إلى أنه يجب أن تكون أفعالكم وأقوالكم الإيمانية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدعو - جميعها - إلى دين الله - تعالى -، ففي ذلك بقاؤكم (خير أمة)، كما أن فيه تذكيراً لأهل الكتاب بأهمية الإيمان بالله - تعالى - وأنه ليس كإيمان أهل الكتاب الذي ورد في كتبهم، وهناك إطناب بالاحتراس في قوله ﷻ: ﴿مِمَّنْهُمْ

(١) انظر: الإيضاح (ص ١٨٩) وما بعدها.

(٢) آل عمران (١١٠).

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠﴾ احتباساً من أن تلحق الذين آمنوا من أهل الكتاب وصمة الكفر لما تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾.

وفي الآية عطف للعام على الخاص في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ حيث عطف النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الأمر بالمعروف أعم، ويدخل فيه النهي عن المنكر، لذلك قدّم، أما النهي عن المنكر فإنه أخص^(١).

من الإطناب عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٢).
"الإطناب. في قوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

وبعد بيان معنى التجارة والبيع، اتّضح ما بينهما من مغايرة التجارة للبيع، وأن التجارة عامة، والبيع خاص، والعطف بينهما يعد من باب عطف الخاص على العام، وهو ما أراده أبو حيان بقوله: "والظاهر مغايرة التجارة والبيع، ولذلك عطف؛ فاحتمل أن تكون تجارة من إطلاق العام، ويراد به الخاص، فأراد بالتجارة الشراء، ولذلك قابله بالبيع، أو يراد تجارة الجلب، ويقال: تجر فلان في كذا إذا جلبه، وبالبيع البيع بالأسواق"^(٣)، وورد في أن البيع: "يطلق بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشراء"^(٤).

وقد تحدّث الألوسي عن الإطناب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ^ط وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ^ط الْأَعْيُنُ^ط وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) حيث قال: "وذكر

(١) انظر التحرير والتنوير (٥٠/٤/٢).

(٢) النور (٣٧).

(٣) تفسير البحر المحيط (٤٢٢/٦).

(٤) نظم الدرر (٢٧٨/١٣).

(٥) الزخرف (٧١).

ذلك الشامل لكل لذة ونعيم بعد ذكر الطواف عليهم بأواني الذهب -الذي هو بعض من التمتع والترفيه- تعميم بعد تخصيص، كما أن ذكر لذة العين -التي هي جاسوس النفس بعد اشتهااء النفس- تخصيص بعد تعميم، ففي الآية إطناب بذكر العام بعد الخاص، وكذلك بذكر الخاص بعد العام^(١).

وأيضا تناول الألوسي الإطناب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).
حيث قال: "ويعلم ما في السموات وما في الأرض من إيراد العام بعد الخاص؛ تأكيداً له وتقريراً"^(٣).

وكذلك تحدّث الألوسي عن الإطناب في تفسيره لقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

حيث قال: "وأصل الفحش: مجاوزة الحد في السوء، ومنه قول طرفة: "عقيلة مال الفاحش المتشدّد" يعني الذي جاوز الحد في البخل، فلعل المراد منها هنا: المعصية البالغة في القبح، والظلم: الذنب مطلقاً، وذكره بعدها من ذكر العام بعد الخاص"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٦).

(١) روح المعاني (٩٨/٢٥).

(٢) آل عمران (٢٩).

(٣) روح المعاني (١٢٦/٣).

(٤) آل عمران (١٣٥).

(٥) روح المعاني (٦٠/٤).

(٦) يونس (٨٨).

يقول الألوسي: "زينة: أي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها، وتستعمل مصدرًا، وأموالًا: أنواعًا كثيرة من المال كما يشعر به الجمع والتنوين، وذكر ذلك بعد الزينة من ذكر العام بعد الخاص للشمول" (١).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).

"يهدي إلى الحق من العقائد الصحيحة، وإلى طريق مستقيم من الأحكام الفرعية، أو ما يعمها وغيرها من العقائد، على أنه من ذكر العام بعد الخاص" (٣).

ويقول الألوسي موضحًا الإطناب عن طريق ذكر الخاص بعد العام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٤) "وخص الصلاة من الذكر بالافراد بالذكر مع أن الذي يصد عنه يصد عنها لأنه من أركانها؛ تعظيمًا لها، كما في ذكر الخاص بعد العام، وإشعارًا بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان؛ لما أنها عماده، والفارق بينه وبين الكفر" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦).

(١) روح المعاني (١١/١٧٢).

(٢) الأحقاف (٣٠).

(٣) روح المعاني (٢٦/٣٢).

(٤) المائدة (٩١).

(٥) روح المعاني (٧/١٦).

(٦) يوسف (٩٠).

قال الألوسي: "وذكر الصبر بعد التقوى من ذكر الخاص بعد العام"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "وهذا من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام؛ حيث إن الخوف من سوء الحساب داخل في خشية الله"^(٣).

وقد يأتي الإطناب عن طريق الإيضاح بعد الإبهام، وقد تحدّث الألوسي عن ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾^(٤).

فقال: "وقوله تعالى سود بدل منه، أو عطف بيان له، وهو مفسّر للمحذوف، ونظير ذلك قول النابغة:

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركباً مكة بين الغيل والسعد^(٥)

وفيه التفسير بعد الإبهام؛ لمزيد الاعتناء بوصف السواد، حيث دلّ عليه من طريق الإضمار والإظهار"^(٦).

(١) روح المعاني (٥٠/١٣).

(٢) الرعد (٢١).

(٣) روح المعاني (١٤٠/١٣).

(٤) فاطر (٢٧).

(٥) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ-

١٩٨٤م. (ص ١٥).

(٦) روح المعاني (١٩٠/٢٢).

"وإذا قلت: غرايب سود، تجعل السود بدلاً من غرايب؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدّم. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبغض الشيخ الغريب)^(١) يعني الذي يخضب بالسواد.

قال الشاعر:

العين طامحة واليد سابحة والرجل لافحة والوجه غريب^(٢).

(١) رواه الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً، انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ. (٢٨٩/١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة. (٣٤٢/١٤).

الفصل الثالث

صور البيان في روح المعاني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجاز، وفيه مطلبان:

المبحث الثالث: الكناية

المبحث الأول

التشبيه

المبحث الأول التشبيه

"إن القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوّره تصوّر المشاهد"^(١).

وأحد أركان البيان الأساسية والمهمة التشبيه، وتأتي أهميته من الدور الذي يلعبه في إيضاح وتقريب الصورة لتصبح مشاهدة حيّة، ومما يدل على مكانته وروده بكثرة في كتاب الله، وفي الأحاديث النبوية، وفي أشعار العرب، ونثرهم.

تعريف التشبيه في اللغة:

جاء في لسان العرب: "التَّشْبِيهُ التَّمثِيلُ، وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ مِثْلَهُ، وَيُقَالُ: شَبَّهْتُ هَذَا بِهَذَا، وَأَشْبَهَ فُلَانٌ فُلَانًا"^(٢).

التشبيه في اصطلاح البلاغيين:

ولقد اهتم علماء البلاغة بدراسة التشبيه، وإبراز صوره وأشكاله، ولقد حوت كتبهم كثيراً من الملاحظات التي تبين اهتمامهم بهذا النوع من الكلام؛ إذ يمثل التشبيه ركناً مهماً من أركان البلاغة العربية، حيث استعمله الشعراء قديماً وحديثاً. وقد ذكر البلاغيون حدوداً عدّة له، وهي لا تخرج عن القول بأن التشبيه هو: "دلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"^(٣).

"ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابه من وجه واحد، مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر، وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوّهما ولا عظُمهما، وإنما شبه بهما

(١) إعجاز القرآن (ص ٢٧٦).

(٢) لسان العرب (٢٣/٧) مادة شبه.

(٣) الإيضاح: (ص ٢٠٣).

لمعنى يجمعهما وإياه، وهو الحسن. وعلى هذا قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾^(١) "إنما شبه المراكب بالجمال من جهة عِظَمِها، لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها، ولو أشبه الشيءُ الشيءَ من جميع جهاته لكان هو هو"^(٢).

يقول ابن رشيق: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إياه، ألا ترى أن قولهم: "خذ كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد، وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كوائمه، وكذلك قولهم: "فلان كالبحر، وكالليث" إنما يريدون كالبحر سماحة وعلماً، وكالليث شجاعة وقَرَمًا^(٣)، وليس يريدون ملوحة البحر وزُعُوقته، ولا شتامة^(٤) الليث وزُهومتته^(٥) (٦).

ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَنْ كَأَنَّهُ أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلٍ^(٧)

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع، وهي دواب تكون في الرمل ظهورها ملمس، وبمساويك أسحل، والأسحل شجر له أغصان ناعمة.. ومنه قول الراضي بالله في هذا الباب:

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها في خدّها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضّة غرست بأرض بنفسج عنابا

(١) الرحمن (٢٤).

(٢) الصناعتين (ص ٢٣٩).

(٣) القرم: شدّة شهوة اللحم. (انظر لسان العرب مادة قرم).

(٤) الزعاق: الماء المر الغليظ لا يطاق شربه (لسان العرب مادة زعق)، والشتم: الكريه الوجه (انظر لسان العرب مادة شتم).

(٥) الزهومة: والزهمة بضمهما ريح لحم سمين منتن، والزهيم بالضم الريح المنتنة (انظر لسان العرب مادة زهم).

(٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت —

لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٣ م. (١/٢٤١).

(٧) ديوان امرئ القيس (ص ١٥).

ومثله قول الشاعر:

قبلته فبكى وأعرض نافراً يذري المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من أجفانه لما بدا في خدّه المتضجج
برد تساقط فوق ورد أحمر من نرجس فسقى رياض بنفسج

فانظر أيها المتأمل إلى هذه التشابيه التي يرشفها السمع مداما، وتهيم الأذواق السليمة في محاسنها غراما^(١).

يقول الرماني في النكت في إعجاز القرآن: "وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء؛ وذلك أنه يُكسب الكلام بياناً عجيباً، وهو على طبقات في الحسن، فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بياناً فيهما، والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه: منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه الحاسّة، ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوّة له في الصفة إلى ما له قوّة في الصفة"^(٢).

ومن الواضح البين في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) "فلم يأت معطوفاً نحو وكأن في أذنيه وقراً؛ لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقراً هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أن الثاني أبلغ وأكد في الذي أريد. وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تُلي عليه من الآيات فائدة معه، ويكون لها تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تُليت عليه كحال من لم يُتْلَ. ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقراً أبلغ وأكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصح

(١) خزاة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان. (٣٨٥/١). "لم أقف على ديوان شعر لشاعر الأبيات".

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر. الطبعة الثالثة. ١٩٧٦م. (ص ٨١).

(٣) لقمان (٧).

منه السَّمْعُ - وإن أراد ذلك أبعد من أن يكون لتلاوة ما يُتلى عليه فائدة من الذي يصحُّ منه السمع، إلا أنه لا يسمع إما اتفاقاً، وإما قصدًا إلى أن لا يسمع" (١).

"والأصل في حسن التشبيه أن يمثّل الغائب الخفي الذي لا يعتاد، بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثّل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه، فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة" (٢).

خصائص التشبيه في القرآن:

"إن أول ما يسترعى النظر من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمدّ عناصره من الطبيعة، وذلك هو سرُّ خلوده، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة، وسرّ عمومته للناس جميعاً أنه يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم. فلا تجد في القرآن تشبيهاً مصنوعاً يدرك جماله فردٌ دون آخر، ويتأثر به إنسان دون إنسان. انظر إليه يجد في السراب -وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعاً، فيغرم مرآها، ويمضون إلى السراب يظنون ماءً، فيسعون إليه يريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم، ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم، حينما يصلون إليه بعد جهد جهيد، فلا يجدون شيئاً مما كانوا يؤملون - إنه يجد في هذا السراب صورة قويّة توضح أعمال الكفرة، تظن مجدية نافعة، وما هي بشيء فيقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسِبُهُ الظَّمْءَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَنَّهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣) (٤).

"فأعمال الكافرين شيء معنوي لا يتمكن من نفوسنا، ولا يستقرُّ في أذهاننا إلا إذا أتى في معرض الحسّ والمشاهدة، فمرة يُشبّه بالرماد الذي تذروه الرياح الهوجاء في يوم شديد العصف، ومرة بأنه السراب الخادع الذي نطمئن إليه، ثم تنكشف لنا حقيقته، وإننا نبوء معه بالخسران، ومرة

(١) دلائل الإعجاز (١/١٧٨).

(٢) سر الفصاحة (ص ٢٣٥).

(٣) النور (٣٩).

(٤) من بلاغة القرآن (ص ١٥١).

بأنها الظلمات المتراكمة لا نتبين منها شعاعاً من نور الحق، وكل هذه صور حسيّة تراها الأعين فتطمئن إلى وقوعها وحتمية مآلها، وتزيل كل شك أو تردّد في ذهن السامع بمصير أعمال الكافرين" (١).

"ويجد في الزرع -وقد نبت ضئيلاً ضعيفاً، ثم لا يلبث ساقه أن يقوى بما ينبت حوله من البراعم، فيشتد بها ساعده ويغلظ، حتى يصبح بهجة الزارع، وموضع إعجابه- يجد في ذلك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب محمد، فقد بدؤوا قلةً ضعافاً، ثم أخذوا في الكثرة والنماء حتى اشتدّ ساعدهم، وقوي عضدهم، وصاروا قوة تملأ قلب محمد بهجة، وقلب الكفار حقداً وغيظاً، فقال ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢)(٣).

والتشبيه في الآية تمثيلي: "فقد اتخذ الزرع في نمائه مثلاً ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ وصحبه - رضوان الله عليهم -، حيث المشبه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، عندما كانوا قلةً في بدء الدعوة، ثم اشتد أمرهم، وقوي أزهرهم، والمشبه به الزرع الذي تنامت فروعه، وأخرج شطأه فأزر الزرع بالتفافه حول سوقه، حتى استغلظ وقوي، فأصبح ذا هيئة تعجب الزُّرَّاع ليغيظ الكفار بهم" (٤).

ووجه الشبه مركّب من التدرُّج في النمو، والتحوُّل من القلة إلى الكثرة، ثم إلى استحكام القوة في كلٍ من الطرفين.

(١) القرآن والصورة البيانية، للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. (ص ٩٦).

(٢) الفتح (٢٩).

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٢).

(٤) انظر: الكشف (٣٥٠/٤).

"ويجد في أعجاز النخل المنقعر المقتلع عن مغرسه، وفي الهشيم الضعيف الداوي صورة قريبة من صورة هؤلاء الصرعى قد أرسلت عليهم ريح صرصر تنزعهم من أماكنهم، فألقوا على الأرض مصرعين هنا وهناك، فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾" (١).

ويقول: "﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ مُّحْتَضِرٍ﴾" (٢).

ومن خصائص التشبيه القرآني أنه ليس عنصراً إضافياً في الجملة، ولكنه جزء أساس لا يتم المعنى بدونه، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه، فعمله في الجملة أن يعطي الفكرة في صورة واضحة مؤثرة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة يتطلبه المعنى؛ ليصبح واضحاً قوياً" (٣).

"وتشبيهات القرآن - بعد ذلك كله - كانت بعيدة عن ترف الخيال، ورعونة العاطفة، وسرف القول وفضوله، فهي إذن عناصر أساسية في الموضوع، وأجزاء رئيسة في الجملة. ولما كان القرآن كتاب هداية للأحياء ما دامت الحياة فإن تشبيهاته جميعاً كانت تدور حول هذا الإنسان، تشبّهه تارة، وتشبّه له تارة أخرى، تشبّه بما يناسب وضعه، وتشبّه له بما يحيط به من هذا الكون مما لا غناء عنه في حياته ووجوده" (٤).

(١) القمر (١٩-٢٠).

(٢) القمر (٣١).

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٣).

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبدیع، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الحادية عشرة، ٢٠٠٦ م. (ص ٩٠).

جهود الألووسي في التشبيه:

لقد تناول الألووسي التشبيهات الواردة في القرآن الكريم بشيء من العناية والتوضيح، من خلال تفسيره للآيات التي تشتمل على هذا اللون من ألوان البيان، وقد أجاد الألووسي إبراز صورة التشبيه بشكل واضح، وتفصيل دقيق، وكان يستعمل - كغيره من البلاغيين - مصطلحات (التشبيه والتمثيل والمثل) للدلالة على صورة التشبيه في النص القرآني.

وفيما يلي أهم صور التشبيه التي ذكرها الألووسي في تفسيره.

فقد فصل الألووسي في أسلوب التشبيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(١) حيث قال شارحاً لمعاني التشبيه في الآية، موافقاً لكثير من المفسرين في مدلول هذا التشبيه: "كأنه رؤوس الشياطين، أي في تناهي الكراهة، وقبح المنظر، والعرب تشبه القبيح الصورة بالشیطان، فيقولون: كأنه وجه شیطان، أو رأس شیطان وإن لم يروه؛ لما أنه مستقبح جداً في طباعهم؛ لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة، ومن ذلك قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِئُ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنِيَابِ أَغْوَالٍ^(٢)

فشبهه بأنياب الأغوال ولم يرها؛ لما ارتسم في خياله، وعلى عكس هذا تشبيههم الصورة الحسنة بالملك؛ وذلك أنهم اعتقدوا فيه خيراً محضاً لا شر فيه، فارتسم في خيالهم بأحسن صورة، وعليه قوله تعالى "ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم"، وبهذا يُردُّ على بعض الملاحدة، حيث طعن في هذا التشبيه بأنه تشبيه بما لا يُعرف، وحاصله أنه لا يشترط أن يكون معروفاً في الخارج، بل يكفي كونه مركزاً في الذهن والخيال"^(٣).

(١) الصفات (٦٤-٦٥).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٨٩).

(٣) روح المعاني (٢٣/٩٥).

وهذا ما ذهب إليه ابن نايقا بقوله: "ويجوز حمل ذلك على مذهب العرب في تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطاناً، وتشبيههم بالشياطين على سبيل التهويل، وهو وجه حسن ماثور. قال الشاعر: "ما ليلة الفقير إلا شيطان". والفقير بئر معروفة^(١) وتمام البيت في لسان العرب:

ما ليلة الفقير إلا شيطان مجنونة تودي بروح الإنسان

يقول ابن منظور: "والعرب تقول للشيء إذا استصعبوه (شيطان)"^(٢).

"فالذي سمح بأن يكون المشبّه به خيالياً (رؤوس الشياطين)، هو ما تراكم على الخيال بمرور الزمن من أوهام رسمت في النفس صورة رؤوس الشياطين في هيئة بشعة مرعبة، وأخذت هذه الصورة يشتد رسوخها بمرور الزمن، ويقوى فعلها في النفس، حتى كأنها محسوسة تُرى بالعين، وتُلمس باليد، فلما كانت هذه الصورة من القوة إلى هذا الحد ساغ وضعها في موضع التصوير والإيضاح. ولا نستطيع أن ننكر ما لهذه الصورة من تأثير بالغ في النفس"^(٣).

يقول الجاحظ: "وليس أنّ الناس رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجه وكرهته، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك، رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأوّلين والآخريّن، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم"^(٤).

"ألا ترى أن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين في الجنس، ثم لطف وحسن، لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن إلا لاتفاق كان ثابتاً بين المشبّه والمشبّه به من الجهة التي بها

(١) الجمان في تشبيهات القرآن، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن نايقا البغدادي، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. (ص ١٩٤).

(٢) لسان العرب (٣٠٢/١٠) مادة (فقر). "لم أقف على شاعر لبيت الشعر".

(٣) من بلاغة القرآن (ص ١٥٠).

(٤) الحيوان، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (٣٩/٤).

شبهت، إلا أنه كان خفيًا لا ينجلي إلا بعد التأنيق في استحضار الصور وتذكُّرها، وعرض بعضها على بعض، والتقاط النكتة المقصودة منها، وتجريدها من سائر ما يتصل بها، نحو أن تشبَّه الشيء بالشيء في هيئة الحركة، فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة من الجسم، وسائر ما فيه من اللون وغيره من الأوصاف، كما فعل ابن المعتز في تشبيه البرق، حيث قال:

وكأنَّ البرق مصحفٌ قارٍ فانطباَّقًا مرةً وانفتاحًا

فلم ينظر من جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين له من انبساط يعقبه انقباض، وانتشار يتلوه انضمام، ثم فَلَى نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيها أشبه بها، فأصاب ذلك فيما يفعله القارئ من الحركة الخاصة في المصحف، إذا جعل يفتحه مرة، ويطبقه أخرى.

ولم يكن إعجاب هذا التشبيه لك وإيناسه إياك لأن الشئيين مختلفان في الجنس أشدَّ الاختلاف فقط، بل لأن حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه، فبمجموع الأمرين -شدة ائتلاف في شدة اختلاف- حلا وحسن، وراق وفنن^(١).

يقول محمد محمد أبو موسى^٢: "وقد جاء في القرآن ضرب من التشبيه اعتمد في إبراز الحقيقة المراد إبرازها على ما ترسَّخ في النفوس من صور لأشياء ليست حقائقها مرئية في حياة الناس، كقوله تعالى في وصف طلع شجرة الزقوم: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" فإنه اعتمد في بيان حالتها على ما تخيلته النفوس للشيطان من رأس قبيحة جدًّا، وبالغة في النفرة والكراهية، والشجرة شجرة غريبة لم توجد على أساس القانون الطبيعي لوجود الشجر من تربة فيها حياة وماء، وإنما هي شجرة تخرج في أصل الجحيم، هي شجرة شاذة وغريبة. فناسبتها هذه الرؤوس الغريبة "رؤوس الشياطين". والجمع في كلمة رؤوس يمنح الصورة قدرًا من الغزارة، فليس عليها رأس شيطان، وإنما عليها رؤوس جميع الشياطين المنبثين في الثقلين جادّين في إفساد الوجود يغرسون الشر والأذى،

(١) أسرار البلاغة تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ ١٩٩١ م. (ص ١٥٣).

(٢) محلل بلاغي مبدع، له إسهامات واسعة في مجال البلاغة القرآنية، من مؤلفاته: دلالات التراكيب، وخصائص التراكيب، والتصوير البياني.

ويقتلعون الخير النافع... طلع شجرة الضر النامية في قعر جهنم تثمر طعامًا لهؤلاء الذين كانوا
يكونون جبهة الشر في الأرض، أو حزب الشيطان.

هذا التشبيه فيه قدر من التهكم بأولياء الشيطان الذين يطعمون في جهنم من شجرة طلعها
كرأس وليهم.

ومما جاء على هذه الطريقة من الشعر قول قيس بن الأسلت الأنصاري:

مها لا فقد أبلغت أسماعي	قالت ولم تقصد لقليل الخنا
والحرب غول ذات أوجاع	أنكرته حين توسمته
مرًّا وتحبسه بجعاع	من يذق الحرب يجد طعمها

فقد شبه الحرب بالغول في الهول والرهبة^(١).

يقول عبد القاهر: "واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم إذ قاسوا وشبهوا على أن الأشياء تستحق
الأسامي لخواص معانٍ هي فيها دون ما عداها، فإذا أثبتوا خاصة شيءٍ لشيءٍ أثبتوا له اسمه، فإذا
جعلوا الرجل بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد، ولا يعدُّ منها شيئًا قالوا: هو أسدٌ .
وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة، أو بالحسن الذي يبهر قالوا: هو ملكٌ . وإذا
وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا: هو مسكٌ، وكذلك الحكم أبدًا . ثم إنهم إذا استقصوا في ذلك
نقوا عن المشبه اسم جنسه، فقالوا: ليس هو بإنسانٍ وإنما هو أسدٌ ، وليس هو آدميًا وإنما هو
ملكٌ . كما قال الله تعالى: (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)^(٢).

(١) التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م. (ص ٩٣). "لم أفف

على ديوان شعر لشاعر الأبيات".

(٢) دلائل الإعجاز (١/٣١٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)

يقول الألوسي: "وحاصل هذا التشبيه أنَّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت بحسب تفاوت ما يقارنها من الإخلاص، والتعب، وحب المال، والإيصال إلى الأحوج التقي، وغير ذلك، فهناك تشبيه حال النفقة النامية لابتغاء مرضاة الله تعالى، الزاكية عن الأدناس - لأنها للتثبيت الناشئ عن ينبوع الصدق والإخلاص - بحال جنة نامية زاكية بسبب الربوة، وأحد الأمرين "الوابل والطل"، والجامع النمو المقرون بالزكاء على الوجه الأتم، وهذا من التشبيه المركب العقلي.. ولك أن تعتبر تشبيه حال أولئك عند الله تعالى بالجنة على الربوة، ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل، فكما أن كل واحد من المطرين يُضعف أكل تلك الجنة، فكذلك نفقتهم جلت أو قلت بعد أن يُطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند ربهم"^(٢).

"فالقرآن يتوجّه بالخطاب إلى الذين آمنوا ألا ييطلوا صدقاتهم بالمن والأذى، ويرسم لهم مشهداً عجيباً، أو مشهدين عجيبين يتسقان مع المشهد الأول (مشهد الزرع والنماء)، ويصوران طبيعة الإنفاق الخالص لله، والإنفاق المشوب بالمن والأذى، على طريقة التصوير الفني في القرآن، التي تعرض المعنى صورة، والأثر حركة، والحالة مشهداً شاخصاً للخيال، فالمشهد الأول مشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلاً ووضعاً وثمره، وفي كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض؛ ويتسق كذلك مع ما يمثله من المشاعر والمعاني التي رسم المنظر كلّ لتمثيلها وتشخيصها وإحيائها.

(١) البقرة (٢٦٥).

(٢) روح المعاني (٣/٣٦).

نحن في المنظر الأول أمام قلب صلد (كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر)، فهو لا يستشعر نداوة الإيمان وبشاشته، ولكنه يغطي هذه الصلادة بغشاء من الرياء، هذا القلب الصلد المغشى بالرياء يمثل (صفوان عليه تراب)، حجر لا خصب فيه ولا ليونة، يغطيه تراب خفيف يحجب صلاته عن العين، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان، (فأصابه وابل فتركه صلدًا)، وذهب المطر الغزير بالتراب القليل! فانكشف الحجر بجذبه وقساوته، ولم ينبت زرعه، ولم يثمر ثمرة .. كذلك القلب الذي أنفق ماله رثاء الناس، فلم يثمر خيرًا، ولم يعقب مثوبة!.

أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد، فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته، ينفق ماله (ابتغاء مرضاة الله)، وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير، نابعة من الإيمان، عميقة الجذور في الضمير، وإذا كان القلب الصلد وعليه ستار من الرياء يمثل صفوان صلد عليه غشاء من التراب، فالقلب المؤمن تمثله جنة.. جنة خصبة عميقة التربة، في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنة تقوم على ربوة، في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب! ليكون المنظر متناسق الأشكال، فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحيائها، وأخصبها، وثمّأها . . (فأصابها وابل فأتت أكلها ضعفين) . .

أحيائها كما تحيي الصدقة قلب المؤمن، فيزكو ويزداد صلة بالله، ويزكو ماله كذلك، ويضاعف له الله ما يشاء، وكما تزكو حياة الجماعة المسلمة بالإنفاق وتصلح وتنمو، (فإن لم يصبها وابل) . . غزير . . (فطل)، من الرذاذ يكفي في التربة الخصبة، ويكفي منه القليل!.

إنه المشهد الكامل، المتقابل المناظر، المنسّق الجزئيات، المعروض بطريقة معجزة التناسق والأداء، الممثل بمنظره الشاخصة لكل خالجة في القلب وكل خاطرة، المصوّر للمشاعر والوجدانات بما يقابلها من الحالات والمحسوسات، الموحى للقلب باختيار الطريق في يسر عجيب^(١).

(١) في ظلال القرآن، تأليف: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. (٣٠٩/١).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

يقول الألوسي : "وإسناد الإنبات إلى الحبة مجاز؛ لأنها سبب للإنبات، والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس"^(٢).

" إن المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة إلى سبعمئة حبة، أما المشهد الحي الذي يعرضه التعبير فهو أوسع من هذا وأجمل؛ وأكثر استجاشة للمشاعر، وتأثيراً في الضمائر . . إنه مشهد الحياة النامية، مشهد الطبيعة الحية، مشهد الزرعة الواهبة، ثم مشهد العجبية في عالم النبات.. العود الذي يحمل سبع سنابل، والسنبلة التي تحوي مائة حبة!.

وفي موكب الحياة النامية الواهبة يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء، إنه لا يعطي بل يأخذ؛ وإنه لا ينقص بل يزداد . . وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها.. تضاعف المشاعر التي استجاشها مشهد الزرع والحصيلة . . إن الله يضاعف لمن يشاء، يضاعف بلا عدّة ولا حساب، يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده؛ ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها"^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

(١) البقرة (٢٦١).

(٢) روح المعاني (٣/٣٢).

(٣) في ظلال القرآن (١/٣٠٦).

(٤) النور (٣٥).

يقول الألوسي: "وتحديد مراتب تضاعف ما مُثِّل به من نور المشكاة بما ذُكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة، فإن المصباح إذا كان في مكان متضائق كالمشكاة كان أضوأ له، وأجمع لنوره؛ بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع، بخلاف المكان المتسع، فإن الضوء ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاءه، وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها إشراقاً، ويمده بإضاءة مرتبة أخرى عادة، والظاهر عندي أن التشبيه الذي تضمنته الآية الكريمة من تشبيه المعقول؛ وهو نوره -تعالى- بمعنى أدلته سبحانه، لكن من حيث إنها أدلة، أو القرآن، أو التوحيد والشرائع، وما دلَّ عليه بدليل السمع والعقل، أو الهدى أو نحو ذلك - بالحمسوس، وهو نور المشكاة المبالغ في نعته، وأنه ليس في المشبه به أجزاء يُنتزع منها الشبه ليبني عليه أنه مركَّب أو مفرَّق، وإذا كان المراد تشبيه النور بمعنى الهدى الذي دلَّت عليه الآيات المبينات فهو من التشبيه المركَّب العقلي، وقد شبَّه فيه الهيئة المنتزعة بأخرى، فإن النور - وإن كان لفظه مفرداً - دال على متعدّد، وكذا إذا كان المراد تشبيه ما نورَّ الله تعالى به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها"^(١).

يقول سيد قطب معلقاً على هذا التمثيل البديع: "وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، ويرسم النموذج المصغَّر الذي يتأمله الحس، حين يقصر عن تملي الأصل، وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المتزامية وراء الإدراك البشري الحسير"^(٢).

"قد يبدو للنظرة العجلى أن المشبَّه -وهو نور الله- أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن نظرة إلى الآية الكريمة ترى أن النور المراد هنا هو النور الذي يغمر القلب، ويشرق على الضمير فيهدي إلى سواء السبيل، أو لا ترى أن القلب ليس في حاجة إلى أكثر من هذا المصباح يلقي عليه ضوءه، فيهدي إلى الحق وأقوم السبل، ثم ألا ترى في اختيار هذا التشبيه إحياء بحالة القلب وقد لفه ظلام الشك، فهو متردّد قلق خائف، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه فيجد الراحة

(١) روح المعاني (١٦٩/١٨-١٧٠).

(٢) في ظلال القرآن (٢٥١٩/٤).

والأمن والاستقرار، فهو كساري الليل يخبط في الظلام على غير هدى، حتى إذا أوى إلى بيته فوجد هذا المصباح في المشكاة وجد الأمن سبيله إلى قلبه، واستقرت الطمأنينة في نفسه، وشعر بالسرور يغمر فؤاده.. وإذا تأملت الآية الكريمة رأيته قد مضت تصف ضوء هذا المصباح، وتتأنق في وصفه بما يصور لك قوته وصفاءه، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة تجعله يتلأل كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فمن شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب؛ فصفا لذلك زيتها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسه نار، ألا ترى أن هذا المصباح جدير أن يبدد ظلمة الليل، ومثله جدير أن يبدد ظلام الشك، ويمزق دجى الكفر والنفاق، وقد ظهر بما ذكرناه جمال هذا التشبيه، ودقته، وبراعته..^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ تَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "وتخصيص الحساب بالظمان مع شموله لكل من يراه كائنًا من كان من العطشان والريان؛ لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفية في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع، والمقطع المؤيس.. وجملة (وجد الله عنده.. الخ)، بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة؛ لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمان، ويظهر أنه يعترهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر للخيبة عنده أصلاً، فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئاً، بل على ما يُفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم عيناً ولا أثراً، كما في قوله تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)، كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً حُكْمٌ -بأنها حيث يحسبونها في الدنيا- نافذ لهم في الآخرة، حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئاً، كأنه قيل: حتى إذا

(١) من بلاغة القرآن (ص ١٥١)

(٢) النور (٣٩).

جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً، ووجدوا الله، أي حكمه وقضائه عند المجيء..

وأما كان فالمراد بالظمان مطلق الظمان، وقيل المراد به الكافر، وإليه ذهب الرمحشري.. قال : شبه سبحانه ما يعمل به من لا يعتقد الإيمان بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش القيامة، فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجده، ويجد زبانية الله تعالى عنده يأخذونه فيسقونه الحميم والغساق..

واستطيب ذلك العلامة الطيبي حيث قال : إنما قيّد المشبه به برؤية الكافر، وجعل أحواله ما يلقاه يوم القيامة، ولم يطلق لقوله تعالى ووجد الله عنده إلخ؛ لأنه من تنمة أحوال المشبه به، وهذا الأسلوب أبلغ؛ لأن خيبة الكافر أدخل، وحصوله على خلاف ما يؤمله أعرق"^(١).

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعاً في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قيل: يحسبه الرائي ماءً، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأنّ الظمان أشدّ حرصاً عليه، وتعلّق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيرّه إلى عذاب الأبد في النار، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حُسن التشبيه، فكيف إذا تضمّن مع ذلك حُسن النظم، وعدوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة.."^(٢).

"إنّ النسق اللغوي، والنظم الإلهي يضفي حياة على الصورة التشبيهية، ويكسبها ظلالاً إيحائية لا يستطيع طرفا التشبيه وحدهما أن يقوما بها، فالنظم الإلهي والتركيب اللغوي يبرزان حالة نفسية حركية تصور معاناة سائر في صحراء قاحلة، تناوشه أحاسيس الظمأ، ويحاول تهدئتها بقرب إدراكه الماء الذي يتكشف في نهاية الطريق عن وهم خادع"^(٣).

(١) روح المعاني (١٨/١٨١).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢).

(٣) البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف: الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م. ص (٥٦).

فلو أنَّ القرآن اختار التعبير الذي لا خيال فيه، وقال مثلاً: "والذين كفروا أعمالهم غير مثمرة" لم يكن له في النفس هذا الأثر القوي، الذي يصوِّر عدم جدوى هذه الأعمال، إذ يقرنه بشيء نراه بأعيننا، ونكاد نؤمن بوجوده إيماناً لا يتسرَّب إليه الشك، فالصورة التي أتى بها القرآن تزيدنا اقتناعاً بعدم جدوى أعمالهم..^(١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٢) يقول الألوسي: "المراد من هذا التمثيل تشبيه حال المنافقين في الشدَّة، ولباس إيمانهم المبطن بالكفر المطرز بالخداع حذر القتل، بحال ذوي مطر شديد فيه ما فيه، يرقعون خروق آذانهم بأصابعهم حذر الهلاك، إلى آخر ما علم من أوصافهم، ووجه الشبه وجدان ما ينفع ظاهره، وفي باطنه بلاء عظيم"^(٣).

يقول ابن عاشور: "وفي هذا تشبيه لجزع المنافقين من آيات الوعيد بما يعتري القائم تحت السماء حين الرعد والبرق والظلمات، فهو يخشى استكاث سمعه، ويخشى الصواعق حذر الموت"^(٤).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

"أي كحال من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع، فهناك تشبيهان، الأول: تشبيه حال الكفرة الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى، بحال من خُلِقَ أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة، والثاني: تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاتنفعوا بأسماعهم وأبصارهم اهتدأ إلى الجنة، وانكفاء عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة،

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن. ص (٦٢).

(٢) البقرة (١٩).

(٣) روح المعاني (١/١٨١).

(٤) التحرير والتنوير (١/١٨٦).

(٥) هود (٢٤).

بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام، ويستفيء بمغانم الإنذار والإبشار فوزاً بالمرام" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢) يقول الألوسي: "يقال ناقة لاقح أي حامل، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ، شبهت الريح التي بالسحاب الماطر بالناقة الحامل؛ لأنها حاملة لذلك السحاب، أو للماء الذي فيه" (٣).

وكان التشبيه في الآية الكريمة بليغاً؛ لأنه لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يذكر فيه وجه الشبه. "والتشبيه المضمّر أبلغ من التشبيه المظهر، وأوجز؛ أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبّهاً به من غير واسطة أداة، فيكون هو إياه، فإنك إذا قلت: "زيد أسد" كنت قد جعلته أسداً من غير إظهار أداة التشبيه" (٤).

ويقول الألوسي عند تفسيره لقوله جل وعز: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْذِبِ لَا يَنْفَعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥) "في الآية مضاف محذوف، إما من جانب المشبّه أو المشبّه به، أي مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق. ووضع المظهر -وهو الموصول- موضع المضمّر -وهو البهائم- ليتمكّن من إجراء الصفة التي هي وجه الشبه عليه، وحاصل المعنى على التقديرين أن الكفرة لانهمآكهم في التقليد، وإخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة لا يلقون أذهآهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأملون فيما

(١) روح المعاني (٣٤/١٢).

(٢) الحجر (٢٢).

(٣) روح المعاني (٣١/١٤).

(٤) المثل السائر (٣٧٣/١).

(٥) البقرة (١٧١).

يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي يُعَقِّق عليها، وهي لا تسمع إلا جرس النعمة، ودوي الصوت" (١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ (٢) يقول الألوسي: "شَبَّهُوا فِي جُلُوسِهِمْ بِمَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَنْدِينَ فِيهَا، وَمَا هُمْ إِلَّا أَجْرَامٌ خَالِيَةٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْخَيْرِ - بِخَشَبٍ مَنْصُوبَةٍ مُسْنَدَةٌ إِلَى الْحَائِطِ فِي كَوْنِهِمْ أَشْبَاحًا خَالِيَةً عَنِ الْفَائِدَةِ؛ لِأَنَّ الْخَشَبَ تَكُونُ مُسْنَدَةً إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي بِنَاءٍ أَوْ دَعَامَةٍ بِشَيْءٍ آخَرَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِالْخَشَبِ الْمُسْنَدَةِ الْأَصْنَامُ الْمُنْحَوْتَةُ مِنَ الْخَشَبِ الْمُسْنَدَةِ إِلَى الْحَيَّطَانِ، شَبَّهُوا بِهَا فِي حَسَنِ صُورِهِمْ، وَقَلَّةِ جَدْوَاهُمْ" (٣).

وهنا يظهر لنا ما ذهب إليه العلوي بقوله: "واعلم أنك إذا أردت تشبيه الشيء بغيره فإنما تقصد به تقرير المشبَّه في النفس بصورة المشبَّه به، أو بمعناه. فيستفاد من ذلك البلاغة فيما قصد به من التشبيه على جميع وجوهه، من مدح، أو ذم، أو ترغيب، أو ترهيب، أو كبر، أو صغر، أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه، وتراد للإيجاز والاختصار في اللفظ من تعديد الأوصاف الشبيهة" (٤).

وبهذا يتضح لنا جلياً أن التشبيه "يضيف على المعنى شرفاً ووضوحاً، ويزيده قوة وتأكيذاً، ويرفع من قدر الكلام، فتهفو النفس له، ويتحرَّك القلب إليه؛ لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبيهه، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوَّةً ووضوحاً كان أملك للنفس، وأبعد للتأثير" (٥).

كما تناول الألوسي التشبيه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) حيث قال: "وإطلاق الإخوة على المؤمنين من باب

(١) روح المعاني (٤١/٢).

(٢) المنافقون (٤).

(٣) روح المعاني (١١١/٢٨).

(٤) الطراز (١٤٢/١).

(٥) القرآن والصورة البيانية (ص ١١٠).

التشبيه البليغ، وشبَّهوا بالإخوة من حيث انتسابهم إل أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ﴾^(٣).

يقول الألوسي : "الكاف في موضع نصب، إما على الحال من ضمير المصدر، أي يأكلونه أي الأكل مشبهاً أكل الأنعام، وإما على أنه نعت لمصدر محذوف، أي أكلاًً مثل أكل الأنعام، والمعنى أن أكلهم مجرد من الفكر والنظر، كما تقول للجاهل: تعيش كما تعيش البهيمة، لا تريد التشبيه في مطلق العيش، ولكن في خواصه ولوازمه، وحاصله أنهم يأكلون غافلين عن عواقبهم ومنتهى أمورهم"^(٤).

وهذا الذي ذهب إليه الألوسي هو ما عناه سيد قطب بقوله : "وهو تصوير زري، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه؛ ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ.. بلا تذوق، وبلا تعفُّف عن جميل أو قبيح . . إنه المتاع الذي لا ضابط له من إرادة، ولا من اختيار، ولا حارس عليه من تقوى، ولا رادع عنه من ضمير .

والحيوانية تتحقق في المتاع والأكل، ولو كان هناك ذوق مرهف للطعوم، وحسٌّ مدرَّب في اختيار صنوف المتاع، كما يتفق هذا لكثير من الناشئين في بيوت النعمة والثناء، وليس هذا هو المقصود، إنما المقصود هو حساسية الإنسان الذي يملك نفسه وإرادته، والذي له قيم خاصة للحياة؛ فهو يختار

(١) الحجرات (١٠).

(٢) روح المعاني (١٥١/٢٦).

(٣) محمد (١٢).

(٤) روح المعاني (٤٦/٢٦).

الطيب عند الله، عن إرادة لا يخضعها ضغط الشهوة، ولا يضعفها هتاف اللذة، ولا تحسب الحياة كلها مائدة طعام، وفرصة متاع؛ بلا هدف بعد ذلك ولا تقوى فيما يباح وما لا يباح^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكُونٌ^(٢).

يقول الألوسي: "المراد تشبيههن بالبيض الذي كنه الريش في العش أو غيره في غيره، فلم تمسه الأيدي، ولم يصبه الغبار في الصفاء، وشوب البياض بقليل صفرة مع لمعان كما في الدر، والعرب تشبه النساء بالبيّض، ويقولون لهنّ: بيضات الخدور، ومنه قول امرئ القيس:

وَيَبِيضَةُ خَدَرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعَتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعَجَّلٍ^(٣) ^(٤)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

يقول الألوسي: وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرقًا، فالنافق المنافق كالحجر في عدم الانتفاع، ونفقته كالتراب لرجاء النفع منهما بالأجر والإنبات، ورياءه كالوابل المذهب له سريعًا، الضار من حيث يُظنُّ النفع، ولو جعل مركبًا لصحَّ^(٦).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٧).

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٢٩٠).

(٢) الصفات (٤٨-٤٩).

(٣) ديوان امرئ القيس (ص ١٢).

(٤) روح المعاني (٢٣/٨٩).

(٥) البقرة (٢٦٤).

(٦) روح المعاني (٣/٣٥).

(٧) آل عمران (١١٧).

"وهذا من التشبيه المركب الذي توجد فيه الزبدة من الخلاصة والمجموع، ولا يلزم فيه أن يكون ما يلي الأداة هو المشبه به، كقوله تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه...)، وإلا لوجب أن يقال كمثل حرث؛ لأنه المشبه به (المنفق)، وجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ربح، أو مثل ما ينفقون كمهلك ربح، والمهلك اسم مفعول هو الحرث، والوجه عند كونه مركباً قلّة الجدوى والضياع"^(١).

"إننا ننظر فإذا نحن أمام حقل قد تهيأ للإخصاب، فهو حرث، ثم إذا العاصفة تهب، إنها عاصفة باردة ثلجية محرقة، تحرق هذا الحرث بما فيها من صرر . واللفظة ذاتها كأنها مقذوف يُلقى بعنف، فيصور معناه بجرسه النفاذ، وإذا الحرث كله مدمر خراب..

إنها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك، وإذا الحرث كله يباب.. ذلك مثل ما ينفق الذين كفروا في هذه الدنيا -ولو كان ينفق فيما ظاهره الخير والبر- ومثل ما بأيديهم من نعم الأولاد والأموال، كلّها إلى هلاك وفناء . . دون ما متاع حقيقي، ودون ما جزاء"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعَفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

ففي قوله تعالى: كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ، يقول الألوسي: "أي كحال من جمع بين العمى والصمم، ومن جمع بين البصر والسمع، فهناك تشبيهان، الأول: تشبيه حال الكفرة

(١) روح المعاني (٣٦/٤).

(٢) في ظلال القرآن (٤٥١/١).

(٣) هود (٢٤-١٩).

الموصوفين بالتعامي والتصام عن آيات الله تعالى، بحال من خُلِقَ أعمى أصم لا تنفعه عبارة ولا إشارة. والثاني: تشبيه حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات -فانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم اهتداءً إلى الجنة وانكفاءً عما كانوا خابطين فيه من ضلال الكفر والدجنة- بحال من هو بصير سميع يستضيء بالأنوار في الظلام، ويستفيء بمغانم الإنذار والإبشار فوزًا بالمرام.. والعطف لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير، ولآية على احتمالاتها شبه في الجملة بقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)

وقد يعتبر التشبيه تمثيلًا بأن يُنتزع من حال الفريق الأول -في تصاممهم وتعاميهم المذكورين، ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف، والخسران الذي لا خسران فوقه- هيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع، فتخبَّط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى، ولم يجد إلى مقصده سبيلًا، ويُنتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي، وفوزهم بدار الخلود هيئة تشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته، فيهتدي إلى سبيله وينال مرامه"^(٢).

"إنها صورة حسية تتجسم فيها حالة الفريقين، والفريق الأول كالأعمى لا يرى، وكالأصم لا يسمع، والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل، ليدرك ويتدبر، فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس، والفريق الثاني كالبصير يرى، وكالسميع يسمع، فيهديه بصره وسمعه"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

(١) ديوان امرئ القيس (ص ٩٢).

(٢) روح المعاني (٣٤/١٢).

(٣) في ظلال القرآن (١٨٦٨/٤).

(٤) العنكبوت (٤١).

يقول الألوسي: "كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتاً، والتشبيه على هذا من التشبيه المركّب، فيعتبر في جانب المشبّه اتخاذ ومتّخذ واتّكال عليه، وكذلك في الجانب الآخر ما يناسبه، ويعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من ذلك كله بالهيئة المنتزعة من هذا بالأسر، والغرض تقرير وهن أمر دينهم، وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها، ومدار قطب التشبيه أن أولياءهم بمنزلة منسوج العنكبوت، ضعف حال، وعدم صلوح اعتماد، وعلى هذا يكون قوله تعالى (إن أوهن البيوت) تذيلاً يقرّر الغرض من التشبيه"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "(منقعر) أي منقلع عن مغارسه، ساقط على الأرض، وشبهوا بأعجاز النخل -وهي أصولها بلا فروع-؛ لأن الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حسناً أنهم كانوا ذوي جثث عظام طوال"^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جُمَلَتٌ صُفْرًا﴾^(٤).

يقول الألوسي: "عبر بصفر؛ لأنّ الشرار لما فيه من النارية والهوائية يكون أصفر، فالصفرة على معناها المعروف، وقيل سُود، والتعبير بصفر لأن سواد الإبل إلى الصفرة، شبه به الشر حين ينفصل عن النار في عظمه بالقصر، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال لتصور الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة، وقد روعي الترتيب في التشبيه رعاية لترتيب الوجود، وأفيد أن القصور والجمال يشبه بعضها ببعض.. فالتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأول؛ على معنى أن التشبيه بالقصر كان المتبادر منه إلى الفهم العظم فحسب، فلما

(١) روح المعاني (٢٠/١٦١).

(٢) القمر (١٩-٢٠).

(٣) روح المعاني (٢٧/٨٧).

(٤) المرسلات (٣٢-٣٣).

قيل كأنه جمالة صفر، وهو قائم مقام التخصيص في القصر، كثر وجه الشبه كأنه قيل: كأنه قصر من شأنه كذا وكذا، والتشبيه بالجمال في الكثرة، والتتابع، وسرعة الحركة أيضًا^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "شُبَّهَ القمر بالعرجون"^(٣)، وهو عود عزق النخلة من بين الشمراخ إلى منبته منها، والقديم، أي العتيق الذي مرَّ عليه زمانٌ ييس فيه، ووجه الشبه الاصفرار والدقة والاعوجاج"^(٤).

يقول عبد الفتاح لاشين: "قد يبرز المشبَّه في صورة أنيقة تخلب اللب، وتبهر العقل، ويظهر في صورة يندر حضورها في الذهن عند حضور المشبَّه به، كقوله تعالى "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم".. فصورة العرجون القديم غير نادرة الحضور في الذهن، بل شائع ومطروق، ولكنها تندر عند استحضر صورة القمر، البون الشاسع بين الصورتين؛ فالقمر مسكنه في السماء، والعرجون مقرّه الأرض، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شيء تافه، وشتان ما بين الصورتين..^(٥)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿١٦﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٨﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٩﴾﴾^(٦).

(١) روح المعاني (١٧٦/٢٩).

(٢) يس (٣٩).

(٣) جاء في لسان العرب: "العُرْجُونُ العِدْقُ عامّة، وقيل: هو العِدْقُ إذا ييس واعوجَّ، وقيل: هو أصل العِدْق الذي يَغُوجُ وتُقَطَّع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابسًا.. قال الأزهري: العرجون أَصْفَرُ عريض، شَبَّهَ الله به الهلال لما عاد دقيقًا". لسان العرب، (١٢٢/٩)، مادة (عرج).

(٤) روح المعاني (٢٠/٢٣).

(٥) البيان في ضوء أساليب القرآن (ص ٦٥).

(٦) القارعة (٨-١١).

يقول الألوسي: "وعبر عن المأوى بالأم على التشبيه بها؛ فالأم مفزع الولد ومأواه، وفيه تحكم به" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمَنِ الظَّالِمِينَ ۖ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾.

يقول الألوسي: "أي يعرفونه بالأوصاف المذكورة في الكتاب بأنه النبي الموعود، بحيث لا يلتبس عليهم عرفاناً مثل عرفانهم أبناءهم، بحيث لا تلتبس عليهم أشخاصهم بغيرهم، وهو تشبيه للمعرفة العقلية الحاصلة من مطالعة الكتب السماوية بالمعرفة الحسية في أن كلاً منهما يتعذر الاشتباه فيه، والمراد بالأبناء الذكور؛ لأنهم أكثر مباشرة ومعاشرة للآباء، وألصق وأعلق بقلوبهم من البنات، فكان ظن اشتباه أشخاصهم أبعد، وكان التشبيه بمعرفة الأبناء أكد من التشبيه بالأنفس؛ لأن الإنسان قد يمر عليه قطعة من الزمان لا يعرف فيها نفسه، كزمن الطفولة، بخلاف الأبناء فإنه لا يمر عليه زمان إلا وهو يعرف ابنه" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

يقول الألوسي: "المراد وما أعمال الحياة الدنيا المختصة بها إلا كاللعب واللهو في عدم النفع والثبات، وبهذا التقدير خرج ما فيها من الأعمال الصالحة كالعبادة، وما كان لضرورة المعاش،

(١) روح المعاني (٢٢٢/٣٠).

(٢) البقرة (١٤٥-١٤٦).

(٣) روح المعاني (١٣/٢).

(٤) الأنعام (٣٢).

والكلام من التشبيه البليغ ولو لم يقدّر مضاف، وجعلت الدنيا نفسها لعبًا وهوًا مبالغة، كما في قوله: وإنما هي إقبال وإدبار" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝﴾ (٢).

يقول الألوسي: "وليس المشبه به نفس الماء، بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة، وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر مهتزًا، ثم يصير يابسًا تطيره الرياح حتى كأنه لم يكن.. وعبر بالفاء في الآية للإشعار بسرعة زواله وصيرورته بتلك الصفة.. (٣)".

"وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة، إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده.. (٤)".

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۚ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ (٥).

يقول الألوسي: "بصائر من ربكم، أي بمنزلة البصائر للقلوب، بها تبصر الحق، وتدرك الصواب، أو حجج بيّنة، وبراهين نيرة تغني عن غيرها، فالكلام خارج مخرج التشبيه البليغ" (٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝﴾ (٧).

(١) روح المعاني (١٣٣/٧).

(٢) الكهف (٤٥).

(٣) روح المعاني (٢٨٦/١٥).

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٣).

(٥) الأعراف (٢٠٣).

(٦) روح المعاني (١٥٠/٩).

(٧) الحجر (٢٢).

يقول الألوسي: "لاقح بمعنى حامل، يقال ناقة لاقح أي حامل، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ، حيث شُبِّهَت الريح -التي بالسحاب الماطر- بالناقة الحامل؛ لأنها حاملة لذلك السحاب، أو للماء الذي فيه"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ؕ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "حتى إذا جعله نارًا، أي كالنار في الحرارة والهيئة، فهو من التشبيه البليغ"^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ۚ وَإِن مِّن الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ أَلَأَنهَرٌ ۚ وَإِن مِّنْهَا لَمَّا يَشْقُوقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِن مِّنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِّن خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

يقول الألوسي: "فهي كالحجارة، أي في القسوة وعدم التأثر، والجمع لجمع القلوب، وللاشارة إلى أنها متفاوتة في القسوة كما أن الحجارة متفاوتة في الصلابة، والكاف للتشبيه، وهي متعلقة هنا بمحذوف، أي كائنة كالحجارة"^(٥).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٦).

(١) روح المعاني (٣١/١٤).

(٢) الكهف (٩٥-٩٦).

(٣) روح المعاني (٤١/١٦).

(٤) البقرة (٧٤).

(٥) روح المعاني (٢٩٥/١).

(٦) الرعد (١٤).

قال الألوسي: "شُبَّه الداعون لغير الله تعالى بمن أراد أن يغرف الماء بيديه، فبسطهما ناشراً أصابعه في أنهما لا يحصلان على طائل، وجعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوى، ولعله أراد عدمها، لكنه بالغ بذكر القلّة، وإرادة العدم دلالة على هضم الحق، وإيثار الصدق، وإلشام طرف من التهكّم، والتشبيه على هذا من تشبيه المفرد المقيد، كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيء: هو كالراقم على الماء، فإن المشبّه هو الساعي مقيداً بكون سعيه كذلك، والمشبّه به هو الراقم مقيداً بكونه على الماء كذلك" (١).

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة، والحسرة بما يفوت من درك الطلبة، وفي ذلك الزجر عن الدعاء إلا لله عز وجل الذي يملك النفع والضرر، ولا يضيع عنده مثقال الذر.." (٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (٣).

يقول الألوسي: "أي وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالباً لباساً يستركم بظلامه كما يستركم اللباس، ولعل المراد بهذا اللباس المشبّه به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه؛ فإن شَبَّه الليل به أكمل، واعتباره في تحقيق المقصد أدخل" (٤).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥).

يقول الألوسي: "أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً.. فيه تمثيل لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً، مع

(١) روح المعاني (١٢٥/١٣).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٣).

(٣) النبأ (١٠).

(٤) روح المعاني (٧/٣٠).

(٥) الحجرات (١٢).

مبالغات من فنون شتى.. الاستفهام التقريري من حيث إنه لا يقع إلا في كلام هو مسلّم عند كل سامع حقيقة أو ادعاء، وإسناد الفعل إلى أحد إيداناً بأن أحداً من الأحدين لا يفعل ذلك، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخاً للكل وميتاً، وتعقيب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) حملاً على الإقرار، وتحقيقاً لعدم محبة ذلك، أو لمحبة التي لا ينبغي مثلها" (١).

"لقد عرض القرآن مشهداً تتأذى له أشد النفوس كثافة، وأقل الأرواح حساسية، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتاً.. ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب" (٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

يقول الألوسي: "والتشبيه من تشبيه المفرد بالمفرد، وقيل -وعليه كثير من المحققين- إنه تشبيه للهيئة المنتزعة مما عراه بعد الانسلاخ -من سوء الحال، واضطراب القلب، ودوام القلق والاضطراب، وعدم الاستراحة بحال من الأحوال- بالهيئة المنتزعة مما ذكر في حال الكلب" (٤).

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير، وفي التخسيس؛ فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق، ولا على عنف..." (٥).

(١) روح المعاني (١٥٨/٦).

(٢) في ظلال القرآن (٣٣٤٧/٦).

(٣) الأعراف (١٧٥-١٧٦).

(٤) روح المعاني (١١٥/٩).

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "وفي الآية دليل على سوء حال العالم الذي لا يعمل بعلمه، وتخصيص الحمار بالتشبيه به؛ لأنه كالعلم في الجهل، ومن ذلك قول الشاعر:

ذوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

بناءً على ما نقل عن ابن خالويه^(٢) أن البعير اسم من أسماء الحمار"^(٣).

"فإن وجه الشبه هنا ليس شيئاً واحداً، وإنما هو صورة منتزعة من أمور كثيرة، فهي صورة من يجهد نفسه ويتعبها بأشياء نفيسة دون أن يحصل على جدوى"^(٤).

وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في الجهل بما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالأتكال على حفظ الرواية من غير دراية..^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانَ لَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾^(٦).

يقول الألوسي: "والمعنى مشبهين بحُمُر نافرة جداً فرّت من قسورة، أي أسد، شَبَّهوا في إعراضهم عن القرآن، واستماع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه، بحُمُر وحشية جدت في نفارها

(١) الجمعة (٥).

(٢) ينظر لسان العرب (٤٤٤/١)، مادة (بعر).

(٣) روح المعاني (٩٥/٢٨). "لم أقف على قائل معين للأبيات".

(٤) البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع (ص ٣٣).

(٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٤).

(٦) المدثر (٥٠-٥١).

مما أفزعها، وفي تشبيههم بالخنزير مذمة ظاهرة، وتهجين لحلم بين، كما في قوله سبحانه (كمثل الخمار يحمل أسفارا)، أو شهادة عليهم بالبله، وقلة العقل..^(١).

"فرما بدا أنه يكفي في تصوير إعراضهم وصفهم بأنهم كالحمير، ولكنه في دقته لا يكتفى بذلك، فهو يريد أن يصور نفرتهم من الدعوة، وإسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها إسراعاً يعضون فيه على غير هدى، فوصف الحمير بأنها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب وتحثها عليه، يزيد في هربها وفرارها أسد هصور يجري خلفها، فهي تتفرق في كل مكان، وتجري غير مهتدية في جريها، أو لا ترى في صورة هذه الحمير -وهي تجدد في هربها لا تلوي على شيء تبغى الفرار من أسد يجري وراءها- ما ينقل إليك صورة هؤلاء القوم معرضين عن التذكرة، فإين أمام الدعوة لا يلوون على شيء سائرين على غير هدى!! ثم ألا تبعث فيك هذه الصورة الهزء بهم والسخرية!"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "وحاصل التمثيل تشبيه أعمالهم في جبوطها وذهابها هباءً منثوراً؛ -لابتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى، والإيمان به، وكونها لوجهه- برماد طيرته الريح العاصف وفرقتة، وهذه الجملة فدلالة ذلك، والمقصود منه.. والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات للتصريح ببطلان اعتقادهم، وزعمهم أنها شفعاء لهم عند الله تعالى، وفيه تهكم بهم.."^(٤).

(١) روح المعاني (٢٩/١٣٤).

(٢) من بلاغة القرآن (ص ١٥٤).

(٣) إبراهيم (١٨).

(٤) روح المعاني (١٣/٢٠٤).

"فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبّه والمشبّه به في الهلاك، وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لِمَا فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة.." (١).

"إنّ مشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسّم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها، ولا الانتفاع به أصلاً . يجسّمه في هذا المشهد العاصف المتحرك، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بدداً .

هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار . فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالبائع، وتصل البائع بالله - مفككة كالهباء والرماد، لا قوام لها ولا نظام. فليس المعوّل عليه هو العمل، ولكن باعث العمل.. حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالبائع والقصد والغاية.

وهكذا يلتقي المشهد المصوّر مع الحقيقة العميقة، وهو يؤدي المعنى في أسلوب مشوّق موحٍ مؤثّر" (٢).

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت). (ص ٨٢)

(٢) في ظلال القرآن (٢٠٩٤/٤).

المبحث الثاني المجاز

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المجاز العقلي.

المطلب الثاني: المجاز اللغوي.

تعريف المجاز لغة:

مصدر ميمي من جوز، يقال: "جزت الطريق، وجاز الموضع جوازًا ومجازًا، والمجاز والمجازة الموضع"^(١)، "مأخوذ من قولهم: جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطَّاه إليه، فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يُجاز فيه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان، فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد، فإن زيدًا إنسان، والأسد هو هذا الحيوان المعروف، وقد جزنا من الإنسانيَّة إلى الأسديَّة، أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة"^(٢)، ولقد سُمِّيت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي.

أما المجاز في اصطلاح البلاغيين:

فهو "كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها؛ لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"^(٣).

وهذا التعريف يشير إلى أن المجاز هو "اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"^(٤).

"فالمجاز من شأنه أن يَفْخَمَ عليه المعنى، وتحدَّثَ فيه النَّباهُ. فليس يَشْتَبَه على عاقل أن ليس حال المعنى وموقعه في قوله: (فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي ...)، كحالهِ وموقعه إذا أنت تركت المجاز

(١) انظر: لسان العرب (٤١٦/٢)، (مادة جوز).

(٢) المثل السائر (١/٧٤).

(٣) أسرار البلاغة (ص ٣٥٢).

(٤) وتفصيل ذلك: أن الكلمة المستعملة مجازاً فيها معنيان: الحقيقي الذي وضعت له، والمعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانياً. والعلاقة: مراد بها الصلة بين المعنيين، ولولاها لما استطعنا نقل الكلمة من معناها الأول الذي وضعت له إلى معناها الثاني الذي استعملت فيه، وأما القرينة، فهي التي تبين لنا المعنى الحقيقي أنه غير مراد، وأن المجاز هو المعنى المقصود. انظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع (ص ١٤١).

وقلت : فتمتُ في ليلي وتجلّى همّي . ومن ذا الذي يخفى عليه مكانُ العلوّ، وموضعُ المزية وصورةُ
الفرقان بين قوله تعالى: (فما ربحتُ تجارتُهم)، وبين أن يقال : (فما ربحوا في تجارتهم)!

وإن أردت أن تزداد للأمر تبيينًا فانظر إلى بيت الفرزدق:

يَحْمِي إِذَا اخْتَرَطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا ضَرَبْتُ تَحْرُّ لَه السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ^١

وإلى رونقه ومائه، وإلى ما عليه من الطلاوة . ثم ارجع إلى الذي هو الحقيقة وقل: "نحمي إذا
اختَرَطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا بضربٍ تطيرُ له السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ" ثم اسبرَّ حالك هل ترى مما كنت تراه
شيئًا؟!

وهذا الضَّرْبُ من المجاز على حدّته كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشاعر المُفْلِق، والكاتب
البليغ في الإبداع والإحسان والاتّساع في طُرُق البيان . وأن تحيىء بالكلام مطبوعًا مصنوعًا، وأن
يضعه بعيد المرام قريبًا من الأفهام"^(٢).

"وشاهده ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾"^(٣)، ذلك أن كلمة: «الصِّرَاطُ»
وضعها العرب للطريق، واستعملها القرآن الكريم للدلالة على الدّين؛ لعلاقة توصيل كل منهما إلى
المراد. والواقع أن المجاز ورد في اللغة، وفي القرآن الكريم، ولقد أُعْتُبِرَ المجاز أبلغ من الحقيقة"^(٤)؛ "بل
هو أولى بالاستعمال منها في باب الفصاحة والبلاغة"^(٥). "وأرباب البلاغة يعدلون إلى المجاز ما
أمكن لتضمنه لطائف النكات"^(٦).

^١ (ديوان الفرزدق، شرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت. ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م. (١٥٥/٢).

^(٢) دلائل الإعجاز (١/٢٢٨).

^(٣) الفاتحة (٦).

^(٤) انظر: الإتيان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان،

الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (٢/٩٧).

^(٥) انظر: المثل السائر (١/٧٨).

^(٦) روح المعاني (٢٠/٩٩).

يُقسم المجاز إلى قسمين:

"المجاز العقلي، ويكون في الإسناد.

المجاز اللغوي، وهو نوعان:

إذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة سُمي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة، فهو مجاز مرسل"^(١).

وفيما يلي بيان وتفصيل لكل نوع من أنواع المجاز، مع شواهد من القرآن الكريم.

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٧٩، ٢٨٠).

المطلب الأول

المجاز العقلي

"هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل"^(١)، وورد تعريفه لدى الخطيب بأنه: "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى مُلابسٍ له غير ما هو له بتأويل"^(٢).

فقوله : (إسناد الفعل أو ما في معناه) يقصد به الفعل، وما هو في معنى الفعل، ويعمل عمله، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الزمان والمكان.

وقوله: (لغير ما هو له) هو التجوُّز في إسناد الفعل بإسناده إلى غير فاعله، ومثال ذلك : (صامت سعاد)، و(قامت فاطمة)، فإسناد الصوم والقيام إلى سعاد وفاطمة إسناد حقيقي. وأما في قولهم: (أنبت الربيع البقل)، و(فاض الكأس)؛ فإن الله ﷻ هو الذي أنبت البقل، والذي فاض من الكأس هو الماء، فما حصل هو إسناد أنبت، وفاض إلى غير الفاعل الحقيقي، وهو ما سُمي في التعريف بغير ما هو له. وهو ما يسمى بالإسناد المجازي. والذي سوغ لهذا التجوز هو العلاقة التي تربطهما ما بين المسند والمسند إليه، فالإنبات إنما حصل في فصل الربيع، وكان بسببه. وكذلك الفيض أسند إلى الكأس؛ لأنه هو المكان الممتلئ بالماء، وهكذا^(٣).

وعلاقات المجاز العقلي:

١ - المكانية: (سال النهر).

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ۖ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾^(٤).

(١) مفتاح العلوم (ص ٥٠٣).

(٢) الإيضاح (ص ٢٦).

(٣) انظر المطول (ص ٥٨٤).

(٤) الرعد (١٦-١٧).

"حيث أسند فيه السيلاّن إلى الأودية، مع أنّ السيلاّن للماء فيها، ولكنّنا حين نقرأ أو نسمع هذا الكلام نلمس المقصود به من وراء فاصل، وهو ساتر المجاز، إذ أُسند السيلاّن للمحلّ، وهو هنا الأودية، ومع لمس المراد من وراء الساتر نحسّ بزيّنة خاصّة في هذا الساتر، وبفكرة مضافة، وهي أنّ الناظر إلى تدفّق الماء في الأودية، وتدافع أمواجه، يتوهّم في لحظات الانبهار أنّ الأودية تجري أيضاً مع الماء، وهذا معنى بديع يضيف على الكلام زيّنة حلوة، ويصوّر حالة التخيّل التي تعتري الناظرين المندهشين"^(١).

٢- الزمانية: كقولنا (ليله قائم).

ومنه قول الشاعر:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ — رَكَرَّ الْغَدَاةَ وَمَرَّ الْعَشِيَّ

حيث أسند فعلي أشاب وأفنى إلى كرّ الغداة ومرّ العشي، وهما لا يفعلان ذلك، لكنهما زمانان لما يحدث من تغييرات فيهما بفعل الربّ الخالق، وسنّته في كونه، فالملابسة الظرفية الزمانية"^(٢).

ومنه قول المتنبي:

رماي الدهر بالأرزاء حتى — فؤادي في غشاء من نبال^(٣)
وقد تطرق الألوّسي لهذا النوع من المجاز في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ^ج إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٣٠١/٢).

(٢) المصدر نفسه (٣٠١/٢). "لم أقف على قائل معين للبيت".

(٣) ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م. (١٤١/٣).

(٤) الحج (١).

حيث قال : " والزلزلة التحريك الشديد، والإزعاج العنيف بطريق التكرير، بحيث يزيل الأشياء من مقارها، ويخرجها عن مراكزها، وإضافتها إلى الساعة من إضافة المصدر إلى فاعله، لكن على سبيل المجاز في النسبة، لأن المحرك حقيقة هو الله تعالى "(١).

كما وضح الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٢). حيث قال : " أي صدنا مكرهم بنا في الليل والنهار، فجعل الليل والنهار مأكرين على الإسناد المجازي "(٣).

٣- السببية: مثل (أشابتنا الهموم).

وقد جاء التعبير بطريق المجاز العقلي في إسناد زيادة الإيمان إلى تلاوة الآيات، وإنما هو لله سبحانه، وإسناد الوجل إلى القلوب، وإنما هو إلى أهلها، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٦٧﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤).

فالمجاز العقلي نلاحظه في قول الله تعالى : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، إذ أسند الوجل إلى القلوب، وحقيقة الأمر أنه للإنسان، وهو من باب وصف الكل بصفة البعض، وهذا القول دليل على أن القلب هو مصدر التأثير والإيمان واليقين، وبه تُؤدى جميع العبادات، فوجل القلوب يعني أن توجل على أثره كل الأعضاء، وكذلك القول بالمجاز العقلي؛ لأن الوجل أصله للإنسان، وإنما أسند إلى القلب؛ لأن الإنسان مجموعة تلك الأعضاء، فخوفها هو خوف القلب.

(١) روح المعاني (١٧ / ١١٠).

(٢) سبأ (٣٣).

(٣) روح المعاني (٢٢ / ١٤٥).

(٤) الأنفال (٢-٤).

وفي قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ مجاز عقلي؛ لأنه أسند فعل زيادة الإيمان إلى الآيات، وهي في الحقيقة إلى الله تعالى، وإنما الآيات سبب في هذه الزيادة، ولفظ (الزيادة) يدل على وجود الإيمان في القلب، وتمكنها منه، والآيات تزيد من ذلك^(١).

ويبين الألوسي أن في وصف الرزق بلفظة (كريم) مجاز عقلي: إذ المعنى أن الرازق كريم، فهو لذلك رزق وافر كريم لا ينقطع، كما هي عادة الكرماء، فما بالنا برب الأكرمين. حيث قال الألوسي: "وجعل الرزق نفسه كريماً مجاز عقلي"^(٢).

كما ورد المجاز في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ^(٣).

"ففي قوله تعالى: ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ مجاز عقلي في قوله سبحانه: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ إذ أسند الفيض إلى العين، وهو في الحقيقة لمدمع العين، وعلاقته السببية؛ لأن الفيض حصل بسبب الدمع الغزير، وسره البلاغي يكمن في نقل الفكر من حالة البكاء المعتاد، إلى فيض من عبق مشاعر الإيمان، وقد أوقدته دموع فياضة، فدلّ بذلك على قلوب رقيقة، وخشية شديدة، مما يشير إلى مسارعته لقبول الحق، ولقد جاء التعبير بلفظ الفيض؛ لأنه يدل على امتلاء الإناء أو غيره، حتى يطلع ما فيه"^(٤).

(١) انظر التحرير والتنوير (٢٥٧/٩/٤).

(٢) انظر: روح المعاني (١٦٨/٥).

(٣) المائدة (٨٣-٨٤).

(٤) انظر: الكشاف (٧٠٢/١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٧٩/١)، (٢٨٠).

٤- المصدرية: ومثال ذلك: (جدُّ الجدُّ).

ومنه قول أبي فراس الحمداني:

سيدكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر^١

٥- المفعولية: وذلك حين يأتي اسم الفاعل، والمراد به اسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۖ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ﴾^(٢)، أي: مدفوق.

٦- الفاعلية: حيث يأتي اسم المفعول، ويُراد به اسم الفاعل. كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ

مَأْتِيًا ۖ﴾^(٣)، فمأتي: اسم مفعول، والمراد اسم الفاعل آتٍ^(٤).

يقول الألويسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۖ﴾^(٥)

"والإسناد في "أمر مريج" مجازي كما في "عيشة راضية" مبالغة بجعل المضطرب الأمر نفسه، وهو في الحقيقة صاحبه"^(٦).

قرينة المجاز العقلي:

يحتاج المجاز العقلي إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهذه القرينة إما لفظية، أو غير

لفظية، كاستحالة صدور المسند من المسند إليه، أو استحالة وقوع الفعل من الفاعل.

^(١) ديوان أبي فراس الحمداني، دار صادر، بيروت. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م. (ص ١٦٦).

^(٢) الطارق (٥-٦).

^(٣) مريم (٦١).

^(٤) انظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨)، وخصائص التراكيب (ص ١٠٧).

^(٥) ق (٥).

^(٦) روح المعاني (١٧٥/٢٦).

فمثال الأول قول أبي النجم^(١):

قد أصبحت أمُّ الخيار تدعي	عليّ ذنباً كُلُّهُ لم أصنع
من أن رأيت رأسي كُراسِ الأصلع	مَيَّرَ عنه قُنْزَعًا من قُنْزِع
أفناه قيل الله للشمس: اطلعي	حتّى إذا واركِ أفقُ فارْجعي

"فالشاعر أسند الفعل (ميز) إلى (جذب الليالي) إسنادًا مجازيًا من إسناد الفعل إلى السبب أو الزمن، وقرينة المجاز لفظيّة، فقد أسند فناء شعر الرأس إلى الله ﷻ، فهذا دليل على أن القائل مؤمن متحوز في كلامه، والقرينة لفظيّة مذكورة في الكلام: (أفناه قيل الله للشمس: اطلعي).

القرينة غير اللفظية؛ كقولهم: فتح عمرو بن العاص مصر، فإسناد فتح مصر إلى عمرو مجاز عقلي لعلاقة السببية، والقرينة الاستحالة، إذ يستحيل عادة أن يفتح عمرو بمفرده مصر، وإن أمكن ذلك عقلاً" (٢).

"وُسُمي المجاز عقليًا؛ لأنه يُحتكم فيه إلى العقل؛ لأن إسناد الكلمة إلى أخرى شيء يحصل بقصد المتكلم، وليس هو من واضع اللغة.

فمثلاً في قولهم: (ضرب زيد عمرًا)، أي: الضارب هو زيد، هذا حكم أطلقه المتكلم الذي قصد إثبات الضرب لزيد، وليس في وضع اللغة كذلك" (٣).

(١) الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، المعروف بأبي النجم، من أكابر الرّجّاز في العصر الأموي، وكان ينزل الكوفة، وهو من رجّاز الإسلام الفحول المقدمين، توفي سنة (١٣٠ هـ)، وهذا البيت من أول أرجوزته، وأم الخيار المذكورة زوجته. انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة. (٧٣٧/٢)، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية. (٧٣/٩).

(٢) انظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨).

(٣) الإيضاح (ص ٢٨).

المطلب الثاني المجاز اللغوي

أولاً: المجاز المرسل.

أحد قسمي المجاز اللغوي، وتعريفه:

"ما كانت العلاقة بين ما استُعمل فيه، وما وضع له مُلابسة غير التشبيه"^(١)، أي: هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له في اللغة، لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وقولهم: (غير المشابهة) أرادوا بها أن العلاقة غير المشابهة، كما في قولهم: (اليد للنعمة)، فلفظ يد موضوع لعضو من أعضاء الإنسان معلوم، ولكن لما كانت اليد هي سبب في إعطاء النعمة، وبها تصدر، فأصبحت اليد بمنزلة العلة الفاعلة لها"^(٢).

وسمي مرسلًا "لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة؛ إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يُدعى اتحادها... أو لأنه أرسل أي: أُطلق عن التقييد بعلاقة واحدة"^(٣).
"ولما كان الفارق بين الاستعارة والمجاز المرسل هو جهة العلاقة، فإن للمجاز المرسل علاقات غير المشابهة، وأهمها:

١ - الجزئية: تسمية الشيء باسم جزئه المناسب للمعنى المراد، كالعين تطلق على الرقيب والجالسوس. ومثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْزَنُونَ لِأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(٤).

(١) الإيضاح (ص ٢٤٧).

(٢) انظر: المطول (ص ٥٧٥).

(٣) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية،

١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (ص ١٤٥).

(٤) الإسراء (١٠٩).

ففي قوله تعالى: ﴿لِلأَذْقَانِ﴾: مجاز مرسل؛ لأن الأصل: يخرون على وجوههم، ولكنه عبر بالأذقان، وأراد الوجوه، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل على سبيل المجاز المرسل؛ علاقته الجزئية للمبالغة^(١).

وقد تناول الألوسي ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلًا﴾^(٢) حيث قال: "من الليل أي بعضه. فاسجد أي فصل له ^{وَعَلَّكَ}، على أن السجود مجاز عن الصلاة بذكر الجزء وإرادة الكل"^(٣).

كما تطرق الألوسي لهذا الضرب من المجاز عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٤) حيث قال: "والمراد تراهم مصلين، والتعبير بالركوع والسجود عن الصلاة مجاز مرسل علاقته الجزئية"^(٥).

٢- الكليّة: تسمية الجزء باسم الكل، كما في قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٦)، والمراد أناملهم؛ لأنه لا توضع الإصبع كاملة في الأذن.

٣- السببية: تسمية الشيء باسم سببه، كما في قولهم: (رعينا الغيث)^(٧)، أي النبات، فسُمّي النبات غيثًا لأنه سبب النبات. يقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾^(٨) "والمراد بمس سقر ألمها على أنه مجاز مرسل عنه بعلاقة السببية؛ فإن مسّها سبب للتألم بها"^(٩).

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٤٧)، والبرهان في علوم القرآن (٢/٢٦٦).

(٢) الإنسان (٢٦).

(٣) روح المعاني (٢٩/١٦٦).

(٤) الفتح (٢٩).

(٥) روح المعاني (٢٦/١٢٤).

(٦) البقرة (١٩).

(٧) انظر الإيضاح (ص ٢٤٩).

(٨) القمر (٤٨).

(٩) روح المعاني (٢٧/٩٣).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾^(١) يقول الألوسي: "أولي الأيدي والأبصار أي أولي القوة في الطاعة، والبصيرة في الدين، فالأيدي مجاز مرسل عن القوة، والعلاقة السببية"^(٢).

٤ - المسببية: تسمية السبب باسم المسبب، نحو: أمطرت السماء نباتاً، فذكر النبات، وأريد الغيث؛ لأن الغيث سبب النبات^(٣). وقد تناول الألوسي ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) حيث قال: "فالذي رزقنا مجاز مرسل عن جزائه بإطلاق اسم المسبب على السبب"^(٥).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾^(٦) يقول الألوسي: "والنار مجاز عن الضلال، من باب إطلاق اسم المسبب على السبب"^(٧).

كما وردت علاقة المسببية عند تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٨) حيث علّق الألوسي بقوله: "أتقتلون رجلاً، أي أتقصدون قتله، فهو مجاز ذكر فيه المسبب وأريد السبب"^(٩).

(١) ص (٤٥).

(٢) روح المعاني (٢٣/٢١٠).

(٣) انظر الإيضاح (ص ٢٥٠).

(٤) البقرة (٢٥).

(٥) روح المعاني (١/٢٠٤).

(٦) الزمر (١٩).

(٧) روح المعاني (٢٣/٢٥٤).

(٨) غافر (٢٨).

(٩) روح المعاني (٢٤/٦٤).

٥ - اعتبار ما كان: تسمية الشيء باسم ما كان عليه، كما في قوله تعالى:

﴿وَأَتُوا اللَّيْتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١)، أي: الذين كانوا يتامى^(٢).

٦ - اعتبار ما يكون: وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، كتسمية العنب خمرًا، كما في قوله

تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^{(٣)(٤)}.

٧ - المحلّة: تسمية الشيء باسم محلّه، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٥). أي أهل ناديه^(٦).

وقد وردت هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾^(٧) يقول الألوسي: "وكأين من قرية، أي أهل قرية، حيث أطلق المحل وأريد الحال مجازًا"^(٨).

الحالّة: إطلاق اسم الحال على المحل كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ لَكُمُ الْوَقْعُ﴾^(٩) ^(١٠) هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

(١) النساء (٢).

(٢) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٣) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٤) يوسف (٣٦).

(٥) العلق (١٧).

(٦) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٧) محمد (١٣).

(٨) روح المعاني (٤٦/٢٦).

(٩) آل عمران (١٠٧).

(١٠) الإيضاح (ص ٢٥١).

الآلية: وهي تسمية الشيء باسم آله، كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١)، أي ذكرًا حسنًا، فأطلق اسم الآلة، وهو اللسان على الذكر^(٢).
وترتقي أنواع العلاقة إلى خمسة وعشرين^(٣).
"ويحقق المجاز المرسل بلاغة عظيمة في الكلام، فهو يوسّع اللغة، ويساعد على الافتنان في التعبير، كما أن المجاز أخفّ من الحقيقة على اللسان، ويفيد المبالغة في المعنى، ويحقق الإيجاز في العبارة"^(٤).

(١) الشعراء (٨٤).

(٢) الإيضاح (ص ٢٥١).

(٣) انظر: المطول (ص ٥٧٥-٥٧٨)، وانظر: القرآن والصورة البيانية (ص ١٥٥-١٧٠).

(٤) انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف: الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(ص ١٥٧).

ثانياً: الاستعارة:

الاستعارة لغة:

يقال: "أعار الشيء إعارةً، وعاره: أعطاه إياه عارية"^(١).

الاستعارة اصطلاحاً:

"أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف، تدل الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون كالعارية"^(٢)، "وهذا المعنى الذي توصل إليه عبد القاهر قد فتق قرائح العلماء المحدثين على استنباط المعنى الاصطلاحي بدقّة متناهية، قولهم: إنها استعمال اللفظ في غير ما وُضع له؛ لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي"^(٣)، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"^(٤).

كما بيّن ابن الأثير بيان العلاقة بين الاستعارة الحقيقية والمجازية، حيث قال: "إن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه"^(٥).

(١) انظر: المعجم الوسيط (١٨١/٢).

(٢) أسرار البلاغة (ص ٣٠). وقوله (لفظ) الأصل أنه أراد به المشبّه به. ولقد سبق عبد القاهر إلى تعريفها بمثل ذلك أبو

هلال العسكري في كتاب الصناعتين. انظر (ص ٢٦٨).

(٣) أي الأصل اللغوي المأخوذ منه لفظ (استعارة).

(٤) انظر: علم البيان (ص ١٦٩) للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٥) المثل السائر (١/ ٣٤٧)، وانظر: كتاب الطراز (١/ ١٠٤)، وهو - أي ابن الأثير - الذي أوحى إلى المحدثين بتعريف

الاستعارة أنها: "مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من حيازة شخص إلى شخص آخر، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، والإلصاق به، وبهذا المعنى كانت ذات صلة بالمعنى الاصطلاحي الذي عرفت به لدى علماء البلاغة، لما في نقل اللفظ من معنى عرف به في أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ؛ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه، وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ".

والاستعارة: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدّعيًا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالًّا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخص المشبّه به"^(١).

يقول الحموي: "ولا بد أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها، لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها، ولا يخفى على أهل الذوق أن قوله تعالى (واشتعل الرأس شيبًا) أبلغ من (كثر شيب الرأس)، وهو حقيقة. ولا بدّ للاستعارة من مستعار منه، ومستعار، ومستعار له، فالنار مستعار منها، والاشتعال مستعار، والشيب مستعار له.

ولا تحسن الاستعارة إلا إذا كان التشبيه مقررًا، وكلما زاد التشبيه خفاءً زادت الاستعارة حسنًا، وما أحسن قول ذي الرمة هنا:

أقامت بها حتى ذوى العودُ في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجرُ^٢

فاستعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظه مخرج التشبيه"^(٣).

وما أروع قول المتنبي:

فلا تنلّك الليالي إن أيديها إذا ضربن كسرَن النبع بالغرب^(٤)

حيث جعل لليالي أيادي على سبيل الاستعارة المكنية.

وما أجمل قول المتنبي أيضًا:

في الخد أن عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد به الحدودُ محولا^(٥)

حيث حذف المشبه (الدموع)، واستعار لها لفظ المشبه به (المطر)، فالاستعارة تصريحية.

(١) مفتاح العلوم (ص ٤٧٧).

(٢) ديوان ذي الرمة، صححه: كارليل هنري، طبع كلية كمبريج. ١٩١٩م. (ص ٢٠٧).

(٣) خزائن الأدب (١/١١٠).

(٤) ديوان المتنبي (١/٢٢٣).

(٥) ديوان المتنبي (٣/٣٤٩).

" .. فكل استعارة حسنة فهي تُوجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة لكانت أولى به، ولم تجز الاستعارة. وكل استعارة فلا بد لها من حقيقة، وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، كقول امرئ القيس في صفة الفرس: (قيد الأوبد)، والحقيقة فيه: مانع الأوبد، وقيد الأوبد أبلغ وأحسن. وكقولك: ميزان القياس، حقيقته تعديل القياس، والاستعارة فيه أبلغ وأحسن، فكل استعارة لا بد لها من حقيقة، ولا بد من بيان لا يفهم بالحقيقة.."^(١).

وأما الغرض من الاستعارة: فمنه "شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، وتأكيد المبالغة فيه، والإشارة إليه بالقليل من اللفظ، وتحسين المعرض الذي يبرز فيه"^(٢). وبهذه الأوصاف تبلغ فائدة الحقيقة، وتزيد عليها بزيادة فائدة، وهي إثارة النفس، وإلهاب الذهن والفكر لطلب المعنى، وهو مما يجعل المعنى بالنفس ألصق وألزم، ولطلبه أدوم.

ولقد أضاف عبد القاهر - إلى ما سبق - ما يفصح عن أسرار جمال الاستعارة، وأثرها في نظم الكلام، حيث يقول: "هي أمدّ ميداناً، وأشدّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعةً، وأبعد غوراً، وأذهب نَجْدًا في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شُعَبَهَا وشُعُوبَهَا، وتُحصر فنونها وضروبها..."^(٣)، أراد بذلك أن الغرض من الاستعارة: هو المبالغة في بيان الصورة، واستجلاء معانيها بمظهر جميل خلابٍ، له أثره في توضيح المعنى، وإثارة الخيال، مما يسهم في تعلُّق المعنى بالنفس. ومن خصائصها المميزة لها - أي للاستعارة - أنها تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من المعنى الواحد كثيراً من المعاني، مما يجعلها تغاير ألوان علم البيان الأخرى، وإن كانت لا تفوقها، ولكن يظل للاستعارة مكانتها المتألقة.

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٦).

(٢) كتاب الصناعتين (ص ٢٦٨).

(٣) أسرار البلاغة (ص ٤٢).

"هذا وإن كانت الاستعارات القرآنية الكريمة قد وقعت في الألفاظ المفردة والمركبة؛ فإنها كذلك قد وقعت في الحروف، ويقوم ذلك على أن الكلمة منفردة لا تؤدي معنى، ولا تفني بغرض إلا إذا ضمت إلى أخواتها"^(١)، وهذه النظرية المعروفة، والتي كان رائدها الشيخ عبد القاهر؛ كان لها جذور لدى الزجاجي^(٢) حيث يقول: "... فإنك سألتني أن أضع لك كتاباً أشرح لك فيه جميع معاني الحروف، وعلى كَم وجه يتصرّف الحرف فأجبتك إليه"^(٣)، فالزجاجي: "يذكر استعمالات الحرف المختلفة في تراكيب مختلفة، ثم يذكر دلالاته في كل تركيب"^(٤)، وهذا يدل على أن معاني الحروف متعددة كذلك، بحسب السياق الذي تأتي فيه، وهو ما يطلق عليه الاستعارة المكنية.

"ومما يكسب الاستعارة مكانة في علم البيان، ويعطيها قيمة ومزيد فضل تعدد أنواعها، ودقة الفروق فيما بينها. فمن أنواعها المكنية، والتصريحية، والتهكمية، والعنادية"^(٥)، ومن شواهد الاستعارة قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦).

ففي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ وردت عدة أقوال في الاستعارة في الآية الكريمة، ولكل من هذه الأقوال حظّه من الوجاهة، فمن ذلك قيل ما يلي..

١ - "هناك استعارة تمثيلية تصريحية: حيث التعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾، وهي إحدى لوازم الركوب، تبين الهيئة المشبّه بها على وجه الإيجاز، والتقدير: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾. والملاحظ أن هذا

(١) دلائل الإعجاز (ص ٣٨٦).

(٢) عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، تلميذ الزجاج، وإليه نسب، وأخذ عن أبي جعفر الطبري، درس في جامع بني أمية في دمشق. له من التصانيف: الجمل في النحو، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي بطبرية سنة ٣٤٠ هـ. انظر: الفهرست، لمحمد بن إسحق النديم، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. (ص ١١٨).

(٣) كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ (ص ١).

(٤) كتاب حروف المعاني (ص ٢٥).

(٥) ولمعرفة تفاصيل هذه الأنواع انظر: علم البيان (ص ١٦٩) وما بعدها للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٦) البقرة (٥).

الأسلوب قد صُرِّح فيه ببعض المركَّب الدال لا جميعه"^(١). "بل شبّه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه، بقرينة التمكن في كلّ، والاستعارة واقعة في الحرف أولاً، ثم في متعلّق معناه، ثم سرت إلى الحرف نفسه بتبعيته، وبما أن الاستعارة في الحرف فهي تبعيّة، ولإطلاق اسم المشبه به على المشبه فهي استعارة أصلية"^(٢).

٢- أن تكون الاستعارة تبعيّة مقيّدة: "بأن شبّه التمسك بالهدى عند المتّقين بالتمكّن من الدابة للراكب، واكتسب الحرف (على) معنى التشبيه"^(٣).

٣- أن تكون استعارة تبعيّة مفردة: "وهي كذلك؛ لأنه شبّه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار، فاستعير الحرف الموضوع للاستعلاء (على) لما يماثله دلالة على التمكن، ومثاله: هو على الحق، وعلى الباطل"^(٤). "ولذلك جعلها الطاهر بن عاشور أقل بلاغة من التمثيلية؛ لأنها لا تفيد إلا تشبيه التمكن بالاستعلاء على المقدّر، ثم تستفاد المعاني الأخرى من التقييد"^(٥).

٤- أنها استعارة تمثيلية: لأن منزع تشبيه التمثيل فيها واضح؛ "فقد شبّه مجموع هيئة المتقين في اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب، فشبهت حالة بحالة أخرى، وحذف لفظ المشبه به، وهو المركب الدال على الركوب، وتقديره: راكبين مطيّة الهدى، ودلّ بشيء من لوازمه، وهو (على) الذي يدل على الركوب والتمكن والاستعلاء آخذين بناصيته، فأصبح لهم طريقاً عليه يسرون"^(٦). والله أعلم.

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م. (٣٢/٢)، وروح المعاني (١/١٢٤)، والتحرير والتنوير (١/١/٢٤٢، ٢٤٣).

(٢) انظر: حاشية زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين شيخ زاده، دار صادر، بيروت. (١/١٠٢).

(٣) انظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٨١).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم (١/٤٨)، وروح المعاني (١/١٢٤).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (١/١/٢٤٤).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١/١/٢٤٥).

٥ - استعارة مكنية مفردة: "فقد شبّه الهدى بمركوب، وحرف الاستعلاء قرينة دالة على ذلك، حيث شبّه الجهل والهوى بالمطيّة، وأثبت لهما ما يلزم المشبّه به، وهو الامتطاء والغارب على سبيل التخيل، ورشح بذكر الاقتعاد الملائم للمشبه به، أي كونهم على الهدى بمعنى تمكنهم منه، واستقرارهم عليه، إنما يحصل باستفراغ الفكر، وإدامة النظر فيما نصب من الحجج؛ ليحصل كمال القوة النظرية، وبالمواظبة على محاسبة النفس في العمل ليحصل كمال القوة العملية في كونهم على الهدى: تمكنهم بموجب الدليل؛ لأن الواجب على المتمسك بالدليل أن يدوم على ذلك، ويتحرس من المطاعن والشبه، فكأنه - سبحانه وتعالى - لما مدحهم بالإيمان بما أنزل إليهم أولاً، مدحهم بالإقامة على ذلك، والمواظبة على الحراسة من الشبه ثانياً، وذلك واجب على الخلق؛ لأنه إذا كان مشدداً في الدين خائفاً وجلالاً، فلا بد أن يحاسب نفسه في علمه وعمله، ويتأمل حاله، فإذا حرس نفسه بما فيها من الإخلال به، كان ممدوحاً بأنه على هدى وبصيرة"^(١).

وأرجّح رأي من قال بأنها استعارة مكنية، بناءً على ما ورد من تعريفها في اصطلاح البلاغيين، مما أكسب المعنى قوةً ووضوحاً لأداء المعنى؛ فحذف المشبه به وهو المطيّة، وإبقاء أخص لوازمه، وهو قوله سبحانه: (على) يدل على تمكّن الراكب من الامتطاء، وقدرته على التحكّم به، والبقاء على مركوبه، وهو ما ذكره محيي الدين زاده آنفاً، وكذلك فإن في حذف المشبّه به على أي تقدير كان بلاغة في تقدير المعنى، لأنه قد تمتطى المركوبات، ولكن الراكب لا يستطيع الركوب والتحكّم في المركوب، والإبقاء على ذلك.

وقرينة هذه الاستعارة تخيلية؛ مما يجعل صور المعاني تتداعى في الذهن وتتزاحم؛ حيث يتصور أن الهدى أصبح مما يمكن امتطاؤه، ومع هذا فقد حذف المشبه به وهو ما يمتطى، ثم جعل المشبه وهو الدين الإسلامي (الهدى) من قبيل الكائنات الحيّة التي تمتطى، مما جعل للخيال دوراً في إثباته

(١) حاشية زاده (١٠٣/١)، وانظر: إرشاد العقل السليم (٤٨/١)، والتحرير والتنوير (٢٤٣/١/١).

وتصوّر هيئته، وأن هؤلاء المتّقين متمكنون منه، ثم ازداد الطريق وضوحًا بأن قال: هم المفلحون، فدلّ على منتهى بلوغهم الغاية في مركوبهم.

"و سر التعبير بـ(على) دون غيرها: فيه دلالة الاستعلاء بالحق والهدى، وأيضًا الثبات على ذلك الحق وهديه واستقامته، ولكن التعبير بغيره من الأحرف مثل (في) فدلالته على الانغماس الذي يظهر في قوله -تعالى- عن الكافرين: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٢). فدلّت على الانغماس والانقمار في مهاوي الهلاك؛ لأنها في جانب الكفار وأهل الضلال، فالحرف (على) أفاد علو شأن أهل الحق، والحرف (في) دلّ على تسفّل أهل الكفر أسفل سافلين"^(٣).

أما بلاغة الاستعارة، "فإنها تأخذ بناصية المعنى، وتجعله مرتبطًا بما هو أقوى في ظهور الحجّة، وأبين في بيان المراد؛ بحيث لا مجال للاختلاف عليه، والمحاكاة دونه، لهذا كان للاستعارة هنا فضل على الحقيقة، وهذا هو أحد أغراضها"^(٤).

جهود الألوسي في الاستعارة:

لقد تناول الألوسي الاستعارة بشيء من التفصيل، وبمزيد من الإيضاح؛ وذلك لما تمثّله الاستعارة في إبراز الصورة الفنية الرائعة التي تزخر بها الآيات القرآنية..

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(٥)

(١) التوبة (٤٥).

(٢) الشورى (١٤).

(٣) انظر: حاشية زاده (٢٤٣/١/١).

(٤) انظر: كتاب الصناعتين (ص ٢٦٨).

(٥) مريم (٤).

يقول الألوسي: "شَبَّه الشَّيْبَ فِي الْبَيَاضِ وَالْإِنَارَةَ بِشَوَاطِئِ النَّارِ، وَانْتِشَارَهُ فِي الشَّعْرِ، وَنَشْوَهُ فِيهِ، وَأَخَذَهُ مِنْهُ كُلُّ مَا أَخَذَ بِاشْتِعَالِهَا، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الْإِسْتِعَارَةِ، فَفِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَتَانِ: تَصْرِيحِيَّةٌ تَبْعِيَّةٌ فِي اشْتِعَالِ، وَمُمَكِّنِيَّةٌ فِي الشَّيْبِ"^(١).

".. وَأَصْلُ الْإِسْتِعَارَةِ لِلنَّارِ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَبْلَغُ، وَحَقِيقَتُهُ كَثْرَةُ شَيْبِ الرَّأْسِ، إِلَّا أَنَّ الْكَثْرَةَ لَمَّا كَانَتْ تَتَزَايَدُ تَزَايِدًا سَرِيعًا صَارَتْ فِي الْإِنْتِشَارِ وَالْإِسْرَاعِ كَاسْتِعَالِ النَّارِ.. وَلَهُ مَوْقِعٌ فِي الْبَلَاغَةِ عَجِيبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ انْتَشَرَ فِي الرَّأْسِ انْتِشَارًا لَا يَتَلَاوِي، كَاسْتِعَالِ النَّارِ.."^(٢).

يقول عبد القاهر معلِّقًا على هذه الآية، مبيِّنًا أَنَّهُا تَشْمَلُ كَثِيرًا مِنَ الصُّوَرِ الْبَلَاغِيَّةِ غَيْرِ صُورَةِ الْإِسْتِعَارَةِ: "إِنَّكَ تَرَى النَّاسَ إِذَا ذَكَرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى (وَاسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) لَمْ يَزِيدُوا فِيهِ عَلَى ذِكْرِ الْإِسْتِعَارَةِ، وَلَمْ يَنْسُبُوا الشَّرْفَ إِلَّا إِلَيْهَا، وَلَمْ يَرَوْا لِلْمِزْيَةِ مُوجِبًا سِوَاهَا، هَكَذَا تَرَى الْأَمْرَ فِي ظَاهِرِ كَلَامِهِمْ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا هَذَا الشَّرْفُ الْعَظِيمُ، وَلَا هَذِهِ الْمِزْيَةُ الْجَلِيلَةُ، وَهَذِهِ الرُّوْعَةُ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى النُّفُوسِ عِنْدَ هَذَا الْكَلَامِ لِمَجَرَّدِ الْإِسْتِعَارَةِ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُ سُلِكَ بِالْكَلامِ طَرِيقٌ مَا يَسْنَدُ الْفِعْلَ فِيهِ إِلَى الشَّيْءِ، وَهُوَ لِمَا هُوَ مِنْ سَبَبِهِ، فَيُرْفَعُ بِهِ مَا يَسْنَدُ إِلَيْهِ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي الْفِعْلُ لَهُ فِي الْمَعْنَى مَنْصُوبًا بَعْدَهُ مَبِينًا أَنَّ ذَلِكَ الْإِسْنَادَ وَتِلْكَ النِّسْبَةَ إِلَى ذَلِكَ الْأَوَّلِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الثَّانِي، وَلَمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنَ الْإِتِّصَالِ وَالْمَلَابَسَةِ، كَقَوْلِهِمْ: طَابَ زَيْدٌ نَفْسًا، وَقَرَّ عَمْرُو عَيْنًا، وَتَصَبَّبَ عَرَقًا، وَكُرِّمَ أَصْلًا، وَحُسِّنَ وَجْهًا، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِمَّا تَجَدُّ الْفِعْلُ فِيهِ مَنْقُولًا عَنِ الشَّيْءِ إِلَى مَا ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْ سَبَبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اشْتِعَالَ الشَّيْبِ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ هُوَ لِلرَّأْسِ فِي اللفظِ، كَمَا أَنَّ طَابَ لِلنَّفْسِ، وَقَرَّ لِلْعَيْنِ، وَتَصَبَّبَ لِلْعَرَقِ، وَإِنْ أُسْنَدَ إِلَى مَا أُسْنَدَ إِلَيْهِ يُبَيِّنُ أَنَّ الشَّرْفَ كَانَ لِأَنَّ سُلُوكَ فِيهِ هَذَا الْمَسْلَكِ، وَتُوَخَّيَ بِهِ هَذَا الْمَذْهَبُ أَنَّ تَدَعَى هَذَا الطَّرِيقَ فِيهِ، وَتَأْخُذَ اللفظَ

(١) روح المعاني (٦٠/١٦).

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٨).

فُتْسِنْدِه إِلَى الشَّيْبِ صَرِيحًا، فتقول: اشتعل شيبُ الرأسِ، والشَّيْبُ في الرأسِ، ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة، وهل ترى الرُّوعَةَ التي كنت تراها؟!.. فإن قلت: فما السَّبَبُ في أن كان اشتعل إذا استعير للشَّيْبِ على هذا الوجه كان له الفضل، ولم يأنَّ بالمرَّة من الوجه الآخر هذه البينونة؟ فإنَّ السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس -الذي هو أصل المعنى- الشُّمولَ، وأنه قد شاع فيه وأخذ من نواحيه، وأنه قد استغرقه وعمَّ جملة حتى لم يبقَ من السَّواد شيء، أو لم يبقَ منه إلَّا ما لا يُعتدُّ به، وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شيبُ الرأسِ، أو الشَّيْبُ في الرأسِ؛ بل لا يُوجبُ اللفظ حينئذٍ أكثرَ من ظهوره فيه على الجملة..^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾^(٢).

يقول الألوسي: "وفي الكلام استعارة تمثيلية، بأن شُبِّهت الحالة الحاصلة للمؤمنين من استظهارهم بأحد ما ذكر، ووثوقهم بحمايته، بالحالة الحاصلة من تمسُّك المتدلي من مكان رفيع بجبل وثيق، مأمون الانقطاع، من غير اعتبار مجاز في المفردات، واستعير ما يُستعمل في المشبَّه به من الألفاظ للمشبَّه.. وقد يكون في الكلام استعارتان مترادفتان؛ بأن يُستعار الجبل للعهد مثلاً استعارة مصرَّحة أصليَّة، والقرينة الإضافة، ويُستعار الاعتصام للوثوق بالعهد والتمسك به على طريق الاستعارة المصرَّحة التبعية"^(٣).

(١) دلائل الإعجاز (ص ١٠٠).

(٢) آل عمران (١٠٣).

(٣) روح المعاني (١٩/٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)

يقول الألوسي : "في العروة استعارة تصريحية، واستمسك ترشيح لها"^(٢).

"وهنا نجدنا أمام صورة حسية لحقيقة شعورية، ولحقيقة معنوية.. إنَّ الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبداً، إنها متينة لا تنقطع، ولا يضلّ الممسكُ بها طريق النجاة، إنها موصولة بمالك الهلاك والنجاة.. والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود، حقيقة الله، واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنّه الله لهذا الوجود، وقام به هذا الوجود. والذي يمسك بعروته يمضي على هدى إلى ربّه؛ فلا يرتطم، ولا يتخلّف، ولا تتفرّق به السبل، ولا يذهب به الشرود والضلال"^(٣).

وفي قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤) يقول الألوسي : "وفي شهد مسنداً إلى الله تعالى استعارة تصريحية تبعية؛ لأن المراد أنه سبحانه دلّ على وحدانيته، بل وسائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وما نصبه من الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس، وبما أوحى من آياته الناطقة بذلك كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما، فشبهه سبحانه تلك الدلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان والكشف، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه، ثم سرت الاستعارة من المصدر إلى الفعل"^(٥).

(١) البقرة (٢٥٦).

(٢) روح المعاني (١٤/٣).

(٣) في ظلال القرآن (٢٩٢/١).

(٤) آل عمران (١٨).

(٥) روح المعاني (١٠٤/٣).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَايَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) ثُمَّ لَا تَيَسَّرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٢) يقول الألوسي: "أي لا تيسرهم من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها، والمراد لأسوّل لهم، ولأضلّهم بقدر الإمكان، إلا أنه شبّه حال تسويله ووسوسته لهم كذلك بحال إتيان العدو لمن يعاديه من أي جهة أمكنته، فالكلام من باب الاستعارة التمثيلية" (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٤) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ (٥) خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ (٦). يقول الألوسي مبيّنًا الاستعارة ومجربًا لها: "أي يحمل عقوبة ثقيلة على إعراضه وسائر ذنوبه، والوزر في الأصل يطلق على معنيين: الحمل الثقيل، والإثم، وإطلاقه على العقوبة نظرًا إلى المعنى الأول على سبيل الاستعارة المصّرحة، حيث شُبّهت العقوبة بالحمل الثقيل، ثم استعير لها بقرينة ذكر يوم القيامة، (وساء لهم يوم القيامة حملاً) ترشيح له" (٧).

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٨). يقول الألوسي: "والنقض فسخ التركيب، وأصله يكون في الحبل، ونقيضه الإبرام، وفي الحائط ونحوه، ونقيضه البناء، وشاع استعمال النقض في إبطال العهد - كما قال الزمخشري - من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة؛ لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمز بذكر شيء من روافده، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، نحو قولك: عالم يغترف منه الناس، وشجاع يفترس أقرانه.

(١) الأعراف (١٦-١٧).

(٢) روح المعاني (٩٥/٨).

(٣) طه (٩٩-١٠١).

(٤) روح المعاني (٢٥٩/١٦).

(٥) البقرة (٢٧).

والحاصل أن في الآية استعارة بالكناية، والنقض استعارة تحقيقية تصرّحية، حيث شبه إبطال العهد بإبطال تأليف الجسم، وأطلق اسم المشبه به على المشبه، لكنها إنما جازت وحسنت بعد اعتبار تشبيه العهد بالهبل، فبهذا الاعتبار صارت قرينة على استعارة الهبل للعهد^(١).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَّقْبُوضَةً﴾^(٢).

"على سفر: أي مسافرين، ففيه استعارة تبعية؛ حيث شبه تمكنهم في السفر بتمكن الراكب من مركوبه"^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾^(٤) يقول الألوسي: "وأصل الإحساس الإدراك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وقد استعير هنا استعارة تبعية للعلم بلا شبهة"^(٥).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾^(٦) "يعني الفسقة؛ لأنهم يدورون مع شهوات أنفسهم من غير تحاشٍ عنها، فكأنهم باخماكهم فيها أمرتهم الشهوات باتباعها؛ فامثلوا أمرها واتبعوها، فهذا استعارة تمثيلية"^(٧).

(١) روح المعاني (١/٢١٠).

(٢) البقرة (٢٨٣).

(٣) روح المعاني (٣/٦٢).

(٤) آل عمران (٥٢).

(٥) روح المعاني (٣/١٧٤).

(٦) النساء (٢٧).

(٧) روح المعاني (٥/١٤).

ويقول الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١) "في قوله تعالى (أقرضتم) استعارة؛ لأنه - سبحانه - لما وعد بجزائه والثواب عليه شبه بالقرض الذي يقضى بمثله، وفي كلام العرب قديماً: (الصالحات قروض)، فالاستعارة تصريرية تبعية"^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِقَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٣) يقول الألوسي: (أفرغ علينا صبراً) أي أفض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صب علينا ما يطهرنا من الآثام، وهو الصبر على وعيد فرعون، فأفرغ على الأول استعارة تبعيةً تصريرية، و صبراً قرينتها، والمراد هب لنا صبراً تاماً كثيراً، وعلى الثاني يكون صبراً استعارة أصليّة مكنية، وأفرغ تخيلية"^(٤).

وقد تناول الألوسي الاستعارة المكنية بشيء من التفصيل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^(٥).

حيث قال: "الإيضاع سير الإبل، يقال أوضعت الناقة تضع إذا أسرع، وأوضعتها أنا إذا حملتها على الإسراع، والخلال جمع خلل وهو الفرجة"^(٦) استعمل ظرفاً بمعنى بين، ومفعول الإيضاع مقدّر أي النائم بقرينة السياق، وفي الكلام استعارة مكنية؛ حيث شُبّهت النائم بالركائب في

(١) المائدة (١٢).

(٢) روح المعاني (٨٨/٦).

(٣) الأعراف (١٢٦).

(٤) روح المعاني (٢٨/٩).

(٥) التوبة (٤٧).

(٦) انظر لسان العرب (٣٢٧/١٥) مادة وضع، و(١٩٩/٤) مادة خلل.

جربانها وانتقالها، وأثبت لها الإيضاح على سبيل التخييل، والمعنى ولسعوا بينكم بالنميمة، وإفساد ذات البين" (١).

كما تناول الألوسي الاستعارة في تفسيره لقول الحق ﷻ: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (٢).

فقال: "وهي استعارة مكنية تهكمية للضد وهو الماء، وفي قرينتها احتمالات كما شاع في ينقضون عهد الله، وعلى احتمال المجاز يكون الإيراد مستعاراً استعارة تبعية لسوقهم إلى النار، ويجوز أن يقال: إنه شبه فرعون بالفارط، وهو الذي يتقدم القوم للماء (٣) ففيه استعارة مكنية، وجعل أتباعه واردة، وإثبات الورود لهم تخييل" (٤).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥١﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

"فالكفر بمعنى كفران النعمة، واللام لام العاقبة والصيرورة، وهي استعارة تبعية؛ فإنه لما لم ينتج كفرهم وإشراكهم غير كفران ما أنعم الله تعالى به عليهم جعل كأنه علّة غائبة له، مقصودة منه" (٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ (٧). قال الألوسي: "أي إلى أن جعلناهم بمنزلة النبات المحصود، والنار الخامدة في الهلاك، وفي ذلك

(١) روح المعاني (١٠/١١٢).

(٢) هود (٩٧-٩٨).

(٣) لسان العرب (١٠/٢٣٤) مادة فرط.

(٤) روح المعاني (١٢/١٣٤).

(٥) النحل (٥٤-٥٥).

(٦) روح المعاني (١٤/١٦٦).

(٧) الأنبياء (١٥).

استعارتان بلفظ واحد، وهو ضمير جعلناهم؛ حيث شبه بالنبات والنار، وأفرد بالذكر، وأريد به المشبه بهما، أعني النبات والنار ادعاءً بقرينة أنه نسب إليه الحصاد الذي هو من خواص النبات، والخمود الذي هو من خواص النار، ولا يجعل من باب التشبيه مثل هم (صم بكم عمي)؛ لأن جمع حامدين جمع العقلاء ينافي التشبيه، إذ ليس لنا قوم حامدون يعتبر تشبيه أهل القرية بهم، إذ الخمود من خواص النار، بخلاف الصمم مثلاً، فإنه يجعل بمنزلة هم كقولهم صم، وكذا يعتبر حصيداً بمعنى محصودين على استواء الجمع والواحد في فعليل بمعنى مفعول، ولكن يجوز تشبيه هلاك القوم بقطع النبات وخمود النار، فيكون استعارة تصريحية تبعية في الوصفين^(١).

كما تناول الألوسي الاستعارة في تفسيره لقوله **وَكَلَّ:** ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٢). حيث قال: "أي أهدي لهم ذلك، وكأنه شبه إعداد النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية تهكمية، وليس هناك تقطيع ولا ثياب حقيقة، وكأن جمع الثياب للإيدان بتراكم النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض"^(٣).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(٤) إذا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا "وهذا على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاز وزفيره، وفيه استعارة تصريحية أو مكنية، فتصريحية في تشبيه صوت السعير بصوت المغتاز وزفيره، واستعير اللفظ الدال على المشبه به إلى المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية. أما

(١) روح المعاني (١٧/١٧).

(٢) الحج (١٩).

(٣) روح المعاني (١٧/١٣٤).

(٤) الفرقان (١١-١٢).

المكنية فشُبِّهَت السعير بشخص مغتاض، وحُذِفَ المشبَّه به، وُزِمَز إليه بشيء من لوازمه، وهو التغيُّظ^(١).

ومن جهود الألوسي في الاستعارة تناوله لها في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَلَّيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٢).

حيث يقول: "وأصل السلخ كشط الجلد على نحو الشاة، فاستعير لكشف الضوء عن مكان الليل وملقى ظلمته وظله استعارة تبعية مصرَّحة، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر، فإنه يترتَّب ظهور اللحم على كشط الجلد، وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل"^(٣).

كما تناول الألوسي الاستعارة التصريحية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤). فقال: "وفيه استعارة مصرَّحة بتشبيه العقل بالحياة، وفيه أيضاً استعارة مصرَّحة؛ لتشبيه الإيمان بالحياة"^(٥).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦). يقول الألوسي: "شَبَّه ما استحقَّوه بأعمالهم الحسنة من الجنة ونعيمها الباقي لهم بما يخلفه المرء لوارثه من الأملاك والأرزاق، ويلزمه تشبيه العمل نفسه بالمورث (اسم فاعل)، فاستعير الميراث لما استحقَّوه، ثم اشتق أورثتموها، فيكون هناك استعارة تبعية"^(٧).

(١) انظر روح المعاني (٢٤٣/١٨).

(٢) يس (٣٧).

(٣) روح المعاني (١٠/٢٣).

(٤) يس (٧٠).

(٥) روح المعاني (٤٩/٢٣).

(٦) الزخرف (٧٢).

(٧) روح المعاني (١٠١/٢٥).

ويقول الألوسي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَتُمْهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(١). " (أوزارها) أي آلاتها وأثقالها من السلاح وغيره. قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسج داود موضونة تساق مع الحيي عيراً فعيرا^٢

وهي في الأصل الأحمال، فاستعيرت لما دُكر استعارة تصريرية، ويجوز أن يكون في الحرب استعارة مكنية، بأن تُشَبَّه بإنسان يحمل حملاً على رأسه، أو ظهره، ويثبت لها ما أُثبت تخيلاً^(٣). وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(٤) يقول الألوسي: "أي في جهنم: أي سمعوا كائنًا لها شهيقًا، أي صوتًا كصوت الحمير، وهو حسيسها المنكر الفظيع، ففي ذلك استعارة تصريرية"^(٥).

يقول الرماني: "وفي قوله تعالى (سمعوا لها شهيقًا).. شهيقًا حقيقة صوتًا فظيعًا كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه، وأوجز، والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت.. وقوله: "تميز من الغيظ" حقيقة: من شدة الغليان بالانتقاد، والاستعارة أبلغ منه، لأنَّ مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس، مُدرك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام، فقد اجتمع شدة في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعل، وفي ذاك أعظم الزجر، وأكبر الوعظ، وأدل دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة..^(٦)

(١) محمد (٤).

(٢) ديوان الأعشى، شرح: إبراهيم جزيني. (ص ٩٠).

(٣) روح المعاني (٤١/٢٦).

(٤) الملك (٧).

(٥) روح المعاني (١٠/٢٩).

(٦) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٧).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١).
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمْنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِئِينَ

"(ليكون لهم عدوًا وحزنًا) فيه استعارة تهكمية ضرورة أنه لم يدعهم للاتقاط أن يكون لهم عدوًا وحزنًا، وإنما دعاهم شيء آخر كالتبني، ونفعه إياهم إذا كبر، وفي تحقيق ذلك أقوال، الأول: أن يشبه كونه عدوًا وحزنًا بالعلة الغائبة كالتبني والنفع تشبيهًا مضمراً في النفس، ولم يصرح بغير المشبه، ويدل على ذلك بذكر ما يخص المشبه به، وهو لام التعليل، فيكون هناك استعارة مكنية أصلية في المجرور، واللام على حقيقتها.

الثاني: أن يشبه أولاً ترتب غير العلة الغائبة بترتب العلة الغائبة؛ أي يعتبر التشبيه بين الترتبين الكلين ليسري في جزئياتهما، فيتحقق تبعاً تشبيه ترتب كونه عدوًا وحزنًا، أعني الترتب المخصوص على الالتقاط، بترتب التبني ونحوه مما هو علة غائبة، أعني الترتب المخصوص أيضاً عليه، ثم يستعمل في المشبه اللام الموضوع للدلالة على ترتب العلة الغائبة الذي هو المشبه به، فتكون الاستعارة أولاً في العلية والغرضية، وتبعاً في اللام، فصار حكم اللام حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه العلة، كما استعير الأسد لما يشبه الأسد، بيد أن الاستعارة هاهنا مكنية تبعية.

الثالث: ما أفاده كلام الخطيب في التلخيص والإيضاح، وهو أن يقدر التشبيه أولاً لكونه عدوًا وحزنًا بالعلة الغائبة، ثم يسري ذلك التشبيه إلى تشبيه ترتبه بترتب العلة الغائبة، فتستعار اللام الموضوع لترتب العلة الغائبة لترتب كونه عدوًا وحزنًا من غير استعارة في المجرور، وهذا التشبيه كتشبيه الربيع بالقادر المختار، ثم إسناد الإنبات إليه.."^(٢).

(١) القصص (٨)

(٢) روح المعاني (٤٧/٢٠).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾^(١).

يقول الألوسي: "أي يحملون ذنوبهم وخطاياهم، وذكر الظهور؛ لأن المعتاد الأغلب الحمل عليها، كما في كسبت أيديكم، فإن الكسب في الأكثر بالأيدي، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى مزيد ثقل المحمول.. وجعل الذنوب والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية، والمراد بيان سوء حالهم، وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب.." ^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "(وعنده مفاتيح الغيب) أي مفاتيحه كما قرئ به، فهو جمع مفتاح بكسر الميم^(٤)، وهو كمفتاح آلة الفتح، وقيل إنه جمع مفتاح كما قيل في جمع محراب محارب، والكلام على الاستعارة، حيث شبه الغيب بالأشياء المستوثق منها بالأقفال، وأثبت له المفاتيح تخيلاً، وهي باقية على معناها الحقيقي، ويجوز أن تكون هناك استعارة مصرحة بتحقيقية، بأن يستعار العلم للمفاتيح، وتجعل القرينة الإضافة إلى الغيب"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۚ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۚ﴾^(٦).

(١) الأنعام (٣١).

(٢) روح المعاني (١٣٢/٧).

(٣) الأنعام (٥٩).

(٤) لسان العرب (١٧٠/١٠)، (مادة فتح).

(٥) روح المعاني (١٧٠/٧).

(٦) الكهف (٧٧).

يقول الألوسي: "والمراد من إرادة السقوط قربه على سبيل الاستعارة، بأن يشبه قرب السقوط بالإرادة؛ لما فيهما من الميل، ويجوز أن يعتبر في الكلام استعارة مكنية، وتخيلية، وقد كثر في كلامهم إسناد ما يكون من أفعال العقلاء إلى غيرهم، ومن ذلك قوله:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل^(١)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢).

يقول أبو الثناء الألوسي: "ووضع فيه بشر موضع أنذر تهكمًا بهم، ففي الكلام استعارة تهكمية.."^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾^(٤).

يقول الألوسي: " (فقد حرم الله عليه الجنة)، والمراد يُمنع من دخولها كما يُمنع المحرم عليه من المحرم، فالتحريم استعارة تبعية للمنع، إذ لا تكليف ثمة، وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتحويل الأمر وتربية المهابة"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

(١) روح المعاني (٦/١٦) "لم أقف له على قائل".

(٢) النساء (١٣٧-١٣٨).

(٣) روح المعاني (٥/١٧١).

(٤) المائدة (٧٢).

(٥) روح المعاني (٦/٢٠٧).

يقول الألوسي: "(يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم فيه، ففيه استعارة تبعية، حيث استعير التوفي من الموت للنوم؛ لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس الظاهرة والتميز - قيل والباطنة أيضًا - وأصله قبض الشيء بتمامه، ويقال توفيت الشيء واستوفيته" (٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَشْتَرُوا بِغَايَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

يقول الألوسي: "والمراد بالاشتراء الاستبدال، وفي الكلام استعارة تبعية تصريرية، ويتبعها مكنية، حيث شبّهت الآيات بالشيء المبتاع" (٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٥).

يقول الألوسي: "إطفاء النار على ما في القاموس (٦) إذهاب لخبها الموجب لإذهاب نورها، لا إذهاب نورها على ما قيل، لكن لما كان الغرض من إطفاء نار - لا يراد بها إلا النور كالمصباح - إذهاب نورها، جعل إطفائها عبارة عنه، ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق إذهاب النور، وإن كان لغير النار، والمراد بنور الله حجته تعالى النيرة المشرقة الدالة على وحدانيته وتنزهه سبحانه عن الشركاء والأولاد، أو القرآن العظيم الصادر الصادر بذلك، وقيل نبوته عليه الصلاة والسلام التي ظهرت بعد أن استطال دجا الكفر صبغًا منيرًا.. وأيًا ما كان فالنور استعارة أصلية تصريرية لما ذكر، وإضافته إلى الله تعالى قرينة، والمراد من الإطفاء الرد..

(١) الأنعام (٦٠).

(٢) روح المعاني (١٧٣/٧).

(٣) التوبة (٩).

(٤) روح المعاني (٥٦/١٠).

(٥) التوبة (٣٢).

(٦) انظر القاموس المحيط (٥٧/١).

ويجوز أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية؛ بأن يشبّه حالهم في محاولة إبطال نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم بالكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، ويكون قوله تعالى (ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره) ترشيحاً للاستعارة؛ لأن إتمام النور زيادة في استنارته وفشو ضوئه، فهو تفريع على المشبّه به..^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "وأصلُ الدمغِ كسرُ الشيء الرخو الأجوف، وقد استعير للمحق..

وجوز أن يكون هناك تمثيل -لغلبة الحق على الباطل حتى يذهبه- برمي جرم صلب على رأس دماغه رخو ليشقه، وفيه إيماء إلى علو الحق وتسفل الباطل، وأن جانب الأول باقٍ، والثاني فانٍ، وجوز أيضاً أن يكون استعارة مكنية بتشبيه الحق بشيء صلب يجيء من مكان عالٍ، والباطل بجرم رخو أجوف سافل، ولعل القول بالتمثيل أمثل..^(٣).

قال الرماني: ".. القذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ، وحقيقته: بل نورد الحق على الباطل فيذهبه، وإنما كانت الاستعارة أبلغ؛ لأن في القذف دليلاً على القهر، لأنك إذا قلت: قذف به إليه، فإنما معناه ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر، فالحق يُلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار، لا على جهة الشك والارتياب، ويدمغه أبلغ من يذهبه؛ لما في يدمغه من التأثير فيه، فهو أظهر في النكاية، وأعلى في تأثير القوّة.."^(٤).

(١) روح المعاني (١٠/٨٥).

(٢) الأنبياء (١٨).

(٣) روح المعاني (١٧/٢٠).

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٩).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١).

يقول الألوسي: "(يا ويلتنا) نداء هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات، فإن الويلة - كالويل - الهلاك، ونداؤها على تشبيهها بشخص يطلب إقباله، كأنه قيل: يا هلاك أقبل فهذا أوانك، ففيه استعارة مكنية تخيلية، وفيه تقرير لهم وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "وعبر عن الخور بالإنلقاء لأنه ذكر مع الإنلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة، وفيه أيضًا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرْحًا، فهناك استعارة تبعية زادت حسنها المشاكلة"^(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٥).

(١) الكهف (٤٩).

(٢) روح المعاني (٢٩١/١٥).

(٣) الشعراء (٤٥-٤٦).

(٤) روح المعاني (٧٨/١٩).

(٥) الزمر (٣٩-٤٠).

يقول الألوسي: "(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها، فإن المكانة نُقلت من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص، واستعيرت لها استعارة محسوس لمعقول"^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "في الكلام استعارة تمثيلية، حيث شُبّه حال جدوبة الأرض وخلوها عن النبات، ثم إحياء الله تعالى إياها بالمطر، وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب، وإنبات كل زوج بهيج، بحال شخص كئيب، كاسف البال، رث الهيئة، لا يؤبه به إذا أصابه شيء من متاع الدنيا وزينتها، تكلف بأنواع الزينة والزخارف، فيختال في مشيه زهوًا، فيهتز بالأعطاف خيلًا وكبرًا، فحذف المشبّه، واستعمل الخشوع والاهتزاز دلالة على مكانه، ورُجِحَ اعتبار التمثيل"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(٤) ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٥).

يقول الألوسي: "(فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم، والاعتداد بوجودهم، وهو استعارة تمثيلية تخيلية، شُبّه حال موتهم -لشدته وعظمته- بحال من تبكي عليه السماء والأجرام العظام، وأثبت له ذلك، والنفي للإثبات في التجوُّز.. وقد تكون هناك استعارة مكنية تخيلية، بأن شُبّه السماء والأرض بالإنسان، وأسند إليهما البكاء.. وقد كثر في التعظيم لمهلك الشخص بكت عليه السماء والأرض، وبكته الريح ونحو ذلك.. قال النابغة:

(١) روح المعاني (٦/٢٤).

(٢) فصلت (٣٩).

(٣) روح المعاني (١٢٦/٢٤).

(٤) الدخان (٢٨-٢٩).

بكى حارث الجولان من فقد ربّه
وحوارنّ منه مُوحِشٌ متضائل^(١)
أراد بهما مكانين معروفين.

وقال جرير:

لما أتى خبرُ الزبير تواضعتُ
سُورُ المدينة والجبالُ الخشَّعُ^{(٢)(٣)}.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٤)

يقول الألوسي: "(الريح العقيم) الشديد التي لا تلقح شيئاً، وفي لفظ: هي ريح لا بركة فيها ولا منفعة، ولا ينزل منها غيث، ولا يلحق بها شجر.. كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة (فعيل بمعنى فاعل من اللازم)، وقال بعضهم: سُميت عقيماً؛ لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، على أن هناك استعارة تبعية، شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن؛ لما فيه من إذهاب النسل، ثم أطلق المشبه به على المشبه، واشتق منه العقيم.."^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾^(٦).

يقول الألوسي: "(منهمر) أي منصّب، وقيل كثير، قال الشاعر:

أعيناى جودا بالدموع الهوامر
على خير بادٍ من معدٍّ وحاضر

(١) ديوان النابغة الذبياني (ص ١٥٦).

(٢) ديوان جرير (ص ٢٥٩).

(٣) روح المعاني (٢٥/١٢٤).

(٤) الذاريات (٤١).

(٥) روح المعاني (٢٧/١٥٠/١٦).

(٦) القمر (١١).

وفي الكلام استعارة تمثيلية بتشبيه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء، وانشق أديم الخضراء، وهو الذي ذهب إليه الجمهور، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته.. " (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "أي إذا أردتم المناجاة معه عليه الصلاة والسلام لأمر ما من الأمور فقدموا بين يدي نجاكم صدقة، أي فتصدقوا قبلها، وفي الكلام استعارة تمثيلية، وأصل التركيب يستعمل في مَنْ له يدان.. أو مكنية بتشبيه النجوى بالإنسان، وإثبات اليدين تخيل، وفي بين ترشيح، ومعناه قبل.. " (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (٤).

يقول الألوسي: "أي أنشأكم منها، فاستعير الإنبات للإنشاء؛ لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض، لكونه محسوسًا، ففي الكلام استعارة مصرحة تبعية.. " (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِضُ آبِلُي مَاءِكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦).

(١) روح المعاني (٨١/٢٧). "لم أقف على قائل للبيت".

(٢) المجادلة (١٢).

(٣) روح المعاني (٣٠/٢٨).

(٤) نوح (١٧).

(٥) روح المعاني (٧٥/٢٩).

(٦) هود (٤٤).

يقول الألوسي: "قيل يا أرض ابلعي، ويا سماء أفلعي، دون أن يقال ابلعي يا أرض، واقلعي يا سماء؛ جرياً على مقتضى اللازم في مَنْ كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبهِ في نفس المنادى، قصداً بذلك لمعنى الترشيح للاستعارة المكنية في الأرض والسماء.." (١)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ ۖ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (٢).

يقول الألوسي: "وأصل السكوت قطع الكلام، وفي الكلام استعارة مكنية، حيث شبه الغضب بشخص ناه أمر، وأثبت له السكوت على طريق التخييل، وقال السكاكي: إن فيه استعارة تبعية، حيث شبه سكون الغضب، وذهاب حدته بسكون الأمر الناهي، والغضب قرينتها، وقيل الغضب استعارة بالكناية عن الشخص الناطق، والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه، فيكون في الكلام استعارة مكنية قرينتها تصريحية لا تخيلية.. وإيّا ما كان ففي الكلام مبالغة وبلاغة لا يخفى علو شأنهما" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (٤).

قال الألوسي: "(وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) قيل المراد به الحق، فقد جاء استعارة النور له كاستعارة الظلمة للباطل في قوله سبحانه: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى

(١) روح المعاني (٦٦/١٢).

(٢) الأعراف (١٥٤).

(٣) روح المعاني (٧١/٩).

(٤) النساء (١٧٤).

النور"، أي من أنوار الباطل إلى الحق، ووجه الشبه الظهور، ومن أمثالهم: الحق أبلج.. ويكفي ذلك في جواز الاستعارة"^(١)..

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "والمقصد تصوير خسارتهم - بفوت الفوائد المترتبة على الهدى التي هي كالريح، وإضاعة الهدى الذي هو كرأس المال - بصورة خسارة التاجر الفاتئ للريح، المضيع لرأس المال، حتى كأنه هو، على سبيل الاستعارة التمثيلية، مبالغة في تخسيرهم ووقوعهم في أشنع الخسار الذي يتحاشى عنه أولو الأبصار، وإسناد الريح إلى التجارة وهو لأربابها مجاز للملابسة.."^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(٤).

يقول الألوسي: "وفي الكلام استعارة تمثيلية، حيث مُثِّلَت حال هؤلاء الكفرة وحال أعمالهم التي عملوها في كفرهم، بحال قوم خالفوا سلطانهم، واستعصوا عليه، فقدم إلى أشياءهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها، وجعلها شذر مذر، ولم يترك لها من عين ولا أثر.. واللفظ المستعار وقع فيه استعمال قَدِمَ بمعنى عَمِدَ وقَصَدَ؛ لاشتغاره فيه"^(٥).

يقول الرماني: "حقيقة قدمنا هنا عمدنا، وقدمنا أبلغ منه؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر، لأنه (عاملهم) من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قَدِمَ فرآهم على خلاف ما أمرهم. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال، والمعنى الذي يجمعهما العدل، لأن العمد

(١) روح المعاني (١٨/١٦٥)

(٢) البقرة (١٦).

(٣) روح المعاني (١/١٦٢).

(٤) الفرقان (٢٣).

(٥) روح المعاني (٩/٧).

إلى إبطال الفاسد عدل، والقدوم أبلغ لما بيّنا. وأما هباءً منثورًا فبيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه الحاسّة..^(١).

"وهكذا في لحظة والخيال يتبع حركة القدوم المجسّمة المتخيّلة على طريقة القرآن في التجسيم والتخييل، وعملية الإثارة للأعمال، والتذرية في الهواء، فإذا كلّ ما عملوا في الدنيا من عملٍ صالحٍ هباءً..^(٢)."

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٣).

قال أبو الثناء الألويسي: "في الكلام استعارة مكنية وتخييلية، بأن يُشبه الذل بطائر منحطّ من علو تشبيهاً مضمراً، ويُثبت له الجناح تخيلاً، والخفض ترشيحاً، فإن الطائر إذا أراد الطيران والعلو نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، فإذا ترك ذلك خفضهما، وأيضاً هو إذا رأى جارحاً يخافه لصق بالأرض، وألصق جناحيه، وهي غاية خوفه وتذللّه..^(٤)".

وبهذا يتبيّن لنا الدور الذي تلعبه الاستعارة في بيان الصورة البلاغية، وهذا ما أكّد عليه عبد القاهر بقوله: "اعلم أنّ الاستعارة أمدّ ميداناً، وأشدّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم وأسحر سحرًا وأملأ بكل ما يملأ صدرًا، ويمتّع عقلاً، ويؤنس نفساً، ويوفر إنساً، وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تختّر لها الجمال، وعنى بها الكمال، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدّت في الشرف والفصيلة باعاً لا يقصر، وأبدت من

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت) (ص ٨٦).

(٢) في ظلال القرآن (٢٥٥٨/٥).

(٣) الإسراء (٢٤).

(٤) روح المعاني (٦٥/١٥).

الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر، وردّت تلك بصفرة الخجل، ووكلتها إلى نسبته من الحجر، وأن
تثير من معدتها تبرّاً لم تر مثله، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي، وأن
تأتيك على الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا، وهي
أجلّ من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها
تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنك
لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكرّرة في مواضع، ولها في كل واحد من
تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلاصة مرموقة.. ومن خصائصها التي
تذكر بها -وهي عنوان مناقبها- أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من
الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجنّي من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر..

وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف
البراعة، وجدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلالها، وتقتصر عن أن تنازعها مداها، وصادفتها نجوماً هي
بدرها، وروضاً هي زهرها، وعرائس ما لم تعرفها حليها فهي عواطل، وكواعب ما لم تحسنها فليس
لها في الحسن حظ كامل، فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس
مبينة، والمعاني الخفية بادية جليّة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا
رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها.. إن شئت أرتك المعاني
اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف
الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون..^(١).

(١) أسرار البلاغة ص (٤٢).

المبحث الثالث

الكناية

المبحث الثالث

الكناية

الكناية في اللغة:

"مصدر قولك: كنيت بكذا عن كذا، والكنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، الثاني: أن يكنى الرجل باسمٍ توقيراً وتعظيماً، والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف بها صاحبها"^(١).

والكناية في اصطلاح البلاغيين:

"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: طويل النجاد، يريدون (طويل القامة)"^(٢). وهو ما عبّر عنه الخطيب القزويني^(٣) بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ"^(٤)، "فلا يمتنع في قولك: طويل النجاد أن يُراد طول نجاده، مع إرادة طول قامته، فنلاحظ من هذا أن الكناية لا يتنافى معها إرادة الحقيقة؛ لأن الكناية كثيراً ما تخلو من إرادة المعنى الحقيقي، بمعنى أن الممدوح قد لا يكون له نجاد قط"^(٥).

(١) انظر: لسان العرب (١٧٤/١٢) (مادة كني).

(٢) دلائل الإعجاز (ص ٦٦).

(٣) الخطيب القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني، ولد بالموصل، وقدم دمشق ومصر، عيّن قاضياً بالشام، من تصانيفه: الإيضاح على صاحب المفتاح، تلخيص المفتاح للسكاكي، والمشذر المرجاني من شعر الأرجاني، توفي سنة ٧٣٩هـ. انظر: هدية العارفين (٢/ ١٢٠).

(٤) الإيضاح (ص ٢٨٦).

(٥) مفتاح العلوم (ص ٥١٣)، وانظر: الإيضاح (ص ٢٨٦).

بين الحقيقة والكناية:

"لا بد في الكناية من أن تكون ذات علاقة بين المعنى الظاهري للكلام (المعنى الأصلي الذي كنى به)، وبين المعنى الكنائي، وهذه الصلة هي ما تسمى بالعلاقة التي تربط بين المعنيين، وإلاّ التبس المعنى، وأصبح الغارًا وتعمية، ولم يكن بلاغةً وبيانًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(١)؛ فقد عبّر عن شعوره بالحسرة والندم على ما فرط بعض يديه"^(٢).

ولقد أورد عبد القاهر الجرجاني، هذا المعنى بدقّة أكثر، حيث قال: "ليس المعنى إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح، أنّك لما كنيت عن المعنى زدته في ذاته؛ بل المعنى أنك زدت في إثباته؛ فجعلته أبلغ وأكد وأشدّ، فليست المزية في قولهم: (جُمّ الرماد) أنه دل على قرئ أكثر، بل إنك أثبتّ له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبه إيجابًا هو أشد، وأدعّيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق"^(٣).

والكناية عند البلاغيين ثلاثة أنواع:

- ١- كناية عن موصوف، كقولهم: (المضياف) كناية عن عمرو.
- ٢- كناية عن صفة، كقولهم: كثير رماد القدر، كناية عن صفة الكرم.
- ٣- كناية عن نسبة مثل: المجد بين ثوبيه^(٤).

(١) الفرقان (٢٧).

(٢) انظر: من بدائع النظم القرآني، للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب، مطبعة الجندي، بنها الجديدة، مصر. (ص ٦٨)، وعلم البيان (ص ٢٤٤)، للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٧١).

(٤) انظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧).

وبلاغة الكناية ومزيتها - في القرآن الكريم خاصة - أنها تؤكّد المعنى، وتوجب إثباته، وذلك عن طريق إثبات الصفة: "بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدّعى من أن تحيى إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً"^(١).

واختصت الكناية في القرآن الكريم بالآتي:

- ١ - بالإيجاز اللطيف العجيب، الذي لا يستطيع محاكاته أحد.
- ٢ - وبجمال التعبير، لما فيها من ألفاظ مهذّبة، بعيدة عما يستهجن، لذلك ترنّعت على عرش الجمال، وفازت بقصب السبق.
- ٣ - فيها قوّة تأثير لما فيها من حسن التصوير.
- ٤ - تميزت بنظمها البديع، فمعناها لا يؤدّي بغير لفظها، ولفظها لا يصلح إلا لمعناها، حتى لا يمكن التفرقة بينهما"^(٢).

"ومن نخوة العرب وغيرهم كانت كنايةهم عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن العزيز بذلك، فقال سبحانه: (كأنهن بيض مكنون)، وقال امرؤ القيس في معلقته:

و بَيْضَةِ خَدَرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ هُوٍ بِهَا غَيْرَ مُعَجَّلٍ^(٣)

بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها، لا يرام خباؤها لعزّها"^(٤).

(١) دلائل الإعجاز (ص ٧٢).

(٢) انظر: الأسلوب الكنائي، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى،

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. (ص ١٠١-١٠٦).

(٣) ديوان امرئ القيس (ص ١٢).

(٤) خزائن الأدب (٢/٢٦٤).

بين الكناية والمجاز:

"إن الكناية تشتمل على قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، كما اتضح في قولهم: (طويل النجاد)، أما أسلوب المجاز فإنه يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ"^(١)، ومثاله قولهم: "عجبت للجيفة كيف يطغى"، فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما سيؤول إليه الإنسان بعد موته، حيث أطلق لفظ الجيفة، وأريد بها الإنسان الحي، وهذه القرينة (يطغى) تمنع من إرادة المعنى الأصلي للجيفة"^(٢).

وهناك فرق آخر بين الكناية والمجاز، ذلك أن: "مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم"^(٣).

بين الكناية والتعريض

التعريض لغة:

"العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العَرَض الذي يخالف الطُول، ومن ذلك: عَرَضُ الجُنْد: أن تُمرَّهم عليك، وذلك كأنك نظرت إلى العارض من حالهم"^(٤).

ومنه: "التعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء، ومن ذلك التعريض في خطبة المرأة في عدتها، وهو: أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها، ولا يصريح به"^(٥).

(١) انظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) انظر: علم البيان (ص ٢٤٥) للدكتور بسيوني عبد الفتاح.

(٣) الإيضاح (ص ٢٨٦). ولقد فرق السكاكي بين المجاز والكناية بنص تلك العبارة، والمراد عندما نقول: فلان كثير الرماد، فكرة الرماد لازم ينتقل منه إلى الملزوم وهو الكرم. أما المجاز؛ فمثاله: أقبل الأسد في يده بندقية؛ فإن الأسد ملزوم، والشجاعة لازم له، وينتقل من الملزوم إلى اللازم. أي من الأسد إلى الشجاعة. انظر مفتاح العلوم (ص ٥١٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، (باب العين والراء، وما يثلاثهما).

(٥) انظر: لسان العرب (٩/ ١٤٩)، (مادة عرض).

التعريض اصطلاحاً:

"أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئت لأسلم عليك، وكأنَّ إمالة الكلام إلى غرضٍ يدل على الغرض"^(١). وكما جاء في حدّه بأنه: "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي؛ فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إني محتاج وليس في يدي شيء؛ فإنَّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب، ولم يوضع هذا اللفظ في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازاً، وإنما دلَّ عليه من طريق المفهوم"^(٢).

يقول عبد القاهر: "وكما أنَّ الصفة إذا لم تأتْ مُصرِّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً بغيرها كان ذلك أفحَمَ لشأنها وألطفَ لمكانها. كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبُّها له إذا لم تُلقه إلى السامع صريحاً، وجئتَ إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزينة، ومن الحُسْن والرونق ما لا يقلُّ قليله لا يُجْهَل موضعُ الفضيلة فيه"^(٣).

والتعريض أسلوب يناسب ذكاء العربي، ونقاء تفكيره، فيأتي بالفائدة من المدح والثناء في أن يعرِّض فيه بالآخرين.

ومن شواهد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ.

إذ فُسِّر: "(الغيب) بـ(الغيبية)، بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي ﷺ، أو عن جماعة المسلمين، على معنى هدى للذين يؤمنون عن إخلاص، لا عن الذين يؤمنون عن نفاق"^(١)، وهذه الآية من التعريض بالكفار والمنافقين الذين لا يؤمنون ولا يهتدون.

(١) الكشف (١/٣١١).

(٢) المثل السائر (٢/١٨٦).

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٣٠٦).

(٤) البقرة (٢-٣).

وقد وردت الكناية في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾^(٢) "وهي كناية عن صفة التعفف؛ لعدم إظهار آثار الفقر، فلا يظهر عليهم من رثالة الحال ما يدل على حاجتهم"^(٣).

"وفي الآية تعريض بالملحفين بالسؤال؛ ففي ذلك زيادة فائدة في أهمية عدم السؤال، والإلحاف: الإلحاح في المسألة، وأصله من الإلحاف، وهو ما يتغطى به^(٤)، وسمي الإلحاح بذلك؛ لأنه يغطي القلب كما يغطي اللحاف مَنْ تحته"^(٥).

"ولأهمية عدم السؤال، -ناهيك عن الإلحاف فيه، لأنه مما يؤثر في شخصية المسلم، ويقدح في كرامته ودينه- فإن التشدد في رفض هذه الصفة جاء بصيغة المبالغة المنفيّة، وبطريقة التعريض بالآخرين الملحفين، ونظيره في قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٦)، أي لا شفيع أصلاً، وحيث لا شفيع فلا إطاعة، فخلص من ذلك أنه لا شفيع يطاع. وكما في قول امرئ القيس:

على لا حبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إذا ساقَهُ العودُ التُّبَاطِيَّ جَرْجَرًا^(٧)

فالشاعر أراد نفي المنار على إطلاقه، وكذلك نفي الاهتداء به، وفي الآية الكريمة نفي للإلحاف، ونفي للسؤال على إطلاقه بقرينة قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(٨)^(٩).

(١) مفتاح العلوم (ص ٥٢١).

(٢) البقرة (٢٧٢).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٣/٤٤٣).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان. (ص ٤٤٨).

(٥) انظر: روح المعاني (٢/٤٧٣).

(٦) غافر (١٨).

(٧) ديوان امرئ القيس (ص ٤٨).

(٨) البقرة (٢٧٣).

(٩) انظر: مفاتيح الغيب (٤/٧١)، والتحريم والتنوير (٢/٧٦).

"وتحسن هذه الطريقة إذا كان التعبير الواقع بعد النفي بمنزلة اللازم للنفي؛ فيكون نفي اللازم نفيًا للملزوم بطريق برهاني، كما يقول التفازاني"^(١).

ويمكن أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿إِلْحَافًا﴾ هنا: "أنهم يلحفون على أنفسهم في ترك السؤال، ومنعهم ذلك يكون بالمصابرة الشديدة"^(٢)، بل وأجدها من أوجه التفسيرات المناسبة لوصف حال هؤلاء الفقراء المؤمنين.

ولقد أورد الزمخشري احتمالين لمعنى الجملة، ولم يرجح أحدهما على الآخر، حيث قال: "ومعناه أنهم إن سألوا، سألوا بتلطف، ولم يلحوا، أو: هو نفي للسؤال والإلحاف جميعًا"^(٣).

ومن الشواهد على التعريض ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤).

فالكلام في هذه الآية الكريمة: "خبر ولكن اقتترانه بحرفي التوكيد في (لقد) يومئ إلى تعريض بالتوبيخ للذين لم ينتفعوا بالأسوة الحسنة من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض"^(٥).

فهذا تعريض بالفريق الذين أخرهم الكفر عن اللحاق بركب المؤمنين المجاهدين، فصدهم ما في قلوبهم من المرض والشك في الدين عن فضيلة الاقتداء بالرسول ﷺ.

وهو ما أظهر معه فضل المؤمنين الذين اقتدوا بالرسول ﷺ في أقواله وأفعاله.

(١) انظر: المطول (ص ٦٣٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤).

(٣) الكشف (٣٤٦/١).

(٤) الأحزاب (٢١).

(٥) التحرير والتنوير (٣٠٢/٢١/٨).

جهود الألووسي في الكناية:

لقد تناول الألووسي الكناية في مواضع كثيرة من تفسيره (روح المعاني)، وقد فصل في ذكر أنواعها، لأن الكناية تمثل ركناً مهماً يعتمد عليه الأسلوب البياني..

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١).

يقول الألووسي: "ظلَّ وجهه مُسْوَدًّا، أي صار مسودًّا من الكآبة والحياء من الناس، وأصل معنى ظلَّ أقام نهارًا على الصفة التي تُسند إلى الاسم، ولما كان التبشير قد يكون في الليل، وقد يكون في النهار، فُسر بما ذُكر، وقد تلحظ الحالة الغالبة بناءً على أن أكثر الولادات يكون بالليل، ويتأخر إخبار المولود له إلى النهار، خصوصًا بالأنثى، فيكون ظلوله على ذلك الوصف طول النهار.. واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التي لحقت بولادة الأنثى.."^(٢).

يقول القرطبي: "ظلَّ وجهه مسودًّا أي متغيرًا، وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمّه بالبنت، والعرب تقول لكل من لقي مكروهًا: قد اسودَّ وجهه غمًّا وحزنًا"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(٤).

(١) النحل (٥٨).

(٢) روح المعاني (١٦٨/١٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١٠).

(٤) النساء (٤٣).

يقول الألوسي مفصلاً المعاني البلاغية التي احتوت عليها الآية الكريمة: "والجحيء من الغائط"^(١) كناية عن الحدث؛ لأنَّ العادة أن من يريده يذهب إليه ليواري شخصه عن أعين الناس، وفي ذكر (أحد) فيه دون غيره إيماءً إلى أنَّ الإنسان ينفرد عند قضاء الحاجة كما هو دأبه وأدبه، ودُكر (أحد) وأُسند الجحيء إليه دون المخاطبين؛ تفادياً عن التصريح بنسبتهم إلى ما يُستحي منه، أو يُستهجن التصريح به، وفي قوله: أو لامستم النساء يريد سبحانه: أو جامعتم النساء، إلا أنَّه كنى بالملامسة عن الجماع؛ لأنه مما يُستهجن التصريح به، أو يُستحي منه"^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣).

يقول الألوسي: "والنهي عن القرب من تلك الحدود (التي هي الأحكام) كناية عن النهي عن قرب الباطل؛ لكون الأول لازماً للثاني، وهو أبلغ من (لا تعتدوها)؛ لأنه نهي عن قرب الباطل بطريق الكناية التي هي أبلغ من الصريح"^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾^(٥) يقول الألوسي: "أصل الجنب الجارحة، ثم يستعار للناحية والجهة التي تليها، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك، نحو اليمين والشمال، والمراد هنا الجهة مجازاً، والكلام على حذف مضاف أي في جنب طاعة الله، والتفريط في جهة الطاعة كناية عن التفريط في الطاعة نفسها؛ لأن من ضيَّع جهةً ضيَّع ما فيها بطريق الأولى"^(٦).

(١) قال ابن منظور في لسان العرب: "قيل للمطمئن من الأرض غائط، ولموضع قضاء الحاجة غائط؛ لأنَّ العادة أن يَقْضِي في المنخفض من الأرض؛ حيث هو أستر له، ثم اتَّسع فيه حتى صار يُطلق على النَّجْوِ نفسه". لسان العرب (١٤٥/١٠)، (مادة غوط).

(٢) روح المعاني (٤١/٥).

(٣) البقرة (١٨٧).

(٤) روح المعاني (٦٩/٢).

(٥) الزمر (٥٦).

(٦) روح المعاني (١٧/٢٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾^(١) يقول الألوسي موضحاً أن بالآية كناية عن موصوف: " ذات ألواح ودُسْر من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات على سبيل الكناية، كقولهم: (حيّ مستوي القامة، عريض الأطراف) في الكناية عن الإنسان، وهو فصيح الكلام وبديعه"^(٢).

ويقول الألوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

"وجعل —هنا— نفي الخوف كناية عن نفي العقاب، ونفي الحزن كناية عن نفي الثواب، وهي أبلغ من الصريح وأكد؛ لأنها كدعوى الشيء بينة، والمعنى لا خوف عليهم فضلاً عن أن يحلّ بهم مكروه، ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه، فالمنفي عن الأولياء خوف حلول المكروه والحزن في الآخرة"^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَن أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥) يقول الألوسي مبيناً الأسرار التي احتوت عليها الكناية في الآية الكريمة: "إقامة الوجه للدِّين كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادته تعالى، والإعراض عمّن سواه، فإنّ من أراد أن ينظر إلى شيء نظر استقصاء يقيم وجهه في مقابلته، بحيث لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، إذ لو التفت بطلت المقابلة"^(٦).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٧) "لا يرتد إليهم طرفهم بمعنى لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسبما كان

(١) القمر (١٣).

(٢) روح المعاني (٨٣/٢٧).

(٣) البقرة (٣٧).

(٤) روح المعاني (٢٣٩/١).

(٥) يونس (١٠٥).

(٦) روح المعاني (١٩٨/١١).

(٧) إبراهيم (٤٣).

يرجع إليهم كل لحظة، فالطرف باقٍ على أصل معناه، وهو تحريك الجفن، والكلام كناية عن بقاء العين مفتوحة على حالها^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) يقول الألوسي: "واخفض جناحك للمؤمنين كناية عن التواضع لهم، والرَّفْق بهم، وأصل ذلك أن الطائر إذا أراد أن يضمَّ فرخه إليه بسط جناحيه له، والجناحان من ابن آدم جانباه"^(٣).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٤).

"وقُرَّة العين كناية عن السرور والفرح، وهو مأخوذ من القُر، وهو البرد؛ لأن دمة السرور باردة، ولذا يقال في ضده: أسخن الله تعالى عينه، وعليه قول أبي تمام:

فأما عيونُ العاشقينَ فأسَخَنْتُ وأما عيونُ الشامتينَ فقَرَّتِ^(٥)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٦).

يقول الألوسي: "أي تنتحي وترتفع جنوبهم عن مواضع النوم، وهذا كناية عن تركهم النوم، ومثله قول عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ"^(٧)

(١) روح المعاني (٢٤٦/١٣).

(٢) الحجر (٨٨).

(٣) روح المعاني (٨٠/١٤).

(٤) الفرقان (٧٤).

(٥) روح المعاني (٥٢/١٩). البيت في ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام. دار المعارف،

مصر. (ص ٣٠٠).

(٦) السجدة (١٦).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(١).

يقول الألوسي : "وَكُنِّي فِي مَقَامِ الدِّمِ يَنْفِي الرِّيحَ عَنِ الْخُسْرَانِ؛ لِأَن فُوتَ الرِّيحَ يَسْتَلْزِمُهُ فِي الْجُمْلَةِ، وَفَائِدَةُ الْكُنَايَةِ التَّصْرِيحُ بَانْتِفَاءِ مَقْصِدِ التَّجَارَةِ مَعَ حَصُولِ ضِدِّهِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قِيلَ: خَسِرْتَ تِجَارَتَهُمْ، فَلَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ نَفْيَ أَحَدِ الضَّادِينَ إِنَّمَا يُوجِبُ إِثْبَاتَ الْآخَرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا وَاسِطَةٌ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ هُنَا، فَإِنَّ التَّاجِرَ قَدْ لَا يَرِيحُ وَلَا يَخْسِرُ.. وَقَدْ تَكُونُ هُنَاكَ كُنَايَةٌ عَنْ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِطَرُقِ التَّجَارَةِ تَكَثَّرَ الْآفَاتُ عَلَى أَمْوَالِهِ.. وَاخْتِيرَ طَرِيقُ الْكُنَايَةِ نَكَايَةً لَهُمْ بِتَجْهِيلِهِمْ وَتَسْفِيهِهِمْ"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْآنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

يقول أبو الثناء : "والمراد مِنْ مِثْلِهِ ذَاتُهُ تَعَالَى، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ لَيْسَ كَذَاتِهِ شَيْءٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي الْمَعْنَى، إِلَّا أَنَّ الثَّانِي كُنَايَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَبَالِغَةٍ، وَهِيَ أَنَّ الْمِمَاثِلَةَ مَنْفِيَّةٌ عَمَّنْ يَكُونُ مِثْلَهُ وَعَلَى صِفَتِهِ، فَكَيْفَ عَنْ نَفْسِهِ!! وَهَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ وَجُودَ الْمِثْلِ؛ إِذِ الْفَرَضُ كَافٍ فِي الْمَبَالِغَةِ، وَمِثْلُ هَذَا شَائِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، نَحْوُ قَوْلِ أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

وقول الآخر:

وقتلَى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

وقول الآخر:

(١) روح المعاني (١٣١/٢١). "لم أقف على شاعر للبيت".

(٢) البقرة (١٦).

(٣) روح المعاني (١٦٢/١).

(٤) الشورى (١١).

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما أن كمثلهم في الناس من أحد
والعرب تقيم المثل مقام النفس، فتقول: مثلك لا يبخل، وهي تريد: أنت لا تبخل، أي
على سبيل الكناية^(١).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

"فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به: كنى عن الكتاب المتقدم بما عرفوا؛ لأن معرفة من أنزل
عليه معرفة له، والاستفتاح به استفتاح به"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٤).
يقول الألوسي: "في الآية كناية عن موصوف (أي للسائل الذي يسأل، والمحروم الذي
لا يسأل)، فيُظن أنه غني فيحرم، واستعمال المحروم في ذلك على سبيل الكناية، ولا يصح أن
يُراد به من يجرمونه بأنفسهم؛ للزوم التناقض كما لا يخفى"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نُسُوا اللَّهَ فَانْسِيهِمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦).
يقول الألوسي: "أي يقبضون أيديهم عن الإنفاق في طاعة الله ومرضاته، وقبضُ اليد كناية عن
الشح والبخل، كما أن بسطها كناية عن الجود؛ لأن من يعطي يمد يده، بخلاف من يمنع"^(٧).

(١) روح المعاني (١٨/٢٥) "البيت الأول لم أقف على ديوان الشاعر، والبيتان الثاني والثالث لم أقف على شاعر لهما".

(٢) البقرة (٨٩).

(٣) روح المعاني (١/٣٢٠).

(٤) المعارج (٢٤-٢٥).

(٥) روح المعاني (٦٣/٢٩).

(٦) التوبة (٦٧).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ١٤ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ط وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢﴾ .

يقول الألوسي : "وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار: أي ينهزموا من غير أن يظفروا منكم بشيء، وتولية الأدبار كناية عن الفرار والانهزام؛ فإن الفارَّ يولي دبره مَنْ فَرَّ مِنْهُ" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ١٥ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤﴾ .

يقول الألوسي : "والمراد من توجيه الوجه للذي فطر.. إلخ، قصده سبحانه بالعبادة؛ فإن من كان مطيعاً لغيره، منقاداً لأمره فإنه يتوجه بوجهه إليه، فجعل توجه الوجه إليه كناية عن الطاعة" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ ١٦ .

قال الألوسي : "سنشد عضدك؛ أي سنقويك به ونعينك، على أن شد عضده كناية تلويحية عن تقويته؛ لأن اليد تشتد بشدة العضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والجملة تشتد بشدة اليد" (١).

(١) روح المعاني (١٠/١٣٣).

(٢) آل عمران (١١٠-١١١).

(٣) روح المعاني (٤/٢٩).

(٤) الأنعام (٧٨-٧٩).

(٥) روح المعاني (٧/٢٠٣).

(٦) القصص (٣٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢).

يقول الألوسي: "واخفض لهما جناح الذلّ، أي تواضع لهما وتذللّ، ففيه كناية عن صفة، وهي صفة التواضع. فإن الطائر إذا أراد الطيران والعلو نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، فإذا ترك ذلك خفضهما، وأيضًا هو إذا رأى جارحًا يخافه لصق بالأرض، وألصق جناحيه، وهي غاية خوفه وتذللّه"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

يقول الألوسي: "ولما سُقِطَ في أيديهم، أي ندموا، بل هو كناية عن شدّة الندم وغايته؛ لأن النادم إذا اشتدّ ندمه عضّ يده غمًا، فتصير يده مسقوطًا فيها، وأصله سقط فوه، أو عضه في يده؛ أي وقع، ثم حُذِفَ الفاعل، وبُني الفعل للمفعول به، فصار سُقِطَ في يده، كقولك مُرَّ بزيد"^(٥).

وهذا ما ذهب إليه الخطيب القزويني عندما جعل الكناية عن صفة تنقسم إلى قريبة وبعيدة، وذكر أنّ القريبة ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة، والبعيدة ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة، كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف؛ فإنه ينتقل من كثرة الرماد، إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الآكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود.

وكقوله:

(١) روح المعاني (٢٠/٧٨).

(٢) الإسرائ (٢٤).

(٣) روح المعاني (١٥/٦٥).

(٤) الأعراف (١٤٩).

(٥) روح المعاني (٩/٦٤).

وما يكُ في من عيب فإني جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فإنه يُنتقل من جبن الكلب عن الهرير - في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعس^(١) دونهما، مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له - إلى استمرار تأديبه؛ لأنَّ الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى، ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذلك إلى كونه مقصد أذانٍ وأقاصٍ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف.. وكذلك ينتقل من هزل الفصيل، إلى فقد الأم، ومنه إلى قوّة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لا سيما المتليات^(٢)، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنها إلى أنه مضياف، ومن هذا النوع قول نصيب:

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم ممن ظاهرة
فبابك أسهل أبواهم	ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنس بالزائرين	من الأمّ بالابنة الزائرة

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما يذكر أن الزائرين معارف عنده، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً، ومنه إلى لزومهم سدّته، ومنه إلى تسني مباغيهم لديه من غير انقطاع، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والعام، وهو المقصود.. ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر:

يكاد إذا ما أبصرَ الضيفَ مقبلاً
يكلّمه من حبّه وهو أعجم
ومنه قوله:

لا أمتع العود بالفصال ولا
أبتاع إلا قريصة الأجل

فإنه يُنتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقي لها فصالحاً لتأنس بها، ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها، ومن ذلك إلى نحرها، أو لا يبقي العود إبقاءً على فصالحها، وكذا قرب

(١) عَسَّ يَعْسُ إذا طلب، واعتَسَّ الشيءَ طلبه ليلاً أو قصده. انظر لسان العرب، مادة (عسس).

(٢) "نافّةٌ مُتَلِّ ومُتَلِّيةٌ يَتَلَوها وَلُدّها، أي يتبعها، الجمع متليات ومتالٍ". انظر لسان العرب مادة (تلا).

الأجل يُنتقل منه إلى نحرها، ومن نحرها إلى أنه مضياف.. ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى: "ولما سقط في أيديهم..."^(١).

(١) الإيضاح في علوم البلاغة (ص ٢٨٩). "لم أقف على مصدر لتوثيق أبيات الشعر".

الفصل الرابع

صور البديع في روح المعاني

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: المحسنات المعنوية، وفيه سبعة مطالب.
- المبحث الثاني: المحسنات اللفظية، وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الأول

المحسنات المعنوية

وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: الطباق.

المطلب الثاني: اللف والنشر.

المطلب الثالث: تأكيد المدح بما يشبه الذم.

المطلب الرابع: الاحتباك

المطلب الخامس: التورية.

المطلب السادس: المقابلة.

المطلب السابع: المشاكلة.

البديع في اللغة:

من (بدع)، "الباء والبدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال.

فالأول كقولهم: أبدعتُ الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، والعرب تقول: ابتدع فلان الركي: إذا استنبطه، وفلان بدع في هذا الأمر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٢)، أي ما كنت أول من أُرسِل، فقبلي رسل كثير^(٣)، "والبديع والبَدع: الشيء الذي يكون أولاً"^(٤)، ويخلص من هذا أن البديع بمعنى الابتداع والابتكار.

البديع اصطلاحاً:

هو: "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"^(٥).

وعلماء البديع قسموه قسمين بالنظر إلى طبيعته في الأداء: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية. وقد يبدو لنا أثر البديع من خلال الشواهد التي سأقف عليها، فالمحسنات المعنوية هي: "التي يكون الكلام فيها راجعاً إلى تحسين المعنى، بحسب العراقة والأصالة"^(٦). أما المحسنات اللفظية فهي: "التي يكون الكلام فيها راجعاً إلى تحسين اللفظ"^(٧).

(١) البقرة (١١٧).

(٢) الأحقاف (٩).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢٠٩/١)، (باب الباء والبدال وما بعدها في الثلاثي).

(٤) لسان العرب (٣٤٢/١)، (مادة بدع).

(٥) الإيضاح (ص ٣٠٠).

(٦) انظر: المطول (ص ٦٤٠).

(٧) انظر: المطول (ص ٦٤١).

المطلب الأول

الطباق

مفهومه:

أولاً في اللغة: من (طبق) "الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، من ذلك الطَّبَّق، تقول: أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طَبَّقُ للثاني؛ وقد تطابقا"^(١).

ولقد ورد في معنى طبق - وجمعها طَبَقَات - "أنها الجماعة من الناس، وهم الأصناف المختلفة. ويقال: طابق البعير، أي: وضع رجله في موضع يده"^(٢).

ثانياً في الاصطلاح: "المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، أو بيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد"^(٣)، وعرفها الخطيب القزويني بقوله: "هي الجمع بين المتضادين، أي المتقابلين في الجملة"^(٤).

كقول المتنبي:

كَأَنَّ سَهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مَغْلَتِي فَبَيْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجَرٍ لَنَا وَصْلٌ^(٥)

فقد طابق بين هجر ووصل طباق إيجاب^(٦)

(١) معجم مقاييس اللغة (٤٣٩/٣)، (باب الطاء والباء، وما يثلاثهما).

(٢) انظر: لسان العرب (١٢٣/٨)، (مادة طبق).

(٣) كتاب الصناعتين (ص ٣٠٧).

(٤) الإيضاح (ص ٣٠٠).

(٥) ديوان المتنبي (٣/٣٠٠).

(٦) طباق الإيجاب هو الجمع بين المتضادين في الجملة، أما طباق السلب فهو أن يجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي، أو أحدهما أمر والآخر نهي. انظر المطول (ص ٦٤١).

وتسمى أيضاً الطباق، والتطبيق، والتضاد.

بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للطباق:

يرى بعض البلاغيين، أنه لا مناسبة بين المعنيين، ويرى آخرون أن هناك مناسبة تجمع بينهما لسببين:

الأول: "أن الجمع بين الضدين يعتبر توفيقاً بينهما كما يقتضي المعنى.

الثاني: أن (الطَّبَق) بالتحريك في اللغة: المشقة، لقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(١)، أي: مشقة بعد مشقة، ولمشقة الجمع بين الضدين في الحقيقة، سمو كل كلام جُمع فيه بين الضدين طباقاً"^(٢).

وللطباق شواهد كثيرة في القرآن الكريم، أورد منها على سبيل المثال ما يلي:

طباق السلب بين فعلين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فهذان اللفظان أثريا معنى الجملة المباركة، إذ تبين فيها مواجهة بين فريقين: أهل العلم، وأهل الجهل، فكأن هذين الوصفين جعلوا المؤمن يحكم عقله في هذه المسألة، فجاءت النتيجة:

أولاً: أن نفي العلم عن الكفار سلبهم أهم مدلولات الإنسانية وهو اللب، ورفع مكانة أهل العلم.

ثانياً: إنما وصف الله - تعالى - الكفار بأنهم لا يعلمون؛ لأنهم وإن آتاهم الله آلة العلم إلا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم، فلهذا السبب جعلهم كأهم ليسوا من أولي الأبواب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم"^(٤).

(١) الانشقاق (١٩).

(٢) انظر: علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة)، تأليف الدكتور: بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (ص ١٣٦).

(٣) الزمر (٩).

(٤) مفاتيح الغيب (٢١٩/٢٦/١٣).

ثالثاً: "أن من العلماء من فسّر (الذين يعلمون) بأنهم أهل عبادة الليل؛ الذين أشار إليهم في مستهل الآية الكريمة بقوله: "أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ"، وفسّر ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم الذين لا يأتون بهذا العمل، وفي هذا التفسير ازدراء بأهل العلم الذين فتنوا بالدنيا فلم يقننوا، فهم لذلك عند الله - تعالى - جهلة"^(١).

فلهذا جاء التعبير بنفي العلم، وهو أنسب من وصفهم بالجهل.

ومثل ذلك قول امرئ القيس:

جَزَعْتُ وَلَمْ أَجَزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْرَعًا وَعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالْكَوَاعِبِ مَوْلَعًا^(٢)

جهود الألوسي في الطباق:

لقد تناول الألوسي هذا المحسن البديعي (الطباق) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ^ط وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^ج وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ^ط وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣) حيث قال:

"وفي جمع الإبداء والإخفاء من أنواع البديع: الطباق اللفظي، وهو طباق إيجاب؛ لأن الضدين لم يختلفا إيجاباً وسلباً"^(٤).

كما تناول الألوسي الطباق في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ^ط فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ^ط وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٥) حيث قال: "ولم يقل:

(١) انظر: الكشف (١١٨/٤)، ومفاتيح الغيب (٢١٩/٢٦/١٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٢١/٢).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص ٧٧).

(٣) البقرة (٢٧١).

(٤) انظر روح المعاني (٤٤/٣).

(٥) الحديد (٢٦).

ومنهم ضال، مع أنه أظهر في المقابلة؛ لأن ما عليه النظم الكريم أبلغ في الذم؛ لأن الخروج عن الطريق المستقيم بعد الوصول بالتمكّن منه ومعرفته، أبلغ من الضلال عنه" (١).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمَهِّدُونَ﴾ (٢).

"ومقابلة من كفر بمن عمل صالحًا، لا بمن آمن؛ للتنويه بشأن الإيمان، بناءً على أنه المراد بالعمل الصالح، و لمزيد الاعتناء بشأن المؤمن العامل بناءً على أن المراد بالعمل الصالح ما يشمل العمل القلبي والقلبي، فقد طابق بين قوله كفر، وقوله عمل صالحاً طبقاً لإيجاب" (٣).

(١) روح المعاني (١٨٩/٢٧).

(٢) الروم (٤٤).

(٣) روح المعاني (٥٠/٢١).

المطلب الثاني

الف والنشر

الف لغة:

يقول ابن فارس: "اللام والفاء أصل صحيح يدل على تلوي شيء على شيء، يقال: لفت الشيء بالشيء لفًا، ولففت عمامتي على رأسي"^(١).

النشر لغة:

"النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعبه"^(٢).

الف والنشر في اصطلاح البلاغيين:

هو: "ذكر متعدي على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه"^(٣).

أي يرد ما لكل من أطراف هذا المتعدي إلى ما هو له مناسب، فالأول يكون فيه ذكر المتعدي، وهو على نوعين: الأول منهما مفصل، وهو ضربان: الأول منهما أن يجيء النشر مرتبًا على ترتيب الف، بأن يكون الأول من النشر للأول من الف، والثاني للثاني، على الترتيب، ويسمى مرتبًا، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤)، "فقد ذكر الليل والنهار على التفصيل، ثم ذكر ما لليل، وهو السكون فيه، ثم ذكر ما يختص به النهار من قضاء الحوائج، وتدير أمور الناس، وجاء ذلك على الترتيب، والثاني منهما أن يكون النشر على غير ترتيب الف؛ لأنه إما أن يكون الأول من النشر للآخر من الف، والثاني لما قبله وهكذا، ويسمى معكوس الترتيب"^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٠٧/٥) (باب اللام والفاء، وما يثلاثهما).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤٣٠/٥).

(٣) الإيضاح (ص ٣١٣).

(٤) القصص (٧٣).

(٥) انظر التحرير والتنوير (١٧١/٢٠/٨).

جهود الألوسي في اللف والنشر:

لقد تناول الألوسي هذا الضرب من البديع في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ^ط وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ^ط وَإِنْ يَمَسُّكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^ط (١).

حيث قال: "والآية من قبيل اللف والنشر؛ فإنَّ مسَّ الضرر ناظر إلى قوله تعالى: إني أخاف.. الخ، ومسَّ الخير ناظر إلى قوله سبحانه: من يصرف عنه.. الخ" (٢).

كما تناول الألوسي أسلوب اللف والنشر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَهْكَمَتْ أَيْتُهُ^ط ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٣) حيث قال: "ففي الآية اللف والنشر، وأصل الكلام: أحكم آياته الحكيم، وفصلها الخبير، ثم عدل عنه إلى أحكمت حكيم، وفصلت خبير، ثم إلى ما في النظم الجليل لما في الكناية من الحُسن مع إفادة التعظيم البالغ الذي لا يصل إلى كنهه وصف الواصف، لا سيما وقد جيء بالاسمين الجليلين منكرين بالتنكير التفخيمي" (٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^ط فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ^ط وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ^ط وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٥) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُتَفِيقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥).

يبيِّن الألوسي موضع اللف والنشر في الآية، حيث قال: "فقوله: ليجزي ويعذب متعلق بالمنفي والمثبت على اللف والنشر التقديري" (٦).

(١) الأنعام (١٥-١٧).

(٢) روح المعاني (١١٣/٧).

(٣) هود (١).

(٤) روح المعاني (٢٠٥/١١).

(٥) الأحزاب (٢٣-٢٤).

(٦) روح المعاني (١٧٣/٢١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(١).

يقول الألوسي: "والمعلوم راجع إلى قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)، والمحسور راجع إلى قوله سبحانه (ولا تبسطها)، ففي الآية لفٌّ ونشر"^(٢).

(١) الإسراء (٢٩).

(٢) روح المعاني (٦٥/١٥).

المطلب الثالث

تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وهو: "أن تبالغ في المدح إلى أن تأتي بعبرة يتوهم السامع في بادئ الرأي أنه ذم، وذلك بأن تثبت للممدوح وصفاً يُمدح به، أو تنفي عنه صفة ذم، ثم تستثني من ذلك صفة مدح"^(١).

وهو ضربان:

أحدهما: "أن يستثنى من صفة ذمٍ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب"^(٢)

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئاً من العيب، على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال"^(٣).

فالتأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببيّنة.

والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، فإذا نطق المتكلم بـ(إلا) أو نحوها، توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخَرَّجٌ مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدحٍ تأكد المدح؛ لكونه مدحاً على مدح، وإن كان فيه نوع من الخلابة.

(١) انظر خزانة الأدب (٣٩٩/٢).

(٢) ديوان النابغة الذبياني (ص ٣٢).

(٣) انظر: الإيضاح (ص ٣٢٥).

الضرب الثاني: "أن يثبت لشيء صفة مدح، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له، كقول النبي ﷺ: (أنا أفصح العرب، بيد أي من قريش)، ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب ثالث، وهو أن يأتي الاستثناء فيه (مفرغاً)"^{(١)(٢)}.

ومن شواهد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٣).

"ففي هذه الآية الكريمة بيان لشدة حنق فرعون على السحرة الذين آمنوا برب موسى وهارون، بدليل ما جاء في الآية الكريمة على لسانهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ أصله من النقمة، يقال: نَقَمْتُ الشيء إذا نَكَرْتُهُ، إما باللسان، وإما بالعقوبة"^(٤)، "والمراد أنك يا فرعون لا تكره منا فعلاً، ولا تطعن علينا قولاً تعذبنا لأجله إلا إيماننا بالله تعالى"^(٥). وفي هذه الصياغة يظهر لنا أحد ألوان البديع: وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا﴾ يجوز ما يلي من الإعراب: "أن يكون في محل نصب مفعولاً به، أي: ما تعيب علينا إلا إيماننا. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي: ما تنال وتعذبنا لشيء من الأشياء إلا لإيماننا، وعلى كلا القولين فهو استثناء مفرغ"^(٦).

(١) "ويسمى الاستثناء مفرغاً؛ لأن ما قبل إلا قد تفرَّغ لطلب ما بعدها، ولم يشتغل عنه بالعمل فيما يقتضيه". انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ (ص ٢٤٧).

(٢) الإيضاح (ص ٣٢٥، ٣٢٦).

(٣) الأعراف (١٢٦).

(٤) انظر: المفردات (ص ٥٠٤).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/٧).

(٦) روح المعاني (٢٨/٩)، والدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. (٤٢٢/٥)، وانظر: تفسير البحر المحيط (٣٦٦/٤). وأما ابن عاشور فإنه يرى أنه من الاستثناء المتصل، وليس من المنفصل؛ لأن الإيمان ينقمه فرعون عليهم، فليس في الكلام تأكيد الشيء بما يشبه ضده. انظر: التحرير والتنوير (٥٦/٩/٤).

"ففي إثبات الغضب المنفي إشارة إلى أنه سيذكر شيئاً يستحقه؛ فاستخدمت (إلا) أداة الاستثناء، مما يهيئ للسامع أنه ستأتي بعد هذه الصفة التي من أجلها استحقوا الغضب والذنب اللذين تتبعهما العقوبة انتقاماً، ولكن السامع فوجئ بفخر المؤمنين بذنبهم، ألا وهو الإيمان، واصفين به أنفسهم؛ الذي هو أصل المفاخر، وخير الأعمال، وهو ليس ذنباً يعابون عليه كما يدّعي فرعون، وبذلك أثبتوا لأنفسهم البراءة التامة من العيوب والنواقص"^(١).

"وسرّ جمال هذا اللون البديعي: في اعتماده على المفاجأة، مما يحصل معه ويتحقق تأكيد الصفة بغير ما كان يتوقع السامع؛ لأن الاستثناء يمهّد لمعنى مخالف لما سبق، ومجيء التأكيد للمعنى السابق يحدث إيقاظاً وتنبيهاً، وفيه طرفة في التعبير"^(٢).

جهود الألوسي في تأكيد المدح بما يشبه الذم:

لقد تناول الألوسي أسلوب (تأكيد المدح بما يشبه الذم) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) حيث قال: "فالكلام هنا استدراك على ما قبله، رافع لما يتوهم منه، وذلك لأن القوم لما أثبتوا له الضلال أرادوا به ترك دين الآباء، ودعوى الرسالة، فحين نفى الضلالة توهم منه أنه على دين آبائه، وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول، وثابت على الصراط المستقيم استدراكاً لذلك، ويصح أن يكون استدراكاً مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في أقصى مراتب الهداية، فإن رسالته من رب العالمين مستلزمة له لا محالة، كأنه قيل: ليس بى شيء من الضلالة، لكنى في الغاية القاصية من الهداية، وحاصل ذلك أن لكن حقها أن تتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا، والتغاير هنا حاصل من حيث المعنى، كما في قولك: جاءني زيد لكن عمرًا غاب، وفائدة العدول عن الظاهر إرادة المبالغة في إثبات الهداية على أقصى ما يمكن، كما نفى الضلالة كذلك، فهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم"^(٤).

(١) انظر تفسير البحر المحيط (٤/٣٦٦).

(٢) انظر المطول (ص ٦٧٤).

(٣) الأعراف (٦١).

(٤) روح المعاني (٨/١٥١).

كما قال الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١).

"وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو يفيد نفي سماع اللغو بالطريق البرهاني الأقوى، والاتصال على هذا على طريق الفرض والتقدير، ولولا ذلك لم يقع موقعه من الحسن والمبالغة"^(٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣) يقول الألوسي: "في الآية استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية، فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم"^(٤).

(١) مريم (٦١-٦٢).

(٢) روح المعاني (١٦/١١٢).

(٣) البروج (٨).

(٤) روح المعاني (٣٠/٩٠).

المطلب الرابع

الاحتباك

الاحتباك في اللغة:

يقول ابن فارس: "الحاء والباء والكاف، أصل منقاس مطّرد، وهو إحكام الشيء في امتداد واطّراد، يقال: بعير مَحْبُوكُ القَرَى، أي قويّه"^(١)، ويقال: "حَبَكَ الشيء حبّا: أحكمه، ومنه يقال: حَبَكَ الثَّوبَ: أجاد نسجه"^(٢).

والاحتباك في اصطلاح البلاغيين:

هو: "أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَلَهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾"^(٣)، الأصل: فإن افتريته فعليّ إجرامي، وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم، وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: ﴿إِجْرَامِي﴾، وهو الأول إلى قوله: (وعليكم إجرامكم)، وهو الثالث كنسبة قوله: (وأنتم برآء منه)، وهو الثاني إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾، وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما"^(٤).

ويلاحظ أن المعنى اللغوي مرتبط مع المعنى الاصطلاحي ارتباطاً وثيقاً، ومعبّراً عنه بوضوح، حتى إن: "مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحَبَكَ الثوبَ: شدّ ما بين خيوطه من الفُرج، وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شُبّهت بالفُرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/١٣٠)، (باب الحاء والباء، وما يثلاثهما).

(٢) المعجم الوسيط (١/٣١٩).

(٣) هود (٣٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٣/١٢٩)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/١٦٤).

كان حائِكا له مانعا من خلل يطره، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق" (١).

وقيمة البلاغة: يعبر عنها السيوطي بقوله: "وهو من أطف الأنواع، وأبدعها، وقل من تنبه له، أو تنبه عليه من أهل فن البلاغة، وذكره الزركشي في البرهان، ولم يسمه هذا الاسم، بل سمّاه الحذف المقابل" (٢).

ومن أعظم دلائل قيمته البلاغية كثرة وروده في القرآن الكريم، وله مزية أخرى، ذلك أنه يجعل العقل يذهب فيه لتدبر معانيه، مما يجعل المؤمن القارئ نشطا في ترقب نظم الألفاظ، وتتبع جمل الكلام بمهارة وحذق.

ومن الاحتباك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۚ إِنَّهُ يَرَٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) فهذا الأداء الراقي للأسلوب البياني القرآني أخرج المعنى بألفاظ وجيزة مع الإيضاح، فالأصل أن يقال: (لا يفتنكم الشيطان فيخرجكم من الجنة، كما فتن أبويكم فأخرجهما من الجنة)، فحذف (فيخرجكم من الجنة) من الجملة الأولى، ودلت عليها الجملة الثانية (كما أخرج أبويكم)، وحذف من الجملة الثانية (كما فتن أبويكم)، وقد أخذ القول المحذوف من قوله عز وجل (لا يفتنكم الشيطان). وهكذا قد حذف من الأول ما يدل عليه الثاني، وحذف من الثاني ما يدل عليه الأول.. (٤).

جهود الألوسي في الاحتباك:

(١) الإتيان في علوم القرآن (١٦٥/٢).

(٢) المصدر نفسه (٧٩/٢).

(٣) الأعراف (٢٧).

(٤) البحر المحيط (٢٨٤/٤).

لقد تناول الألوسي الاحتباك في تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

حيث قال: "إن كنتم مؤمنين، تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام، وتشديد التهويل، أي إن كنتم مؤمنين فلم تقتلوه، وقد حُذِفَ من كل واحدة من الشرطيتين ما حُذِفَ؛ ثقة بما أُثْبِتَ في الأخرى على طريق الاحتباك"^(٢).

ويقول الألوسي في تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا تَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

"(ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ بالمعروف) فيه صنعة الاحتباك، ولا يخفى لطفه فيما بين الزوج والزوجة، حيث حذف في الأول بقرينة الثاني، وفي الثاني بقرينة الأول، كأنه قيل: ولهنَّ عليهم مثل الذي لهم عليهنَّ"^(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَّمٌ سَنَمِتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥).

يقول الألوسي: "وفي الآية صنعة الاحتباك؛ لأنه حُذِفَ من الثاني ما ذُكِرَ في الأول، وذُكِرَ فيه ما حُذِفَ من الأول، والتقدير سلامٌ منَّا عليك، وبركات أو وبركة منَّا عليك"^(٦).

(١) البقرة (٩١).

(٢) روح المعاني (٣٢٥/١).

(٣) البقرة (٢٢٨).

(٤) روح المعاني (١٣٤/٢).

(٥) هود (٤٨).

(٦) روح المعاني (٧٣/١٢).

كما جاء الاحتباك في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿لَيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١).

حيث قال: "وفي الكلام احتباك، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم، وأعد لهم ثواباً عظيماً، ويسأل الكاذبين عن كذبهم، وأعد لهم عذاباً أليماً، فحذف من كل منهما ما ثبت في الآخر"^(٢).

(١) الأحزاب (٨).

(٢) روح المعاني (١٥٥/٢١).

المطلب الخامس

التورية

تعريفها:

أولاً في اللغة: "وَرَيْتُ الشيءَ وواريته: أخفيته، وتوارى هو استتر، ووَرَيْتُ الخبر أَوْرِيَه تورية إذا سترته، وأظهرتُ غيره"^(١).

ثانياً في الاصطلاح: "لفظ له معنيان، قريب وبعيد، وإرادة البعيد باعتماده على قرينة خفية"^(٢).

جهود الألوسي في التورية:

ومن شواهد التورية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

يقول الألوسي معلقاً على الآية الكريمة، موضحاً المحسن البديعي فيها: "ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم وعملت فيه من الإثم، وهو الذي يقتضيه سياق الآية؛ فإنه للتهديد والتوبيخ، ولهذا أُوثر يتوفاكم على يمينكم ونحوه، و جرحتم على كسبتم؛ إدخالاً للمخاطبين الكفرة في جنس جوارح الطير والسباع.. ففي قوله (جرحتم) تورية"^(٤).

وقد تناول الألوسي التورية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥).

(١) لسان العرب (٣٨٦/١٥) مادة وري.

(٢) خلاصة المعاني (ص ٤١٩).

(٣) الأنعام (٦٠).

(٤) روح المعاني (١٧٣/٧).

(٥) النحل (١٥).

حيث قال: "أي تحتدون لها، فالتعليل بالنظر إلى قوله تعالى: (وسبلاً) كما هو الظاهر، ويجوز أن يكون تعليلاً بالنظر إلى جميع ما تقدّم؛ لأن تلك الآثار العظام تدل على وجود فاعل حكيم، ففي قوله تعالى: تحتدون تورية حينئذ" (١).

كما تناول الألوسي التورية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ (٢).

حيث قال: "ولا يخفى حسن ذكر السلطان مع العلاء، وفيه تورية عن معنى الملك، مرشحة بقوله (ولا تعلوا)" (٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤).

يقول الألوسي: "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم: تمثيل في اجتهداهم في إبطال الحق بحالة من ينفخ الشمس بفيه ليطفئها؛ تهكُّماً وسخرية بهم، كما تقول الناس: هو يطفئ عين الشمس.. وفي قوله تعالى "بأفواههم" تورية" (٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ خُسْبَانٌ ﴿٥٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (٦).

يقول الألوسي: "والمراد بالنجم النبات الذي ينجم، أي يظهر ويطلع من الأرض، ولا ساق له، وبالشجر النبات الذي له ساق، والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما، فشبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه. والجمهور على تفسير النجم بما

(١) روح المعاني (١٤/١١٦).

(٢) الدخان (١٩).

(٣) روح المعاني (٢٥/١٢١).

(٤) الصف (٨).

(٥) روح المعاني (٢٨/٨٨).

(٦) الرحمن (٦).

ذُكِرَ؛ لأن اقترانه بالشجر يدل عليه، وإن كان تقدّم الشمس والقمر يتوهم منه أنه بمعناه المعروف، ففيه تورية ظاهرة"^(١).

(١) روح المعاني (٢٧/١٠٠).

المطلب السادس المقابلة

تعريفها: أولاً في اللغة.

يقول ابن فارس: "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح، تدلُّ كَلِمُهُ كُلُّهَا على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرّع بعد ذلك"^(١).

ثانياً في الاصطلاح:

"أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب"^(٢).
مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جِزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣). فقابل بين يضحكوا وقليلًا، ويبكوا وكثيرًا. وقول النبي ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)^(٤) فقابل بين يكون وشانه، وينزع وشانه.

ومنه قوله ﷺ: (إنَّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر)^(٥).

فقابل بين مفاتيح والخير، ومغاليق والشر.

وقول النابغة:

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقهُ على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعدايا^(٦)

فقد قابل بين يسر وصديقه، ويسوء والأعدايا.

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٥٢).

(٢) الإيضاح (ص ٣٠٤).

(٣) التوبة (٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/٢٠٠٤)، رقم (٢٥٩٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) سنن ابن ماجه (١/٨٦)، حديث رقم (٢٣٧).

(٦) الإيضاح (ص ٣٠٤).

وقول المتنبي:

ومن العداوة ما ينالُك نفعُهُ ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلم^(١)

فقد قابل بين العداوة ونفعه، والصداقة ويؤلم.

جهود الألويسي في المقابلة:

لقد تحدّث الألويسي عن المقابلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(٢).

فقال: "المراد من الإيمان الصلاة كما في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)"^(٣)، ويكون ذكره في مقابلة إضاعة الصلاة، وذكر العمل الصالح في مقابلة اتباع الشهوات، فأولئك المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم. ولا يخفى ما في ترك التسوية مع ذكر أولئك من اللطف"^(٤).

(١) ديوان المتنبي (٢٥٩/٤).

(٢) مريم (٥٩-٦٠).

(٣) يقول ابن كثير: وقوله: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا"، أي: إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات، فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم". انظر: مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

(٤) (٤٥٨/٢).

(٤) روح المعاني (١١٠/١٦).

المطلب السابع المشكلة

تعريفها:

أولاً في اللغة: "الشين والكاف واللام مُعْظَمُ بابه المماثلة. تقول: هذا شَكْل هذا، أي مثله. ومن ذلك يقال أمرٌ مُشْكِل، كما يقال أمرٌ مُشْتَبِه، أي هذا شابه هذا، وهذا دخل في شَكْل هذا"^(١).

ثانياً في الاصطلاح:

"هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا" أما الأول فكقوله:

قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت: اطبخوا لي جُبَّة و قميصاً^٢

ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^٣

أي فنجازيه على جهله، فجعل لفظة نجهل موضع فنجازيه؛ لأجل المشكلة^(٤).

وأما الثاني فكقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً^٥ وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾^(٥).

فصبغة مصدر مؤكد منتصب عن قوله (آمنا بالله) قبله، والمعنى تطهير الله؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر، يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، فأمر المسلمون أن يقولوا لهم: (قولوا آمنا بالله)، وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا، أو يقول المسلمون:

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/١٥٩).

(٢) لم أقف على قائل للبيت.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم. شرح: عبد القادر محمد مايو. دار القلم، حلب، سوريا، الطبعة الأولى. ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م. (ص ٧٩).

(٤) خزنة الأدب (٢/٢٥٢).

(٥) البقرة (١٣٨).

صبغنا الله بالإيمان صبغة، ولم يصبغ صبغتك، وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة، وإن لم يكن تقدّم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول -من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر- دلّت على ذلك، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرم^(١).

جهود الألوسي في المشاكلة:

لقد تناول الألوسي المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَيُعَذِّبْكَ اللَّهُ عَذَابًا قَاسِمًا لَا تَظُنُّ أَنَّكَ أَعْلَمُ مَآ فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢).

حيث قال: "والمراد تعلم معلومي الذي أخفيه في قلبي، فكيف بما أعلنه، ولا أعلم معلومك الذي تخفيه.. وسلك في ذلك مسلك المشاكلة"^(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذُكِّرُوا بِاللَّهِ فَانْسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤) يقول الألوسي: "نسوا الله: النسيان مجاز عن الترك، وهو كناية عن ترك الطاعة، فالمراد لم يطيعوه سبحانه فنسيهم، مع لطفه وفضله عنهم، والتعبير بالنسيان للمشاكلة"^(٥).

وقد تطرق الألوسي للحديث عن المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦).

(١) الإيضاح (ص ٣٠٩).

(٢) المائدة (١١٦).

(٣) روح المعاني (٦٧/٧).

(٤) التوبة (٦٧).

(٥) روح المعاني (١٣٣/١٠).

(٦) النور (٤٥).

وذلك بقوله: "من يمشي على بطنه كالحَيَّاتِ والسَّمَكِ، وتسمية حركتها مشيًا - مع كونها زحفًا - مجاز؛ للمبالغة في إظهار القدرة، وأنها تزحف بلا آلة كشبه المشي وأقوى، ويزيد ذلك حسنًا ما فيه من المشاكلة، لذكر الزاحف من الماشين" (١).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٢) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ (٣) قال الألوسي: "وعبر عن الخرور بالإلقاء؛ لأنه ذكر مع الإلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة" (٤).

كما تناول الألوسي المشاكلة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ (٥).

حيث قال: "(ننساكم): أي نترككم في العذاب، من باب إطلاق السبب على المسبب؛ لأن من نسي شيئًا تركه، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به، ففي النسيان الأول مشاكلة" (٦).

(١) روح المعاني (١٨/١٩٣).

(٢) الشعراء (٤٥-٤٦).

(٣) روح المعاني (١٩/٧٨).

(٤) الجاثية (٣٤).

(٥) روح المعاني (٢/٢٦).

المبحث الثاني

المحسنات اللفظية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الجناس

المطلب الثاني: الفاصلة القرآنية.

المطلب الثالث: رد العجز على الصدر.

المطلب الأول

الجناس

الجناس في اللغة:

"بكسر الجيم، وهو لغةً مصدر جانس، ويسمى التجنيس، والمجانسة، وهو مشتق من حروف الجنس؛ لأن كلاً من اللفظين المتجانسين من جنس"^(١).

وفي اصطلاح البلاغيين:

"الجناس بين اللفظين هو تشابهما في اللفظ"^(٢) مع الاختلاف في المعنى، ولا يشترط في الجنس تشابه جميع الحروف، وإنما يكتفى في التشابه ما تعرف به المجانسة، وهي: "أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها"^(٣).

والجناس ضربان: "التمام، وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، وهو أنواع.

والضرب الثاني؛ غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة المذكورة، وهي: نوع الأحرف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، ويأتي هذا الجنس على أنواع كذلك"^(٤).

والجناس من أكثر أنواع البديع تفرعاً، وأقسامه متشعبة.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١)، (باب الجيم والنون، وما يثلاثهما).

(٢) الإيضاح (ص ٣٣٣).

(٣) انظر: البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تقديم وشرح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. (ص ٢٥).

(٤) انظر: المطول (ص ٦٨٢).

المراد بقوله: أنواع الحروف، أن يتفقا (أي اللفظان) في أنواع الحروف، وكل من الألف والباء والتاء إلى الآخر نوع آخر من الحروف، ويخرج بذلك يفرح ويمرح، وفي أعدادها: يخرج نحو الساق والمساق، وفي هيئاتها يخرج به نحو: البرد والبرد. انظر: المطول (ص ٦٨٢).

وللجناس مكانته في البلاغة، واشتروا لذلك ألا يكون متكلفاً، بأن يأتي في السياق مؤدياً معنى. ولقد قال فيه عبد القاهر الجرجاني: "أما التجنيس، فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً، فقد تبين لك أن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وُجد فيه معيب مستهجن، ولذلك دُمَّ الاستكثار منه والولوع به"^(١).

أثر الجناس:

أ- "في الكلام: عظيم الموقع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، ولولا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد وقد استعمل فيه هذا اللون البديعي.

ب- وفي النفوس: يحدث ميلاً وإصغاءً إليه؛ بتشويق السامع إلى معنى اللفظ الآخر"^(٢).
"إن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمِل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوّق إليه"^(٣).

جهود الألوسي في الجناس:

لقد جاء الجناس في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾^(٤).

حيث قال الألوسي: "(وما وجدنا لأكثرهم) فإنها كما في قولك: ما وجدتُ لزيد مالاً، أي ما صادفت له مالاً ولا لقيته. (وإن وجدنا أكثرهم) أي علمناهم، كقولك: وجدتُ زيداً فاضلاً، وبين وجد هذه، ووجد السابقة فيه الجناس التام المماثل"^(١).

(١) أسرار البلاغة (ص ٧-٨).

(٢) انظر: كتاب الطراز (١٩٦/٣).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢٤٤/٢).

(٤) الأعراف (١٠٢).

وفي تفسيره لقوله سبحانه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ ﴿١٧﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٢).

يقول الألوسي: "فالأبصار الأخيرة هنا جمع بَصَر بمعنى البصيرة بخلافها فيما سبق، والتعبير بذلك دون البصائر للإيذان بوضوح الدلالة، وتفاديًا لذهاب حسن التجنيس. فبين الأبصار الأولى والثانية جناس تام"^(٣).

(١) روح المعاني (١٧/٩).

(٢) النور (٤٣-٤٤).

(٣) روح المعاني (١٨/١٩٢).

المطلب الثاني

الفاصلة القرآنية

تعريف الفاصلة:

أولاً في اللغة:

جاء في معاجم اللغة: "والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصلَ النظم، وعُقِّدُ مفصَّل: أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة، وقوله وَجَّكَ: "كتاب فصلناه" له معنيان، أحدهما تَفْصِيل آياته بالفواصل، والمعنى الثاني في فَصَّلناه بَيَّنَّاه. وقوله وَجَّكَ (آيات مفصَّلات) بين كل آيتين فَصَّل، تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيتين مهلة، وقيل مفصَّلات مَبَيَّنَات. وسمي المَفْصَّلَ مَفْصَّلاً لِقَصَر أَعْدَاد سُورِهِ من الآي" (١).

ثانياً في اصطلاح البلاغيين:

"هي الألفاظ المتواطؤ عليها في أواخر الفقر" (٢).

وفواصل الآي الكريم تتعلّق بمضمون الآية، وتناسب مع سياق نظمها، وهذا من إعجاز الذكر الحكيم. يقول الزركشي: "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب" (٣).

ويقول عن قيمة الفاصلة في تمكين معنى الآية: "وذلك بأن تمهد قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقة

(١) لسان العرب (١١/٥٢١)، (مادة فصل).

(٢) المطول (ص ٦٩٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٧٨).

معناها بمعنى الكلام كله تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت اختلّ المعنى، واضطرب الفهم. وهذا الباب يطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن"^(١).

وبذلك يتبين في شأن الإعجاز البلاغي أنه: "ما من فاصلة قرآنية إلا وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها، بحيث لا يتسهّل في النظم الكريم أن يقع في مكانها سواها، وإنما الأجل بنا أن نقرّ بقصور الإدراك فينا؛ فهو آدب وأتقى"^(٢).

وهذا ما ذهبت إليه بنت الشاطي بقولها: "ومقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنويّة لا يؤديها لفظ سواه قد نتدبره فنهتدي إلى سرّ البياني، وقد يغيب عنا فنُقرّ بالقصور عن إدراكه. فالبلاغة من حيث هي فن القول لا تفصل بين جوهر المعنى، وبين أسلوب أدائه، ولا تعتد بمعانٍ جليّة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجوز عليه ليسلم لها زخرف بديعي. وهذا هو الحد الفاصل بين فنّية البلاغة كما تجلّوها الفواصل القرآنية بدلالاتها المعنوية المرفهة، ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يُكره الكلمات على أن تجيء في غير مواضعها"^(٣).

الفاصلة ليست مجرد توافق ألفاظ:

"من الباحثين من ينظر إلى الفاصلة أو السجع في الكلام عامّة على أنه مناسبة لفظيّة مرغوبة ومطلوبة في اللغة العربية، فهي تريح القارئ من البهر، وترشده إلى تلوين الصورة، وإجادة الوقف، وتزيد من روعة التلاوة بما تخلع عليها من إيقاع محبّب، وتمد القراء بألوان من التنعم المؤثر، والتطريب الأخاذ .

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٧٩).

(٢) انظر النظم القرآني في آيات الجهاد، تأليف: ناصر بن عبد الرحمن الحنين، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. (ص ٤٢٦).

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية. الدكتورة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف - الطبعة الثانية، ١٩٨٠م. (ص ٢٧٨).

وهذا إن صدق في سجع الكتاب فلا يصدق إطلاقاً على الفاصلة في القرآن الكريم، فعلياً ألا ننظر إلى بلاغة الفاصلة في القرآن هذه النظرة المحدودة التي لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ، فإن هذه الصورة اللفظية الحسية مع جمالها لا يصح أن تصرفنا ولا تحجب عن ذهننا ما استتر فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض.

والفاصلة في القرآن لها مزية هامة ترتبط بما قبلها من الكلام، بحيث تنحدر على الأسماع انحداراً وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها، وبحيث إذا حُذفت لاختل المعنى في الآية، ولو سكنت عنها القارئ لاستطاع السامع أن يختمه بما انسياغاً مع الطبع والذوق السليم. فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية.

ونحن نحس عندما نسمع القرآن الكريم أو نتلوه أن لهذه الفواصل نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاعاً يعطي الإنسان رَوْحاً، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تثبت في الفؤاد الطمأنينة والارتياح^(١).

جهود الألوسي في الفاصلة القرآنية:

والألوسي يفرق بين السجع والفاصل، فيرى أن الذي بالقرآن هو فواصل وليس بسجع، وذلك يظهر جلياً في قوله: " فواصل القرآن لا يلاحظ فيها الحرف الأخير كالسجع، فالمرعاة حاصلة على كل حال"^(٢).

فكان الألوسي يرى أن السجع لا يهتم إلا بالنظر إلى نهاية الحرف الأخير من الكلمة. ويتضح ذلك أكثر في تفسير الألوسي لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴿^(٣).

(١) الفاصلة القرآنية، تأليف: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر. الرياض، المملكة العربية السعودية. (ص ٧).

(٢) روح المعاني (٧/٢).

(٣) فصلت (٤٢-٤٣).

حيث قال: "واختيار أليم على شديد -مع أنه أنسب بالفواصل- للإيماء إلى أن نظم القرآن ليس كالأسجاع والحُطَب، وإن حسنه ذاتي، والنظر فيه إلى المعاني دون الألفاظ، ويحسن وصف العقاب به هنا كون العقاب جزاء التكذيب المؤلم"^(١).

ويتناول الألوسي ألفاظ الآي مبيناً العلاقة الرابطة بينها، موضحاً الدور المهم الذي تلعبه الفواصل في هذا الجانب، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٢) وإذا أذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ^(٣) يقول الألوسي: "والتعبير بالمضارع في (إذا هم يقنطون)؛ لرعاية الفاصلة، والدلالة على الاستمرار في القنوط"^(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٥) أَيْفَكَا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ^(٦).

يقول الألوسي: "أي أتريدون آلهة من دون الله تعالى إفكاً، أي للإفك، فقدّم المفعول به على الفعل لرعاية الفاصلة، و للعناية"^(٧).

كما يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ^(٩).

"وأردف الأمر بهذا النهي؛ ليفيد عموم الأزمان، وحذف ياء المتكلم تخفيفاً لتناسب الفواصل"^(١٠).

(١) روح المعاني (١٢٩/٢٤).

(٢) الروم (٣٦-٣٥).

(٣) روح المعاني (٤٣/٢١).

(٤) الصفات (٨٦-٨٥).

(٥) روح المعاني (١٠٠/٢٣).

(٦) البقرة (١٥٢-١٥١).

(٧) روح المعاني (١٩/٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١﴾.

يقول الألوسي: "والجار - في بالآخرة - متعلق بما بعده، والتقديم لرعاية الفواصل" (٢). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أَلَمْ تَأْتُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَافِلِينَ ﴿٣﴾.

يقول الألوسي: "وتقديم الجار والمجرور على الفعل - في به تستعجلون - لمراعاة الفواصل" (٤). ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿٥﴾.

"كفور: كثير الكفران لما سلف لله - تعالى - عليه من النعم، وتأخير هذا الوصف عن وصف يأسهم لرعاية الفواصل" (٦).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْ نُنَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ وَنَذِيرًا كَثِيرًا ﴿٧﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٨﴾. يقول الألوسي: "والباء متعلقة ببصيرًا، فُدمت عليه لمراعاة الفواصل" (٨).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٩﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿١٠﴾.

(١) الأعراف (٤٤-٤٥).

(٢) روح المعاني (١٢٣/٨).

(٣) يونس (٥٠-٥١).

(٤) روح المعاني (١٣٥/١١).

(٥) هود (٩-١٠).

(٦) روح المعاني (١٥/١٢).

(٧) طه (٣٣-٣٥).

(٨) روح المعاني (١٨٦/١٦).

(٩) طه (٦٦-٦٧).

يقول الألوسي: "وتأخير الفاعل (موسى عليه السلام) لمراعاة الفواصل"^(١)

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَّلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ^(٣) .

يقول الألوسي: "وكان تلوين الخطاب - في الذين آمنوا والمنافقين - لرعاية الفواصل"^(٣).

ويقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ^(٤) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن صَيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ^(٥) .

"قُدِّمَ المفعول في الجملة الأولى (فريقًا)؛ لأن مساق الكلام لتفصيله، وأُخِّرَ في الثانية لمراعاة الفواصل"^(٥).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾ ^(٦) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ^(٦) .

يقول الألوسي: "فلها متعلق بـ(مالكون)، واللام مقويّة للعمل، وقُدِّمَ لرعاية الفواصل مع الاهتمام"^(٧).

وأيضاً يقول: "وتغيير النظم الجليل في الأكل لمراعاة الفواصل، كما أن تقديم الجار والمجرور لذلك"^(٨).

(١) روح المعاني (٢٢٨/١٦).

(٢) العنكبوت (١٠-١١).

(٣) روح المعاني (١٤٠/٢٠).

(٤) الأحزاب (٢٥-٢٦).

(٥) روح المعاني (١٧٦/٢١).

(٦) يس (٧١-٧٢).

(٧) روح المعاني (٥١/٢٣).

(٨) روح المعاني (٩٠/٢٤).

المطلب الثالث رد العجز على الصدر

تعريفه:

أولاً في اللغة: من (صَدَرَ) "الصاد، والذال، والراء أصلاً صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر: صدر الإنسان وغيره، ومن التصدير، وهو جبل يُصَدَّر به البعير لئلا يُرَدَّ حملة إلى خلفه"^(١).

ثانياً في الاصطلاح: "هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بها في أول الفقرة، والآخر في آخرها، كقوله تعالى: ﴿وَتَخَشَّى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٢)، وكقولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل"^(٣).

ومنه قول امرئ القيس:

إذا المرء لم يَخْزُ عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان^(٤)

وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في آي الذكر الحكيم، وقد اعتنى به البلاغيون عناية فائقة، وأنزلوه منزلة عظيمة، واهتم بذكره المفسرون، حيث يتعرَّضون إليه بشيء من التوضيح والتفصيل؛ وذلك للدور البارز الذي يلعبه هذا المحسن البديعي في رسم الصورة الفنية التي تحتوي عليها الآيات.

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٣٧) (باب الصاد والذال، وما يثلهما).

(٢) الأحزاب (٣٧).

(٣) الإيضاح (ص ٣٣٨).

(٤) ديوان امرئ القيس (ص ١١٤).

يقول صاحب البحر المحيط في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

"انظر إلى حسن اعتناؤه بنبيّه، وتشريفه بخطابه، حيث بدأ به في الجملتين معاً فقال : (ما عليك من حسابهم من شيء)، ثم قال : (وما من حسابك عليهم من شيء)"، فقدم خطابه في الجملتين، وكان مقتضى التركيب الأول لو لوحظ أن يكون التركيب الثاني (وما عليهم من حسابك من شيء)، لكنه قدّم خطاب الرسول وأمره تشريعاً له عليهم، واعتناءً بمخاطبته، وفي هاتين الجملتين ردّ العجز على الصدر، ومنه قول الشاعر :

وليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرّمته بمحرّم^(٢)

جهود الألوسي في رد العجز على الصدر:

لقد تطرّق إليه الألوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

حيث قال : "وإنما لم يقل -سبحانه- في النظم (تعبدون) لأجل اعبدوا، أو (اتقوا) لأجل تتقون؛ ليتجاوب طرفاه، مع اشتماله على صنعة بديعة من ردّ العجز على الصدر؛ لأن التقوى قصارى أمر العابد، فيكون الكلام أبعث على العبادة، وأشدّ إلزاماً"^(٤).

(١) الأنعام (٥٢).

(٢) تفسير البحر المحيط (١٤١/٤).

(٣) البقرة (٢١).

(٤) روح المعاني (١٨٧/١).

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على ما أنعم به عليّ من نِعَم عظيمة، ومن هذه النعم كتابة هذا البحث، فالفضل والمنّة له أولاً وآخر، و (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

وفي خاتمة هذا البحث أسأل الله سبحانه أن يتقبّله بقبول حسن، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به جميع الطلاب والقراء، وكل محبّي الفنون اللغوية، والبلاغية على وجه الخصوص..

فقد تبينّ للباحث بما لا يدع للشك مجالاً تلك الجهود القيّمة التي قدّمها الألوّسي في خدمة كتاب الله، وتحليل آياته، وإخراج الصور البلاغية الرائعة التي تشتمل عليها الآيات، فقد أسهم أبو الثناء الألوّسي في إثراء الساحة البلاغية بنصيب وافر، وجهد مقدّر يعين على تدبُّر وتأمل كتاب الله.

وهذا العمل الخالص الذي قام به الألوّسي ليس غريباً عليه، بل هو بالفعل أهل لأن يساهم بمثل ذلك في خدمة كتاب الله، فقد اتّضح لنا جليّاً -إضافة لما عرفناه عن سيرته في الفصل الأول- أنه كان يواصل الليل بالنهار في تأليف كثير من مؤلفاته، فرجل أعطى عمله كل هذا الاهتمام، وواجه كل هذه المشاق، حري أن يأتي عمله غاية في الدقّة والروعة التي لمسناها من خلال هذا البحث.

وأيضاً تبين لنا من خلال هذا البحث ما يدل على مكانة الألوّسي العلمية، فتلك المؤلفات التي خلفها لهي خير شاهد على سمو مكانته العلمية، حيث تمتاز مؤلفاته بالمادة النفيسة، والأسلوب السلس، وتناول أهم الدقائق في المسألة التي يتطرق لها..

وأهم مؤلفاته كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، حيث إن اختياري له ليكون موضوعاً لأطروحتي هذه جاء بعد اطلاعي عليه، وتقليبي لصفحاته بتأنّ رأيت أنه الأنسب لأتناوله بالدراسة.

فقد شملت الدراسة الفنون البلاغية بضروبها المختلفة، وبأقسامها المتعددة، حيث تبين لنا ما أضافه الألوسي من الصور البلاغية الرائعة، حيث رأينا ذلك من خلال الفصل الذي خصصته لمسائل علم المعاني، وما تضمنه من أساليب الخبر والإنشاء، والصور التي بين الألوسي أن فيها خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، حيث حفلت كل هذه الصور بالعديد من الأدلة على ما ذهب إليه الألوسي.

كما لمسنا الدقّة المتناهية التي تناول بها الألوسي أسلوب الفصل والوصل، فهو عندما يبين موضع هذا الأسلوب لا يترك الأمر معرّى عما يعرض قوله، بل وجدناه يقف مبرهنًا بأسلوب مقنع سبب الفصل أو الوصل بين الجمل التي يتناولها.

أما الأساليب البيانية فلا يخفى جهد الألوسي فيها، حيث اتضح لنا دوره في كل مسائل البيان من تشبيه ومجاز وكناية، حيث لا نكون مبالغين إذا قلنا إن روح المعاني حلّة بيانية زاهية صاغها الألوسي بمهارة وإبداع.

وفي الصور البديعية تبينت مكانة الألوسي في تأكيد أهمية هذا الفن في تبين ما يحمله القرآن الكريم من صور بلاغية، حيث تبين لنا دور المحسنات المعنوية واللفظية في إيضاح الصورة الفنية التي تفيض بها آيات الذكر الحكيم، كما لمست أن الألوسي نأى بنفسه عن الخوض في قضية السجع في القرآن الكريم، فهو يرى أن الذي بالقرآن فواصل لا سجع، ومع هذا لم يستنكر على من ذهبوا إلى وجود السجع بالقرآن، كما أنه لم ينصر الفريق الذي ذهب إلى نفي السجع عن القرآن.

وإنني بعد أن أكملت كتابة هذا البحث لأجد بعض التوصيات التي تحدر الإشارة إليها، والتنبيه إلى أهميتها، وأهم هذه التوصيات ما يلي :

أن البحث في موضوع البلاغة القرآنية يحتاج إلى مزيد من الدراسات التي ينبغي أن تُجرى فيه؛ وذلك لأن البلاغة القرآنية تعجُّ بالأسرار والدقائق النفيسة التي تحتاج إلى من يتأملها، ويقف عندها، فأوصي جميع الباحثين في مجال الدراسات البلاغية أن يركزوا على البحث في مجال البلاغة القرآنية، وأن تغلب على طابع رسائلهم النواحي القرآنية.

الباحث.

Abstract

The researcher revealed that the valuable efforts provided by Al Allowsi in the analysis and illustration of Q'uran and thus provided good descriptions to the contents of Ayas. Al Allowsi contributed greatly to the eloquence discipline in his readings and deep thoughts on Q'uran.

The valuable works of Al Allowsi is not surprised for such scholar, in that he contributed to serve Q'uran. It is clear that from his life, in chapter one he was hardly devoted in reading, preparing and producing of many works, he put great interest and faced many difficulties so as to brought about such articles as we seen in this research.

Also, through this research we concluded that Al Allowsi approached higher scientific status, and all his works represent a clear indicator for this status. His works characterized by excellent content, fluent language, and dealt with the most important problems.

The prominent works of Al Allowsi was his book “The Sprit of Meanings in Illustration of Q'uran”, which the researcher selected to be the topic of the research after careful readings.

As shown in chapter two, which dealt with meanings science, the study included the different eloquence forms, from which we concluded the additions of Al Allowsi, who added methods in composition and proposition, in which he explained the

underlying meanings of talk, giving many statements to prove his view.

Moreover, we approached his precise study of continuity and discontinuity between phrases he dealt with.

Concerning diction modes, it has been found that Al Allowsi has great role in all its aspects including imagery, similitude, and attribution, in the sole of meanings clearly evident in his works and formulations.

Al Allowsi emphasized on the importance of lulu in Q'ran and its eloquence images, and the role spiritual and verbal pictures in clarification of the artificial image of Quran. He seek in the rhyme in Quran, and he approached that there is no rhyme in Quran but separations.

The most important recommendation is to conduct more studies in the issue of Quran eloquence, in that it contains many secrets that need more study and thinking, thus the researcher must seek it and study it in full details.

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١١٨
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٨٦
سورة البقرة		
﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾	١-٥	١٢٧
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٢-٣	٢٣٤
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥	٢٠٢
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	١٦	٢٢٦
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	١٦	٢٤١
﴿تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِٔاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	١٩	١٦٧
﴿تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِٔاذَانِهِم﴾	١٩	١٩٥
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٢١	٨٩
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٢١	٢٨٣
﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنهَا مِن ثَمَرَةٍ رَّرَقَا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِن قَبْلُ﴾	٢٥	١٩٦
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ...﴾	٢٧	٨
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ...﴾	٢٧	٢٠٩
﴿قَالَ يَتْلُوا آيَاتِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ...﴾	٣٣	١٣٨
﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾	٣٧	٢٣٩
﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ...﴾	٣٧-٣٨	١٢٩
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾	٧٤	١٧٨
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّن عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾	٨٩	٢٤٢
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ...﴾	٩١	٢٦٣
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾	١١٠	١٠٥
﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١١٧	٢٤٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾	١٢٠	١٢١
﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَخُنُّ لَهُ عَبِيدُونَ﴾	١٣٨	٢٦٩
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنِ قِبَلِهِمُ الْآتِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾	١٤٢	١٠٨
﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾	١٤٥-١٤٦	١٧٦
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ...﴾	١٥١-١٥٢	٢٧٩
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾	٢٥٦	٢٠٨
﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِينَ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً...﴾	١٧١	١٦٨
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	١٨٧	٢٣٨
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ...﴾	٢١٠	٨٥
﴿وَلَا تَقْرُبُوهُمْ حَتَّىٰ يَطْهَرُوا فَإِذَا تَطَهَّرُوا فَأَتُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ...﴾	٢٢٢	٧١
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضَّ بِبَأْنِ فَسْهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾	٢٢٨	٢٦٣
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجَلُهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾	٢٣٢	١١٠
﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾	٢٥٣	١٠١
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ...﴾	٢٦٠	٧٩
﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾	٢٦١	١٦٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	١٧١
﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾	٢٦٥	١٦١
﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَبِثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاحِذِيهِ...﴾	٢٦٧	٧١
﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾	٢٧١	٢٥١
﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾	٢٧٢	٢٣٥
﴿تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾	٢٧٣	٢٣٦
﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ...﴾	٢٨٢	١١٠
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً﴾	٢٨٣	٢١٠
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٩	١٠٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾	١١-١٠	١٠٣
﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	١٢	٩٥
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾	١٨	٢٠٨
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ...﴾	٢٠	٨٤
﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ...﴾	٢٩	١٤٥
﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ...﴾	٣٦	٦٦
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ...﴾	٥٢	٢١٠
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	١٠٣	٢٠٧
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْصَحْتَ وُجُوهَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	١٠٧	١٩٧
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾	١١٠	١٢٩
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾	١١٠	١٤٣
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١١١-١١٠	٢٤٣
﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾	١١٧	١٧١
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٣٠	٧٤
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾	١٣٥	١٤٥
﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	١٤٣	٦٧
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا...﴾	١٧٣	٩٤
سورة النساء		
﴿وَأَاتُوا آلَیْتِمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾	٢	١٩٧
﴿وَأَاتُوا الْبَسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ حِلَّةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾	٤	٧٠
﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازِدُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا...﴾	١٦	١١٠
﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّيْطَانَ أَنْ ثَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾	٢٧	٢١١
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...﴾	٢٩	٧٤
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾	٤٣	٢٣٧
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾	٦٥	٩٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَيْنَ أَصْبَحَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ...﴾	٧٣	٨٧
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	٨٧	٨٠
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ...﴾	٩٣	١٠٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا﴾	١٣٧-١٣٨	٢١٨
﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾	١٣٩	٨٠
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾	١٧٤	٢٢٦
سورة المائدة		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ...﴾	٢-١	٧٠
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	١١٩
﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ...﴾	١٢	٢١١
﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ...﴾	٤١	٧٦
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾	٧٢	٢١٩
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧٤	٨٢
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾	٩١	٨١
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ...﴾	٩١	١٤٦
﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِّنَ الدَّمْعِ ...﴾	٨٣-٨٤	١٩١
﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	٨٠	٩٤
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	١١٤	٨٩
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ...﴾	١١٦	٨٥
﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ...﴾	١١٦	٢٧٠
سورة الأنعام		
﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَّن يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ...﴾	١٥-١٧	٢٥٤
﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾	٢١	٨٥
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾	٣١	٢١٧
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٣٢	١٧٦
﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾	٤٧	٨٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ...﴾	٥٠	٨٢
﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾	٥٢	٢٨٢
﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ...﴾	٥٣	٨٣
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	٥٩	١١٦
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	٥٩	٢١٨
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾	٦٠	٢١٩
﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ...﴾	٦٠	٢٦٥
﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾	٧٥	١٠٦
﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾	٧٨-٧٩	٢٤٣
﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي...﴾	٨٠	٨٢
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾	١٥١	٧٥
سورة الأعراف		
﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾	١٦-١٧	٢٠٩
﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾	٢٧	٢٦٢
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ...﴾	٣٧	٨٤
﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا...﴾	٤٤	١٠٤
﴿فَأَذَنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ...﴾	٤٤-٤٥	٢٨٠
﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾	٥٣	٨٧
﴿قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦١	٢٥٨
﴿وَالِإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٦٥	١٣٠
﴿قَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...﴾	٧٥	١١٢
﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾	٧٥	١١٣
﴿قَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ...﴾	٨٨	٩٢
﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾	١٠٢	٢٧٤
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ...﴾	١٢٣	٦٥
﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا...﴾	١٢٦	٢١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِغَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا...﴾	١٢٦	٢٥٧
﴿وَلَا سُقِطَ فِيْـَٔيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾	١٤٩	٢٤٤
﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسْحَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾	١٥٤	٢٢٦
﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾	١٧٥-١٧٦	١٨٠
﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِغَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا ءِجْتَبَيْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا اتَّبَعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾	٢٠٣	١٧٧
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾	٤-٢	١٩٠
﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ...﴾	٦٨-٦٩	٧٠
سورة التوبة		
﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾	٢-١	١٠٢
﴿أَشْتَرُوا بِغَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ؕ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩	٢١٩
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلًّا أَنْ يُنْمَ نُورُهُ﴾	٣٢	٢٢٠
﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٤٠	٧٦
﴿فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥	٢٠٥
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا...﴾	٤٧	٢١٢
﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ ؕ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾	٥٢	٧٢
﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ؕ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِنْكُمْ...﴾	٦٦	٧٧
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾	٦٧	٢٤٢
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ؕ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٦٧	٢٧٠
﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	٨٢	٢٦٧
سورة يونس		
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ...﴾	٥٠-٥١	٢٨٠
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	٨٨	١٤٥
﴿وَأَنْ أَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٠٥	٢٣٩
سورة هود		
﴿الرَّ كُتِبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٥٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَبِنَ أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكُفُورٌ...﴾	١٠-٩	٢٨٠
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ﴾	١٧	٩
﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	٢٤-١٩	١٧٢
﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٢٤	١٦٧
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾	٣٥	٢٦٠
﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ قَلْبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	٤٤	٢٢
﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ قَلْبِي وَغِيضَ الْمَاءِ...﴾	٤٤	٢٢٥
﴿قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ...﴾	٤٨	٢٦٣
﴿وَإِلَىٰ نُوحٍ أَخَاهُمُ صَالِحًا ۖ قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾	٦١	١٢٢
﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾	٨٧	٨٦
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ...﴾	٩٧-٩٨	١٠٨
﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ...﴾	٩٧-٩٨	٢١٢
سورة يوسف		
﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾	٨	٦٣
﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾	٢٩	٩٠
﴿إِنِّي أُرْنِيكَ أَعْصَرَ خَمْرًا﴾	٣٦	١٩٧
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۖ اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ﴾	٥٤	١٣٩
﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ...﴾	٧٠-٧٢	١٠٧
﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنَا تَذَكَّرُ يُوسُفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾	٨٥	٩٣
﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي...﴾	٩٠	٨٣
﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي...﴾	٩٠	١٤٦
سورة الرعد		
﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾	١٤	١٧٨
﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ...﴾	١٦-١٧	١٨٨
﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾	٢١	١٤٧
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَقَابِ﴾	٢٩	٦٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ﴾	٢١	١٣٨
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾	٤١	١٠٢
سورة إبراهيم		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾	٥	١٠٣
﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	١٤٠
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾	١٨	١٨٢
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْآبَوَارِ﴾	٢٨-٣٠	٩
﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾	٤٣	٢١
﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾	٤٣	٢٣٩
سورة الحجر		
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذِّنًا لَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	٢٢	١٦٨
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذِّنًا لَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	٢٢	١٧٧
﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ...﴾	٨٨	٢٤٠
سورة النحل		
﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ...﴾	١٥	٢٦٥
﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ...﴾	٢٦	١٤٢
﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ آيِنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ...﴾	٢٧	١٠٧
﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٩-٣٠	٩٤
﴿ثُمَّ إِذَا كُفِّرُوا عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ...﴾	٥٤-٥٥	٢١٢
﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٥٥	٧٢
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾	٥٨	٢٣٧
﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نَسَقِمْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ...﴾	٦٦	١٣٠
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	١٣٦
سورة الإسراء		
﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفْوَ لَا تَبْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾	٢٣	٧٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾	٢٤	٢٢٨
﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾	٢٤	٢٤٤
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾	٢٩	٢٥٥
﴿وَأَسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾	٦٤	٧٢
﴿وَيَحْزَنُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾	١٠٩	١٩٤
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾	١١١	٩
سورة الكهف		
﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ...﴾	٢٦	٩١
﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٤٥	١٧٧
﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾	٤٩	٢٢١
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾	٧٧	٦٥
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا...﴾	٧٧	٢١٨
﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	٨٠	١٠٩
﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾	٩٥-٩٦	١٧٨
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ...﴾	١١٠	١٢٠
سورة مريم		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾	٤	١٠
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾	٤	٢٠٦
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٣٨	٩٠
﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾	٦١	١٩٢
﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا...﴾	٥٩-٦٠	٢٦٨
﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا...﴾	٦١-٦٢	٢٥٩
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾	٨٨-٨٩	١٠٣
سورة طه		
﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۚ هَٰرُونَ أَخِي ۖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾	٢٩-٣٢	١٢٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾	٢٣-٢٥	٢٨٠
﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلِهِ ۖ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا...﴾	٥٨-٥٩	١١٣
﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى...﴾	٦٦-٦٧	٢٨٠
﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا...﴾	٨٦	١٣٠
﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا...﴾	٩٩-١٠١	٢٠٩
سورة الأنبياء		
﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾	١٥	٢١٣
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ۖ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾	١٨	٢٢١
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ ۖ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۖ...﴾	١٠٤	١٠٦
سورة الحج		
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	١	٢٨٩
﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...﴾	١٩	٢١٣
﴿لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ...﴾	٢٨	٧١
﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	٤٦	١٤٢
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً...﴾	٦٣	١٠٨
سورة المؤمنون		
﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾	٢٧	٦٣
سورة النور		
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾	٣٥	١٦٣
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ...﴾	٣٧	١٤٤
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ﴾	٣٩	١٥٤
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً...﴾	٣٩	١٦٥
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً...﴾	٣٩-٤٠	١٨
﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾	٤٣-٤٤	٢٧٥
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ...﴾	٤٥	١١٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ...﴾	٤٥	٢٧٠
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٥٥	١٣١
سورة الفرقان		
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا...﴾	١١-١٢	٢١٤
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٢٣	٢٢٧
﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	٢٧	٢٣١
﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا...﴾	٣٣-٣٤	١٣٠
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾	٦٨-٦٩	١٢٩
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...﴾	٧٤	٢٤٠
سورة الشعراء		
﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾	٤٥-٤٦	٢٢٢
﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾	٤٥-٤٦	٢٧١
﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ...﴾	٤٩	٦٧
﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾	٨٤	١٩٨
﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَدَّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٠-١٠٢	٨٨
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾	١٤٥-١٤٦	٨١
سورة النمل		
﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	٥٤	٨١
﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيْفَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾	٩٠	٢٠
سورة القصص		
﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾	٨	٢١٦
﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٤	٦٦
﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾	٣٥	٢٤٣
﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ...﴾	٥٠	٨٢
﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٧٣	٢٥٣
﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾	٧٧	٧٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة العنكبوت		
﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ...﴾	١٠-١١	٢٨١
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا...﴾	٤١	٢٧٣
﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾	٥٠	١٢١
سورة الروم		
﴿أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ...﴾	٣٥-٣٦	٢٧٩
﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾	٤٤	٢٥٢
سورة لقمان		
﴿وَإِذَا تَنَتَيْ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا...﴾	٧	١٥٣
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ...﴾	٢٧	١٣٩
سورة المسجدة		
﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦	٢٤٠
سورة الأحزاب		
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	٤	١٤١
﴿لَيَسْئَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٨	٢٦٤
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾	٢١	٩٩
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾	٢١	٢٣٦
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾	٢٣-٢٤	٢٥٤
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ...﴾	٢٥-٢٦	٢٨١
﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾	٣٧	٢٨٢
سورة سبأ		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	٣٣	١٩٠
سورة فاطر		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا...﴾	٢٧	١٤٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً...﴾	٢٩-٣٠	١٠٠
سورة يس		
﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِن أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ...﴾	١٥-١٦	٦٣
﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ...﴾	٢٢-٢٣	١٠٠
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ...﴾	٣١-٣٢	٦٤
﴿وَأَيَّ لَهِمَّ اللَّيْلِ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾	٣٧	٢١٤
﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	٣٩	١٧٥
﴿وَأَيَّاهُ هُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾	٤١	١٣٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾	٤٧	٧١
﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ...﴾	٦٠-٦٢	٦٧
﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	٦٣-٦٤	٧٣
﴿لَيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٧٠	٢١٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ...﴾	٧١-٧٢	٢٨١
سورة الصافات		
﴿وَعِنْدَهُمْ قَنَصِرُ الطَّرَفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾	٤٨-٤٩	١٧١
﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾	٦٤-٦٥	١٥٧
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِئْكَاءَ إِلَٰهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾	٨٥-٨٦	٢٧٩
﴿فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَٰهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ﴾	٩١-٩٢	٨٦
﴿فَاتُّوهُ بِكِسْفِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٥٧	٧٢
سورة ص		
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾	٤٥	١٩٦
سورة الزمر		
﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٢٥٠
﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾	١٩	١٩٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ...﴾	٢٣	١٥
﴿قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٣٩-٤٠	٢٢٢
﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾	٥٦	٢٣٨
سورة غافر		
﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَلْتُنَّيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا أَلْتُنَّيْنَا فَأَعَرَفْنَا بِدُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ...﴾	١١-١٢	٨٨
﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	١٨	٢٣٥
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾	٢٨	١٩٦
﴿لَعَلِّي أَتْلُعُ أَلَّا سَبَبَ ﴿٥٠﴾ أَسَبَبَ السَّمَنَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾	٣٦-٣٧	٩٥
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيَنْ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ...﴾	٧٣-٧٤	٨٤
سورة فصلت		
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	٣٩	٢٢٣
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ...﴾	٤٢-٤٣	٢٧٨
سورة الشورى		
﴿فَاطِرُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا..﴾	١١	١١١
﴿فَاطِرُ السَّمَنَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾	١١	٢٤١
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾	١٤	٢٠٥
﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبُطْلَ وَيُخَوِّقُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِي بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	٢٤	٦٢
سورة الزخرف		
﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ...﴾	٧١	١٤٤
﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧٢	٢١٥
سورة الدخان		
﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾	١٩	٢٦٦
﴿كَذَلِكَ وَأُورِثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾	٢٨-٢٩	٢٢٣
سورة الجاثية		
﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَفْسِئُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُنُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾	٣٤	٢٧١
سورة الأحقاف		

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ﴾	٩	٢٤٨
﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾	٣٠	١٤٦
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا...﴾	٣٤	٧٣
سورة محمد		
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَثُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ...﴾	٤	٢١٥
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾	١٠	١٣١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٢	١٧٠
﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَنَّهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾	١٣	١٩٧
سورة الفتح		
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾	٢٩	١٥٥
﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾	٢٩	١٩٥
سورة الحجرات		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠	١٧٠
﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾	١٢	١٧٩
﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	١٤	٢٣
سورة ق		
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾	٥	١٩٢
سورة الذاريات		
﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾	٤١	٢٢٤
سورة القمر		
﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ﴾	١١	٢٢٤
﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِرِ﴾	١٣	٢٣٩
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾	٢٠-١٩	١٥٦
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ...﴾	٢٠-١٩	١٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَتِّظِرِ﴾	٣١	١٥٦
﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾	٤٨	١٩٥
سورة الرحمن		
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿١﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٢﴾﴾	٦	٢٦٦
﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾	٢٤	١٥٢
﴿فَبَيْنَ قَصِيرَتِ الطَّرَفِ﴾	٥٦	١١٥
سورة الواقعة		
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾	٨٣-٨٤	٢١
سورة الحديد		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾	٢٦	٢٥١
سورة المجادلة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةٌ﴾	١٢	٢٢٥
سورة الحشر		
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَدِشًا مُتصدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...﴾	٢١	٦٧
سورة الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ...﴾	١	١٣١
سورة الصف		
﴿يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٨	٢٦٦
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾	٥	١٨١
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...﴾	١	٦٥
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾	٤	١٦٩
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧	٧٧
﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مِنَ الْفٰنِينَ﴾	١٢	١٠٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الملك		
﴿إِذَا الْقُورُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾	٧	٢١٦
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٧٠
سورة المعارج		
﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿١١﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٤-٢٥	٢٤٢
سورة نوح		
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	١٧	٢٢٥
سورة المدثر		
﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾	٥٠-٥١	١٨١
سورة القيامة		
﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦﴾ وَقِيلَ لَهَا رَاقِي ﴿٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٨﴾ وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾	٢٦-٢٩	٢١
سورة الإنسان		
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ۖ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾	٢٦	١٩٥
سورة المرسلات		
﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٦﴾ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفُرٌ﴾	٢٢-٢٣	١٧٤
سورة النبأ		
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾	١٠	١٧٩
سورة النازعات		
﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى﴾	١٥-١٦	٢٠
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ حَشَشِهَا﴾	٤٥	١٢٠
سورة عبس		
﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾	١٧	٩٣
سورة الانشقاق		
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	١٩	٢٥٠
سورة البروج		
﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	٨	٢٥٩
سورة الطارق		

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾	٥-٦	١٩٢
سورة الكافرون		
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦	١٢١
سورة العلق		
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾	١٧	١٩٧
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ﴿٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	١-٣	١٣٦

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
/١	(افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..)	٤٢
/٢	(كل المسلم على المسلم حرام...)	٥٢
/٣	(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم)	٥٣
/٤	(يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ قال: ويملك وما أعددت لها؟)	١١٢
/٥	(أسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي...)	١٣٤
/٦	(أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)	٢٥٧
/٧	(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)	٢٦٧

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
/١	الأثري	٢٧
/٢	عبد العزيز أفندي شواف زاده	٢٩
/٣	عبد الله العمري	٢٩
/٤	علاء الدين على الموصللي	٢٩
/٥	الملا حسين الجبوري	٢٩
/٦	ضياء الدين خالد النقشبندي	٣٠
/٧	عبد الرحمن الكزبري	٣٠
/٨	علي بن أحمد	٣٠
/٩	علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي	٣٠
/١٠	محمد أمين بن علي الحلبي	٣٠
/١١	يحي المزوري العمادي	٣٠
/١٢	أحمد عارف حكمت	٣١
/١٣	حسين الداغستاني	٣١
/١٤	عبد اللطيف بن علي	٣١
/١٥	عبد الباقي بن محمود الألوسي	٣٣
/١٦	عبد الحميد بن عبد الله بن محمد الألوسي	٣٣
/١٧	عبد الرحمن بن عبد الله بن محمود الألوسي	٣٣
/١٨	عبد السلام الشواف	٣٣
/١٩	عبد الغفار الأخرس	٣٣
/٢٠	عبد الله بن عبد الحميد الألوسي	٣٣
/٢١	عبد الله بن محمود الألوسي	٣٣
/٢٢	محمد أمين بن محمد الأدهمي	٣٣

الرقم	العلم	الصفحة
/٢٣	محمد بن حسين آل عبد اللطيف	٣٣
/٢٤	محمد سعيد أفندي	٣٣
/٢٥	نعمان خير الدين الألوسي	٣٣
/٢٦	البيضاوي	٣٨
/٢٧	ابن كمال باشا	٣٩
/٢٨	منير القاضي	٣٩
/٢٩	أبو المعالي محمود شكري الألوسي	٤١
/٣٠	محمد رشيد رضا	٤٤
/٣١	سعيد بن المسيب	٥٣
/٣٢	الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي (أبو النجم)	١٩٣
/٣٣	الخطيب القزويني	٢٣٠

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	الشاعر	بيت الشعر
٤٥	الأخرس	السيد المـمـود في خلـالـه
٤٥	الأخرس	الله يعلم والأنام شـهـود
٤٦	عبد الباقي العمري	إن السؤال والجواب مثل ما
٤٦	عبد الباقي العمري	روح معانيه التي دونها
٦٣	بشار	بـكـرا صاحبي قبل الحجر
٦٩	كثير	أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
٨٧	أبو العنابية	فيا ليت الشباب يعود يوماً
٨٩	استشهد به الألويسي	إني إذا ما حدث أـلـمـا
٩٣	أمرؤ القيس	فقلت يمين الله أبرح قاعداً
١١٧	ابن خفاجة	وما السيف لولا الخوف إلا حديدة
١١٧	أمرؤ القيس	ألا إنما الدهر لبالٍ وأعصر
١٢٩	استشهد به الألويسي	متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا
١٤٨	استشهد به القرطبي	العين طاحمة واليد ساجدة
١٥٢	أمرؤ القيس	وتعطو برخص غير شئن كأنه
١٥٣	الراضي بالله	قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها
١٥٣	استشهد به الحموي	قبلته فبكى وأعرض نافراً
١٥٧	أمرؤ القيس	أيقنلني والمثـرـي مـضـاجـعي
١٥٨	استشهد به ابن نايقا	ما ليلة الفقير إلا شيطان
١٥٩	ابن المعتز	وكأن البرق مصحف قار
١٦٠	قيس الانصاري	قالت ولم تقصد لقيـل الخـنـا
١٨٦	الفرزدق	يـجـمي إذا اختـرط السـيـوف نـسـاءنا
١٨٩	استشهد به حبنكة	أشـاب الصـغـير وأقـنـى الكـبـير
١٨٩	المتنبي	رماني الدهر بالأرزاء حتى
١٩٢	أبو فراس الحمداني	سيدكري قومي إذا جد جدُّهم
١٩٣	أبو النجم	قد أصبح أُمُ الخيار تدعي
٢٠٠	ذو الرمة	أقامت بها حتى ذوى العود في التـرى

بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
فلا تَنَلْكَ الليالي إن أيديها	إذا ضُرَيْنَ كسَرْنَ النبعَ بالغرب	المتنبي ٢٠٠
في الخد أن عزم الخليط رحيلا	مطرٌ تزيد به الخدودُ محولا	المتنبي ٢٠٠
كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رطْبًا وبأسًا	لدى وَكْرها العَنَابُ والحَشَفُ البالي	امرؤ القيس ١٧٣
ذواملُ للأسفار لا علمَ عندهم	بجَدها إلا كعلمِ الأباعِرِ	استشهد به الألويسي ١٨١
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا	بأوساقه أو راح ما في الغرائِرِ	استشهد به الألويسي ١٨١
وأعددت للحرب أوزارها	رماحًا طوالاً وخيلاً ذكورا	الاعشى ٢١٥
و بيضة خدر لا يُرامُ خباؤها	تَمَعْتُ من هَوٍّ بها غيرَ مُعْجَل	امرؤ القيس ٢٣٢
على لا حبٍ لا يُهْتَدَى بمناره	إذا سافَهُ العودُ النُّباطِيُّ جَزَرا	امرؤ القيس ٢٣٥
فأما عيُونُ العاشقينَ فأسْحَنَتْ	وأَمَّا عيُونُ الشَّامِتِينَ فَفَسَحَتْ	أبو تمام ٢٤٠
يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فراشه	إذا اسْتَقَلَّتْ بالمشرِكين المضاجعُ	ابن راحة ٢٤٠
كأنَّ سَهَادَ الليلِ يعشُّ مغلتي	فبينهما في كلِّ حجرٍ لنا وَصْلُ	المتنبي ٢٤٩
جَزَعْتُ ولم أجزَعْ من البين مجزعا	وعزَّيْتُ قَلْبًا بالكواعبِ مولعا	امرؤ القيس ٢٥١
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	بمن فلول من قراعِ الكتائبِ	النايفة الذبياني ٢٥٦
فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه	على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعاديَا	النايفة ٢٦٧
ومن العداوة ما ينالُك نفعُهُ	ومن الصَّدَاقَةِ ما يضُرُّ ويؤُلمُ	المتنبي ٢٦٨
يريد الرمح صدر أبي براء	ويعدل عن دماء بني عقيـل	استشهد به الألويسي ٢١٨
قالوا: اقترح شيئًا نحد لك طبخه	قلت: اطبخوا لي جُبَّةً وقميصا	استشهد به الحموي ٢٦٩
ألا لا يجهلن أحد علينا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم ٢٦٩
بكى حارث الجولان من فقد ربه	وحورانُ منه مُوحشٌ متضائلُ	النايفة الذبياني ٢٢٣
لما أتى خيرُ الزبير تواضعَتْ	سُورُ المدينة والجبالُ الخَشَّعُ	جرير ٢٢٤
أعيناى جودا بالدموع الهوامر	على خيرٍ بادٍ من معدٍّ وحاضر	استشهد به الألويسي ٢٢٤
إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه	فليس على شيءٍ سواه بخزَّانِ	امرؤ القيس ٢٨٢
وليس الذي حللته بمحلل	وليس الذي حرَّمته بمحرِّم	استشهد به أبو حيان ٢٨٣
ليس كمثـل الفتي زهير	خلق يوازيه في الفضائلِ	استشهد به الألويسي ٢٤١
وقتلـى كمثـل جذوع النخيل	تغشاهم مسـبل منهمـر	استشهد به الألويسي ٢٤١
سعد بن زيد إذا أبصرت فضـلهم	ما أن كمثلهم في الناس من أحد	استشهد به الألويسي ٢٤١
وما يكُ في من عيب فإيَّ	جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ	استشهد به الخطيب ٢٤٤
لعبد العزيز على قومه	وغـيرهم ممن ظاهـرة	استشهد به الخطيب ٢٤٥

الصفحة	الشاعر	بيت الشعر		
٢٤٥	استشهد به الخطيب	يكلّمه من حُبّه وهو أعجمُ		يكاد إذا ما أبْصَرَ الضيفَ مقبلاً
٢٤٥	استشهد به الخطيب	أبتاع إلا قريّة الأجل		لا أمتع العوذ بالفصال ولا

المصادر والمراجع

- ١/ القرآن الكريم
- ٢/ الإتيقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان، الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٤/ أسرار البلاغة، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٥/ الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر - شعبان ١٤١٦هـ.
- ٦/ الأسلوب الكنائي، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨.
- ٧/ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام الحافظ عز الدين بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٨/ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية. الدكتورة: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف - الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ٩/ إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد بن عبد العزيز العواجي، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- ١٠/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تأليف: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- ١١ / إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
- ١٢ / أعلام العراق، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر. ١٣٤٥هـ.
- ١٣ / الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.
- ١٤ / الإعلان بالتوخيخ لمن ذمّ التاريخ، لشمس الدين السخاوي، تحقيق: فرانز روزنثال، وصالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٥ / الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية .
- ١٦ / الألوسي مفسراً، تأليف محسن عبد الحميد، مطبعة المعارف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٧ / أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٨ / الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٩ / البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢٠ / البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تقديم وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢١ / البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٢٢ / بصائر ذوي التمييز، لمحمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.

- ٢٣/ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٤/ البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده عبد العزيز قليلة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة. ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٢٥/ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٦/ بلاغة الكلمة والجملة والجمل، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- ٢٧/ البلاغة فنونها وأفنانها (١ - ٢) للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الحادية عشرة، ٢٠٠٦م.
- ٢٨/ بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢٩/ البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة. ١٩٨٤م.
- ٣٠/ البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.
- ٣١/ تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للنشر.
- ٣٢/ التاج المكلل من مآثر الطراز الآخر والأول، تأليف: العلامة صديق بن حسن خان القنوجي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٣/ تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق: إحسان حقي، طبعة دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية. ١٤٠٣هـ.
- ٣٤/ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٥/ تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف: يونس إبراهيم السامرائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- ٣٦/ التبيان في البيان، تأليف: شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تعليق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
- ٣٧/ التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- ٣٨/ الترياق الفاروقي، أو ديوان عبد الباقي العمري، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م.
- ٣٩/ التصوير البياني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م.
- ٤٠/ تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤١/ التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- ٤٢/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٤٣/ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلّق عليها: محمد خلف الله أحمد، ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر. الطبعة الثالثة. ١٩٧٦م.
- ٤٤/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، تحقيق: د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- ٤٥/ جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٤٦/ الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

- ٤٧/ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تقديم علي السيد صبحي، مطبعة المدني. ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.
- ٤٨/ الجمان في تشبيهات القرآن، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن نايقا البغدادي، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٩/ حاشية زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين شيخ زاده، تركيا- دار صادر، بيروت.
- ٥٠/ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف: محمد بهجة البيطار، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٣٨٣هـ.
- ٥١/ الحيوان، تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٢/ خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر ابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دار البحار، بيروت.
- ٥٣/ خصائص التراكيب، للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
- ٥٤/ الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- ٥٥/ خلاصة المعاني، للحسن بن عثمان بن الحسين المفتي، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، الناشرون العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٥٦/ الدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥٧/ الدر المنتشر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تأليف: علي علاء الدين الألوسي، تحقيق: جمال الدين الألوسي، وعبد الله الجبوري، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد. ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٥٨/ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

- ٥٩/ دلائل الإعجاز، تأليف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- ٦٠/ ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سندة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦١/ ديوان أبي العتاهية، جمع وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ٦٢/ ديوان الأخرس، عبد الغفار البصري، تحقيق: وليد الأعظمي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٣/ ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٤/ ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٥/ ديوان امرئ القيس. شرح وتحقيق حجر عاصي. دار الفكر العربي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- ٦٦/ ديوان بشار بن برد، تحقيق: السيد بدر الدين العلوي، دار صادر، بيروت، لبنان..
- ٦٧/ ذكرى أبي التثاء الألوسي، تأليف: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة، بغداد. ١٣٧٧هـ.
- ٦٨/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي التثاء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، علّق عليها: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٩/ رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد الدقاق. دار الفيحاء، دمشق سوريا. دار السلام الرياض، السعودية.
- ٧٠/ سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، فهرسة: داود غطاشة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- ٧١/ سُفرة الزاد لسفرة الجهاد، لأبي الشاء الألوسي، طبعة مطبعة دار السلام، بغداد، سنة ١٣٣٣هـ.
- ٧٢/ سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، لبنان.
- ٧٣/ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٧٤/ سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.
- ٧٥/ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: جماعة من العلماء، بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٦/ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٧٧/ شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.
- ٧٨/ صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧٩/ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٨٠/ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- ٨١/ طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.

- ٨٢/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٨٣/ علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة)، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٨٤/ علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٨٥/ علم المعاني، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
- ٨٦/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٨٧/ غاية الأماني في الرد على النبهاني، تأليف: محمود شكري الألوسي، توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ومكتبة العلم، جدة.
- ٨٨/ غرائب الاغتراب ونزهة الألباب: لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني البغدادي، مطبعة الشابندر، بغداد. ١٣٢٧ هـ.
- ٨٩/ الفاصلة القرآنية، تأليف: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٩٠/ الفتوحات الإلهية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٩١/ فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، باعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٩٢/ الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- ٩٣/ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي،
تصحيح وتعليق محمد بدر الدين النعاني، نشر دار الكتاب الإسلامي.
- ٩٤/ القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت،
لبنان.
- ٩٥/ القرآن والصورة البيانية، للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة
الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٩٦/ كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب
العربي، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٩٧/ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تصنيف: أبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد
البجادي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٩٨/ كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي
توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٩٩/ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم
محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث
العربي - بيروت، لبنان.
- ١٠٠/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف:
إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت،
الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- ١٠١/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٠٢هـ -
١٩٨٢م.
- ١٠٢/ اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، طبعة دار صادر، بيروت،
١٤٠٠هـ.
- ١٠٣/ لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.
الطبعة الثالثة. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب،
محمد الصادق العبيدي.

- ١٠٤ / المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت . ١٩٩٥م.
- ١٠٥ / مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.
- ١٠٦ / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة المغرب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٠٧ / محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، لمحمد بهجة الأثري، المطبعة الكاملية، مصر. ١٩٨٥م.
- ١٠٨ / مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، لبنان، الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ١٠٩ / المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١١٠ / مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ١١١ / المطول، شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين مسعود التفتازاني الهروي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١١٢ / معجم البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١١٣ / معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١١٤ / معجم المؤلفين (تراجم مصنفى الكتب العربية)، تأليف: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١١٥ / المعجم الوسيط، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية.

- ١١٦ / معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
- ١١٧ / مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١١٨ / مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١١٩ / المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٢٠ / مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدائع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي، الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي: د. زكريا سعيد علي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ١٢١ / من بدائع النظم القرآني، للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب، طبعة الجندي، بنها الجديدة، مصر.
- ١٢٢ / من بلاغة القرآن الكريم، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة.
- ١٢٣ / منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦ م.
- ١٢٤ / نشوة الشُّمول في السفر إلى إسلامبول، تأليف أبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد. ١٢٩٣ م.
- ١٢٥ / نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام، لأبي الثناء الألوسي، مطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣ هـ.
- ١٢٦ / النظائر، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- ١٢٧ / نظم الدرر، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة،
الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٢٨ / نظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر بن عبد الرحمن الحنين، مكتبة التوبة، الرياض،
الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٢٩ / النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، تأليف محمد رجب البيومي، طبعة دار
القلم، دمشق، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ.
- ١٣٠ / الوافي بالوفيات، للصفدي صلاح الدين خليل، اعتناء هلموت رينز، ١٣٨١هـ .
١٩٦٢م، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية.
- ١٣١ / وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،
بيروت.
- ١٣٢ /

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصف
المقدمة	٧
التمهيد	١٥
الفصل الأول: التعريف بالألوسي:	
المبحث الأول: حياته:	٢٦
المطلب الأول: نَسَب الألوسي	٢٧
المطلب الثاني: المولد والنشأة	٢٨
المطلب الثالث: بعض شيوخه	٢٩
المطلب الرابع: بعض تلامذته	٣٢
المطلب الخامس: آثاره العلمية	٣٤
المطلب السادس: مكانته العلمية	٤٠
المبحث الثاني: لمحة عن عصر الألوسي	
المطلب الأول: الحالة السياسية	٤٨
المطلب الثاني: الحالة العلمية والدينية	٥٠
المبحث الثالث: عقيدة الألوسي ومذهبه ووفاته	
المطلب الأول: عقيدته	٥٢
المطلب الثاني: مذهب	٥٧
المطلب الثالث: وفاته	٥٨
الفصل الثاني: صور المعاني	
المبحث الأول: الخبر والإنشاء	
المطلب الأول: الخبر	٦١
المطلب الثاني: الإنشاء	٦٩
الإنشاء الطلبي:	

الموضوع	الصف
أولاً: الأمر	٦٩
ثانياً: النهي	٧٣
ثالثاً: الاستفهام	٧٧
رابعاً: التمني	٨٦
خامساً: النداء	٨٨
الإنشاء غير الطلبي:	
أولاً: التعجب	٩٠
ثانياً: القسم	٩١
ثالثاً: المدح والذم	٩٤
رابعاً: الرجاء	٩٥
المبحث الثاني: صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر	
أولاً: الالتفات	٩٨
ثانياً: التعبير بالماضي عن المضارع، وبالمضارع عن الماضي	١٠٤
ثالثاً: التغليب	١٠٩
رابعاً: الأسلوب الحكيم	١١١
المبحث الثالث: القصر	١١٦
المبحث الرابع: الفصل والوصل	١٢٤
المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب	١٣٣
المطلب الأول: الإيجاز	١٣٤
المطلب الثاني: الإطناب	١٤١
الفصل الثالث: صور البيان في روح المعاني:	
المبحث الأول: التشبيه	١٥١
المبحث الثاني: المجاز	١٨٤
المطلب الأول: المجاز العقلي	١٨٨
المطلب الثاني: المجاز اللغوي	١٩٤
أولاً: المجاز المرسل	١٩٤

الموضوع	الصفحة
ثانياً: الاستعارة	١٩٩
المبحث الثالث: الكناية	٢٣٠
بين الكناية والتعريض	٢٣٣
الفصل الرابع: صور البديع في روح المعاني:	
المبحث الأول: المحسنات المعنوية	٢٤٧
المطلب الأول: الطباق	٢٤٩
المطلب الثاني: المقابلة	٢٥٣
المطلب الثالث: تأكيد المدح بما يشبه الذم	٢٥٦
المطلب الرابع: الاحتباك	٢٦٠
المطلب الخامس: التورية	٢٦٥
المطلب السادس: اللف والنشر	٢٦٧
المطلب السابع: المشاكلة	٢٦٩
المبحث الثاني: المحسنات اللفظية، وفيه ثلاثة مطالب	
المطلب الأول: الجناس	٢٧٣
المطلب الثاني: الفاصلة القرآنية	٢٧٦
المطلب الثالث: رد العجز على الصدر	٢٨٢
الخاتمة	٢٨٤
فهرس الآيات القرآنية	٢٨٦
فهرس الأحاديث النبوية	٣٠٤
فهرس الأعلام	٣٠٥
فهرس الأشعار	٣٠٧
ثبت بالمصادر والمراجع	٣١٠
فهرس الموضوعات	٣٢٣